ISSN 0258 - 1094

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٥٥

[illegible]

السنة الثانية والعشرون

[illegible] ١٩٩٨

مجلة
مجمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)

تصدر مرتين في السنة

* البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها ، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر، وأن تتوافر فيها شرائط البحث العلمي .
* يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين ، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره .
* البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها .
* يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية .
* تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة .
* يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر ، بعد نشره في مجلة المجمع ، شريطة أن يشير إلى ذلك .

الاشتراكات

في الأردن   خمسة دنانير سنوياً

في البلاد العربية والأجنبية   اثنا عشر دولاراً سنوياً أو ما يعادلها

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من المشتركين

المملكة الأردنية الهاشمية – عمان – ص . ب ١٣٢٦٨ هاتف ٥٣٤٣٥٠٠ – ناسوخ (فاكس) ٥٢٥٧٠٦٤ عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

ISSN 0258 - 1094

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٥٥

ذو القعدة ١٤١٨هـ - ربيع الآخر ١٤١٩هـ

السنة الثانية والعشرون

تموز - كانون الأول ١٩٩٨

الفهرس

البحــوث

المعجم العربي الموحِّد
لألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث[1]

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

ترددت كثيراً في تحديد عنوان هذا البحث الذي يتناول قضية من أهم القضايا اللغوية التي تواجه العربية في مسيرتها العلمية والأدبية والاجتماعية والتقنية في العصر الحديث. والعربية التي نتحدث عنها هي العربية الفصيحة التي تمثل جوهر وجود أمتنا وهي في الوقت ذاته لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لغة العروبة والإسلام... ومنذ أصبحت العربية، لغة الوحي الإلهي، فقد انتقلت من كونها لغة أمة من الأمم، تصدق عليها نواميس نشوء اللغات وارتقائها واندثارها أو انحلالها إلى لغات أخرى. أقول: انتقلت العربية الفصيحة من حيث ثوابتها إلى كونها لغةً خالدة بخلود القرآن الكريم. فالعربية الفصيحة باقية إلى الأبد، طالما بقي في الكون مسلمون مؤمنون بكتاب الله العزيز الذي أنزله وحياً على رسوله الأمين، صلوات الله وسلامه عليه، بلسان عربي مبين.

وتتصل هذه القضية اللغوية التي نتحدث عنها، بمواكبة العربية متطورات الحياة والتعبير عن شؤونها وأدواتها وكل ما يمت لها بسبب في هذا الكون الرحب. فتوقفتُ ملياً عند تحديد طبيعة هذا المعجم موضوع البحث، وتحديد هوية

---

(١) ألقي هذا البحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الرابعة والستين، يوم الثلاثاء ١١ من ذي القعدة سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٨م.

ألفاظه ومفرداته. فاتجه الفكر بادئ ذي بدء إلى القول: "ألفاظ الحضارة في العصر الحديث"، ولكنني شعرت بتساؤلات تطفو على الذهن، منها ما يتعلق بتحديد مفهوم الحضارة... ومنها ما يتعلق بتعريف أهل الحضارة والشعوب التي تنتسب إلى حضارة معينة... وكثرة الشروح والتعريفات اللغوية والاصطلاحية لكلمة "حضارة". فقيل: الحضارة تعني الإقامة في الحضر وهي خلاف البداوة، ويقال: فلان من أهل الحضارة أي من سكان المدن والقرى وليس من سكان الخيم.....

وإن نظرة شاملة في تاريخ هذه المجتمعات الإنسانية، تدلنا على أن هذه المجتمعات متحوّلة ونامية ومتطورة، وأن التفريق بين الحضارة والبداوة، لا يتعدى التحديد اللغوي؛ ويصبح الأمر أكثر وضوحاً عندما يتناول الحديث صفة الجمع "الحضارات" ومفردها: حضارة، إذ يتعدى معناه اللغوي إلى معنى اصطلاحي يعني مجموع الخصائص الاجتماعية الدينية والخلقية والتقنيّة والعلمية والفنية الشائعة في شعب معين كالحضارات المصرية القديمة، والصينية وما بين الرافدين واليونانية واللاتينية والعربية والأوروبية... إلخ وإن هذا المدلول يشمل الحياة المادية والروحية للإنسان...

ونحن عندما نتحدث عن "ألفاظ الحضارة" في مشروعنا المعجمي في الوقت الحاضر، فإنما نعني جميع الألفاظ التي يستعملها الإنسان العربي في "حياته العامة" من مأكل ومشرب وملبوسات وما يتعلق بها... ومن منزل وأدوات منزلية وأثاث وما يتعلق بشؤون البيت وكذلك أسماء الأماكن العامة والخاصة وما يتعلق بها، والمكاتب وأدواتها وأجهزتها، والمركبات وما يتعلق بها، والحرف وأنواع المهن والصناعات وأدواتها والمواد المستعملة فيها، وكذلك ما يتعلق بالتربية الرياضية وأنشطتها، وجوانب الحياة الفنية، ومجالات الترويح والزينة. ويتعدى هذا المدلول، التعبير عن الأدوات والأشياء المادية، إلى التعبير عن

الحياة الثقافية العامة التي تنمُّ عن الحسّ الحضاري والاجتماعي والذوق الجمالي في التعامل بين الأفراد والجماعات في حياتهم اليومية، وفي لغة مختلف وسائل الاتصالات الجماهيرية.

ونحن إذ حدّدنا الموضوعات التي يتناولها مشروع معجمنا، فلا ضير علينا إذا أطلق عليه عنوان: "المعجم العربي الموحّد لألفاظ الحياة العامة في العصر الحديث" أو "المعجم العربي الموحّد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث"، وربما كان الأخذ بعبارة "ألفاظ الحياة العامة" أكثر دقة ووضوحاً، وأبعد عن اللبس الذي تثيره عبارة "ألفاظ الحضارة في العصر الحديث"...

ومهما تكن التسمية التي نختارها، فإن "ألفاظ الحياة العامة" أو "ألفاظ الحضارة" تضرب في جذورها بعيداً في حياة أمتنا في أقاليمها المختلفة، وهي مستمرة ونامية ومتطورة عبر القرون باستمرار الحياة ذاتها، والحاجة إلى التعبير عن شؤونها وعن كل طارئ جديد. وإن العفوية وإشاعة الاستعمال والحاجة إلى التعبير، تكوّن الأسس الثابتة في إنشاء الألفاظ والتعابير الاصطلاحية التي كان الناس يشعرون بالحاجة إليها في مختلف أقاليمهم ومدنهم وبيئاتهم.

وربما كان من الصواب، أن ننبه منذ البداية في بحثنا هذا، إلى قضية لغوية مهمة رافقت العربية الفصيحة الموحّدة، بعد أن أصبحت لغة القرآن الكريم ولغة الإسلام في العقيدة والفكر والسياسة. وتتمثل هذه القضية باللبس الذي حدث في فهم العلاقة بين لغة الحياة اليومية وألفاظها الدالة على مختلف شؤون الحياة المعيشية، وبين العامّية. فقد خرج العرب، من جزيرتهم، يرفعون راية الإسلام، ويحملون القرآن الكريم دعوة إنسانية سامية، تتساوى أمامها أجناس البشر وألوانهم وأعراقهم، دون إكراه أو قهر. وقد خرج الصحابة والتابعون، مجاهدين في جيوش الفتح، معلمين وناشرين مبادئ الإسلام. فكانت حلقات العلم، وتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تسير جنباً إلى جنب مع الجيوش

الفاتحة. وأصبح تعلم القرآن الكريم وتعلم العربية قراءة وكتابة واجباً على كل مسلم يدخل في هذا الدين الحنيف... وإن نظرة شاملة على المدى الذي وصلت إليه الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام والعصر الأموي، تبين لنا مدى الأصالة في تعريب الشعوب المختلفة التي اعتنقت الإسلام. فما إنْ يمر جيلان أو ثلاثة على أبناء من اعتنقوا الإسلام، حتى تصبح العربية لغة التفسير والحديث والفقه، ولغة النثر والشعر والعلم، كما تحدثنا الوثائق التي بين أيدينا حول تعريب هذه الشعوب ولا سيما تعريب الأندلس.

فمنذ مطلع القرن الثالث الهجري، نجد أن حركة التعريب قد امتدت في الأندلس لتشمل الطوائف المسيحية التي بقيت محافظة على عقيدتها. وكان من طبيعة الأشياء، وسنن العمران البشري والامتداد الجغرافي للدولة الإسلامية من حدود الصين والهند شرقاً إلى أطراف أوروبا غرباً، بشعوبها ولغاتها المختلفة، أن تتجه الدراسات اللغوية العربية، إلى تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وإلى تعلم العربية في مصادرها الأصيلة في الشعر والنثر والخطابة... فالنصُّ القرآني هو النصُّ الذي نشأت حوله جميع الدراسات اللغوية والأدبية الأخرى.

وكان الشعر في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام والعصر الأموي، وكذلك ما حفظ من خطب ورسائل ونثر، هي المصادر اللغوية الأساسية في تفسير ألفاظ القرآن الكريم وفهم معانيه... والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها كتاب "العقد" لابن عبد ربه الأندلسي. فقد ألف هذا الكتاب في أوائل القرن الرابع الهجري بالأندلس، ومن المعروف أن ابن عبد ربه لم يخرج من الأندلس طيلة حياته، ومع ذلك فقد اقتصر في اختيار النصوص، على النصوص المشرقية التي لا تتجاوز صدر الإسلام والعصر الأموي. وقد أخطأ الصاحب بن عباد، في فهم هدف ابن عبد ربه الأندلسي من تأليف "العقد" عندما

قال: هذه بضاعتنا رُدّت إلينا. إذ كان الصاحب يتوقع أن يقرأ أدباً أندلسياً، في هذا المصنَّف الأندلسي، ولكنه وجد فيه النصوص الأدبية المشرقية. وحقيقة الأمر أن ابن عبد ربه، أراد أن يضع كتاباً تعليمياً لأبناء وطنه في الأندلس، فاختار نصوصاً من العربية العالية، التي تمثل ذروة الفصاحة والبلاغة والإبانة... فجاء كتاب "العقد" ليمثل أهم المصادر اللغوية والأدبية.

وسارت المؤلفات اللغوية والمعجمية، منذ وقتٍ مبكر، ومنذ معجم "العين" للخليل بن أحمد وهي تعنى بالعربية الفصيحة، بثوابتها نحواً وصرفاً وتجويد لفظ، وبأساليبها التي تنأى عن الدخيل... والمعاجم التراثية في معظمها يأخذ بعضها عن بعض. وهي في ذلك كله حريصة على اللغة العربية الفصيحة، اللغة الجامعة، لغة الثقافة والفكر والعلم والسياسة.

ومنذ البداية، كان إلى جانب لغة الكتابة في مستوياتها الأدبية والعلمية المختلفة، اللغة المحكية بمستوياتها المختلفة أيضاً. فاللغة المحكية تختلف عن اللغة المكتوبة في جميع اللغات، حديثاً وقديماً. وإن اللغة العربية المحكية لا تعني بالضرورة اللغة العامية أو بعبارة أدق اللهجة العامية العربية. وإنما تبتعد اللغة المحكية أو تقترب من اللغة الفصيحة، تبعاً لانتشار الثقافة والمستوى العلمي والفكري في شرائح المجتمع العربي وبيئاته.

وكان من نواميس العمران البشري ودواعي شؤون الحياة اليومية في أقاليم الدولة الإسلامية، وفي مجتمعات مدنها وقراها وريفها وبواديها، أن تعبر اللغة العربية المحكية عن حاجات الإنسان في حياته المعاشية من مطعومات ومشروبات وملبوسات ومشمومات وأثاث وبيوت ومساجد وأدوات وحرف وصناعات وتجارات، ودور العلم والمستشفيات (المارستانات).. إلخ وما كان يعني التعبير عن هذا كله أنه تعبير بلغة عامية أو يصنَّف في أبواب اللحن. فقد استوعبت العربية، في تماسّها مع حضارات الشعوب الأخرى كل ما يتعلق بأدب

الحواس، مما لا تعرفه في بيئتها الأصلية. فأخذت من حضارات مختلف الأمم أسماء مأكولاتها ومطعوماتها ومشروباتها... إلخ على سبيل التعريب وأودخلته لغتها وأجرت عليه قوانين العربية. وفي كثير من الأحيان أضفت على هذه الألفاظ العجمية رونق العربية... فهذا رافد أصيل إلى جانب الاشتقاق والمجاز والنقل والنحت والوضع، يجعل العربية لغةً حيّةً نامية، عبر مسيرتها التاريخية، قادرة على التعبير عن حاجات الإنسان العربي وعن كل جديد، سواء أكان أعجمي المنبت أم عربي المنشأ.

وإن نظرة فاحصة في معاجمنا التراثية العربية، تبين لنا بسهولة أنها قد نأت بنفسها عن تسجيل ألفاظ الحياة اليومية وتعابيرها، لا لزهدٍ بها ولا لاتهامٍ لعجمتها ولا لغمْزٍ لفصاحتها، ولكن لأنها، على حدّ ما نراه، خارجة عن مناهجها ولا تقع في مجال اهتمامها، ولا تنتظمها الأهداف التي سعت إلى تحقيقها. وربما من المفيد في هذا الباب أن نتوقف عند مقدمة ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن المكرّم بن علي بن أحمد الأنصاري الخزرجي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ في معجمه "لسان العرب" الذي يوصف بحق بأنه "أم المعاجم العربية" جميعاً.

يقول ابن منظور في مقدمته: "وإني لم أزلْ مشغوفاً بمُطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها، وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها بينَ رجلين: أمّا مَنْ أحسن جمعهُ فإنه لم يُحْسن وضعه، وأما من أجاد وضعه، فإنه لم يجد جمْعه".

ثم ينتقل ابن منظور إلى الحديث عن مصادره التي أخذ عنها، فيحدّدها بقوله: "ولم أجد في كتب اللغة أجمل من "تهذيب اللغة" لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. ولا أكمل من "المُحْكَم" لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنياتٌ للطريق، غير أن كُلاً منهما مطلبٌ عسر المهلك، ونَهلٌ وَعْر

المسلك... فأهمل الناس أمرهما... وليس لذلك سببٌ إلا سوءُ الترتيب، وتخليطُ التفصيل والتبويب". وبعد هذا التقويم والإشادة بمكانة هذين المصدرين اللغويين ونقد منهجهما، يتحدث ابن منظور عن الجوهري فيقول: "ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، قد أحسن ترتيب مختصره، وشَهَرَه - بسهولة وضعه -... فخَفَّ على الناس أمرهُ فتناولوه... غير أنه في جوِّ اللغة كالذَّرَّة... وإن كان في نحرها كالدُّرَّة... وهو مع ذلك قد صحّف وحرّف وجَزَف فيما صرّف، فأتيح له الشيخ أبو محمد بن بَرِّي، فتتبع ما فيه، وأملى عليه أماليه، مُخْرِجاً لسقطاته مؤرِّخاً لغَلَطاته، فاستخرتُ الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك... ولم أخرج فيه عمّا في هذه الأصول، ورتبته ترتيب "الصحاح" في الأبواب والفصول"...

وبعد ذلك يحدثنا عن مصدره في الأخبار والآثار والكلام على معجزات القرآن الكريم، فيقول: "وقَصَدت توشيحه بجليل الأخبار وجميل الآثار، مضافاً إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم، والكلام على معجزات الذِّكر الحكيم، ليتحلّى بترصيع دُرَرِها عِقْدُه، ويكون على مدار الآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حلُّهُ وعَقْدُه، فرأيت أبا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، قد جاء في ذلك بالنِّهاية..." وبعد أن يقوِّم ابن منظور هذا المصدر المهم، يبين ما أضافه إليه وما أدخله عليه، فيقول: "... غير أنه [أي ابن الأثير] لم يضَع الكلمات في محلِّها، ولا راعى زائد حروفها منْ أصلها، فوضعت كلاًّ منها في مكانه، وأظهرته مع برهانه، فجاء هذا الكتاب بحمد الله واضح المنهج سَهْل السلوك...".

تحدّث ابن منظور في مقدمته هذه بأنه جمع ما في هذه المصادر من العلوم واللغات والشواهد والأدلة، بحيث يغني بما فيه عن غيره، ويفتقر غيرُه إليه. إلى أن يقول: "فجمعتُ في هذا الكتاب ما تفرّق، وقرنت بين ما غرّب منها وبين ما شرّق. فانتظم شملُ تلك الأصول في هذا المجموع...".

وربما يجيب ابن منظور عن التساؤلات حول أهداف وضع هذه المعـــاجم اللغوية، وحرصها على تسجيل العربية بنقائها وفصاحتها، التي واكبـــت نـــزول القرآن الكريم واستمرت بعده فيما سُمِي بعصر الاحتجاج، وذلك بقوله:

"وأنا مع ذلك، لا أدّعي فيه دعْوى، فأقول: شافهتُ أو سمعتُ، أو فعلت أو صنعت، أو شددت أو رحلت، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملتُ، فكـــل هـــذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهري وابن سيده لقائلٍ مقالاً، ولم يُخْليا فيه لأحدٍ مجالاً، فإنّهما عيّنا في كتابيهما عمّن رويا...".

ويجمل ابن منظور عمله في هذا المعجم اللغوي الأساسي بقوله: "وليس لي في هذا الكتاب فضيلةٌ أمتُّ بها، ولا وسيلة أتمسّك بسببها، سوى أنّي جمعت فيه ما تفرّق في تلك الكتب من العلوم، وبسطت القول فيه ولم أشبع باليسير... فمـــن وقف فيه على صوابٍ أو زلل، أو صحةٍ أو خلل، فعهدته على المصنِّف الأول... لأنني نقلت من كل أصلٍ مضمونه، ولم أبدّل فيه شيئاً... بل أديت الأمانة في نقل الأصول بالنّص... فليَعْتَدّ من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عـــن هـــذه الأصـــول الخمسة...".

ويخلص ابن منظور في مقدمته إلى تحديد هدفه من هذا العمـــل الجليـــل، فيقول: "فإني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبويَّة وضَبْـــط فَضْلـــها، إذ عليه مدار أحكام الكتاب العزيز، والسنّة النبوية، ولأن العالم بغوامضها يَعْلَم مـــا تُوافق فيه النيةُ اللسان، ويخالفُ فيه اللسانُ النيّة، وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتى أصبح اللحن في الكـــلام يُعَـــدُّ لحنـــاً مردوداً، **وصار النُطق بالعربية من المعايب معدوداً**. وتنافس الناسُ في تصانيف الترجمات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية، فجمعـــت هـــذا الكتاب في زمنٍ أهله بغير لغته يفخرون...".

رحم الله ابن منظور، فعلى الرغم من القرون السبعة التي تفصل بيننا وبينه... فما زال معجمه "لسان العرب" المرجع اللغوي الأساس عند الباحثين والدارسين في الجامعات ومراكز البحث...

ونحن في هذا العرض الشامل، لا بد أن نفرق بين معجمات لغوية، حرصت على تقييد فصيح العربية وانتظام شمل أصولها في مواطنها وبيئاتها الأصلية وعلى ألسنة رواتها وشعرائها وفصحائها والخطباء والكتاب والمترسلين... وبين الكتب والمصنفات التي أُلفت في مختلف مجالات العلوم والفنون والآداب، واستعملت مصطلحات وألفاظاً، لم تدخل المعاجم العربية. وإن أي دراسة لغوية جادة، ستجد في هذه المؤلفات مصدراً خصباً للتطور التاريخي الذي طرأ على ألفاظ اللغة العربية ودلالاتها على مرّ العصور.

فإذا كانت المعاجم العربية التراثية، التي عنيت بفصاحة اللغة ونقائها لم تسجل ألفاظ الحياة العامة والمصطلحات العلمية، فإنها لم تنكر وجودها، ولا قضت بتحريمها ولا تعرضت إلى نسبها. فالألفاظ الأعجمية التي تلوكها الألسن العربية ويكثر استعمالها، تدخل الكلم العربي، وتصبح عربية الهوية.

ولم تتعرض هذه المعاجم التراثية لمؤلفات المؤرخين والجغرافيين والأطباء والنباتيين والفلكيين والقصّاصين، ومصطلحاتهم ومفرداتهم اللغوية ومستويات أساليبهم التي تقترب من اللغة المحكية. ونحن نعتقد أن ذلك يرجع إلى اختلاف في الأهداف، فإن ثوابت العربية من حيث الجوهر ومن حيث هي لغة، كانت القاعدة الأساسية التي يصدر عنها كل نشاط فكري وعلمي وثقافي. ولم تكن العربية في يومٍ من الأيام بمعزلٍ عن الحياة اليومية والتعبير عن مختلف شؤونها وحاجاتها، سواء أكانت لغةً محكية أم مكتوبة. وإذا كانت اللغة المكتوبة، قد عنيت من حيث المبدأ بكل ما هو عام، ويقع بمركز اهتمام الأمة ووحدتها في العقيدة وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم اللغة وعلم الكلام والمنطق وعلوم

الأوائل.... مستعملة مفردات لغوية ومصطلحات موحَّدة يفهمها المشتغلون بهذه العلوم والمهتمون بها، فإن هذه اللغة المكتوبة لم تحجم عن تصوير الحياة الاجتماعية في بيئات ومهن مختلفة، مستعملة لغاتها ومفرداتها الخاصة بها. وإن مؤلفات الجاحظ، لا سيما كتابه البخلاء وكتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين، لخير شاهدٍ على استعماله ألفاظ الأطعمة وألفاظ الأشربة، وألفاظ الملابس، وألفاظ الموسيقى والغناء، وألفاظ المجون واللهو، وألفاظ اللعب، وألفاظ اللهجات الخاصة، وألفاظ اللصوص.

ولم يتردد الجاحظ في كثيرٍ من الأحيان عن الاجتهاد اللغوي بعيداً عن معجم العربية الذي تعارف عليه اللغويون في ذلك العصر.

وكان ابن المقفع، منذ بداية العصر العباسي، قد نحا باللغة المكتوبة منحى لا يَبْعُدُ كثيراً عن اللغة المحكية من حيث الألفاظ والتعابير والنظم، كما نرى ذلك فيما وصل إلينا من مؤلفاته "الأدب الكبير" و"الأدب الصغير" وترجمته لكتاب كليلة ودمنة والفصل الخاص الذي تعزوه معظم الروايات إليه...

ومن أهم المصنفات التي تصوِّر لنا بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية والفنية في العصر العباسي، ويعتبر مصدراً مهماً للتطور اللغوي في ذلك العصر، كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. وربما كان من المفيد أن نورد هذا النص من الأغاني، يقول أبو الفرج: "وقد حدثني الحسين بن محمد... فقال: حدثني هارون بن مخارق، قال: حدثني أبي [أي مخارق المغني المشهور] قال: جاءني أبو العتاهية، فقال: قد عزمت على أن أتزوَّد منك يوماً تهبه لي، فما تنشط؟ فقلت: متى شئت... فلما كان من غدٍ باكرني رسوله فجئته، فأدخلني بيتاً له نظيفاً، فيه فرش نظيف، ثم دعا بمائدة عليها خبز سميذ وخل وبقل وملح، وجدي مشوي. فأكلنا منه، ثم دعا بسمك مشوي فأصبْنا منه حتى اكتفينا، ثم دعا بحلواء، فأصبنا منها وغسلنا أيدينا، وجاؤونا بفاكهة وريحان وألوانٍ من الأنبذة،

فقال: اختر ما يصح لك منها، فاخترت وشربت وصبَّ قدحاً ثم قال: غنني في قولي..."(١).

ومما يجدر ذكره أنّ هذه المصنفات الأدبية، كانت تجد طريقها من بغداد إلى قرطبة. فقد ذكرت الروايات أن النسخة الأولى من كتاب الأغاني، قد وصلت قرطبة قبل أن تطرح في أسواق بغداد... وهذا يعني أن الألفاظ الحضارية والاجتماعية الشائعة في المجتمع البغدادي، لم تكن غريبة عن الذوق اللغوي الجمالي في المجتمع القرطبي، في أزهى عصوره.

ونحن إذا تحدثنا عن الأدب الذي صور ألوان الحياة الاجتماعية وأدواتها الحضارية، لا بد أن نشير إلى بديع الزمان الهمداني ومقاماته، وأن نتوقف ملياً عند مصنفات القاضي أبي علي المُحسّن بن علي التنوخي؛ المتوفى سنة ٣٨٤هـ ومن أهمها كتابه: "نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة" الذي ألفه في عشرين عاماً، كما تنبئنا بعض الروايات، وكذلك كتابه "الفرج بعد الشدة" الذي ألفه بعد كتاب النشوار.

وإن القصص التي أوردها التنوخي في "النشوار"، تصوّر لنا كثيراً من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في القرن الرابع الهجري ببغداد والبصرة. وقد وصف كتابه النشوار في مقدمته قائلاً: "هذه ألفاظ تلقطتها من أفواه الرجال، وما دار بينهم في المجالس، وأكثرها مما لا يكاد يتجاوز به الحفظ في الضمائر إلى التخليد في الدفاتر، وأظنّها ما سبقتُ إلى كتب مثله، ولا تخليد بطون الصحف بشيء من جنسه وشكله، والعادة جارية في مثله أن يحفظ إذا سُمِع ليُذاكر به إذا جرى ما يشبهه ويقتضيه، وعرض ما يوجبه ويشهد عليه"(٢).

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، المجلد الثالث، القسم الأول، ص٣٤٦، بيروت.

(٢) القاضي أبو علي المحسّن بن علي التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج١-٨، ١٣٩١هـ_ ١٩٧١م/ ج١ ص١.

وفي قصصه وحكاياته صُوَرٌ حيَّة للمجتمع البغدادي، بل وتعتبر نصوص هذه الحكايات مصدراً مهماً لدراسة ألفاظ الحضارة العباسية التي يوردها أحياناً بالتعبير البغدادي. يتحدث مثلاً عن "الباقلاء" بدون همزة، فيقول: "فدخل يوماً إلى دهليز داره، فرأى قِشْرَ باقلا"... ويتحدث عن "البوَّابين" وعن "الفرَّاش" وعن "الطيَّار" [وهو نوع من السفن السريعة] وعن "الطِّسْتُ" وعن "المُزَمَّلة" و"الخيازر" وعن "جامة بجاذي" وعن "الجهبد" وعن "الكُسر" وعن "البطرك" و"القاثليق" و"الغرانق" وعن "القُطُف"... وعن "الدخالات" وعن "الرُّوز" وعن ألوان الأطعمة... والأمثلة في هذا المجال كثيرة.

وكذلك يصدق الحديث في هذا الباب عن القصص التي أوردها التنوخي في كتابه "الفرج بعد الشدة" وربما لا نعدو الصواب، إذا قلنا إن مؤلفات الجاحظ وكتاب القاضي التنوخي المعنون "نشوار المحاضرة"، تعتبر من أهم المصادر لدراسة التطور اللغوي الذي طرأ على العربية في العصر العباسي.

وكان للتمازج الحضاري آثار عميقة في ألفاظ الحياة العامة في مختلف الأقطار ولا سيما في اللغة المحكية. وكان للحضارة الفارسية آثارها الواضحة ببغداد عاصمة الخلافة. فتحدثنا الروايات عن الأصناف الفارسية في المأكولات والمشروبات والمشمومات... وقد ذكر الجاحظ كثيراً منها في كتابه "البخلاء" وفي سائر مؤلفاته... ولا غرابة أن هذه الكلمات المعربة، وقد تداولها المجتمع البغدادي وصقلتها الألسنة، قد دخلت في لغة الكتابة. فأصبحت بالاستعمال والشيوع عربية كسائر الكلام العربي. وتحدثنا الروايات أنه وضع على مائدة المأمون ثلاثمئة لونٍ من الطعام...!!

ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على بغداد وعلى الحضارة الفارسية، ولكنها تشمل جميع مراكز الإشعاع الثقافي في الدولة الإسلامية، وتختلف في مدى اختلاطها بالأمم الأخرى ومقدار تأثرها بحضاراتها، وكان للحضارة الفارسية

طابع خاص في الحياة الاجتماعية ببغداد عاصمة الخلافة، ومحط الأنظار. ففي الأندلس مثلاً يحدثنا ابن سيده المتوفى سنة (٤٥٨هـ) في كتابه المخصّص قائلاً: "وعلى هذا ما نشاهد الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء كالنجّار والصائغ والحائك والملاح"(١). ولا شك أن "عجمية أهل الأندلس" والعربية الدارجة تركت آثارها في لغة أصحاب المهن والحرف، مما يؤكد اختلاف الأسماء باختلاف الأقاليم.

إن تعداد المصنفات التي عنيت بتصوير النواحي الاجتماعية وتناولت شؤون الحياة اليومية، كثيرة، وربما كان من أهم الأعمال اللغوية في هذا الباب، أن تتبنى مؤسسة عربية مشروع استخراج الألفاظ العربية التي تعنى بألفاظ الحضارة، من المعاجم والكتب، كي تكون رافداً من روافد المعجم الحديث لألفاظ الحياة العامة.

وإن هذه الفكرة لتقودني بالضرورة إلى ذلك المشروع اللغوي الضخم الذي ينتظر إرادة الأمة العربية وتوفير الإمكانات المادية والعلمية لإنجازه على مستوى الوطن العربي، وهو ما دعوناه بمشروع "الذخيرة العربية". بإن يجرّد التراث العربي، من خلال دواوين الشعراء وجميع المؤلفات والمصنفات في مختلف فروع المعرفة، ومنذ أقدم ما وصل إلينا، لتبيان معاني الألفاظ من خلال النصوص، على مدارج التطور التاريخي حتى الوقت الحاضر... وسيكون هذا المشروع اللغوي، المصدر الذي يقوم عليه مشروع المعجم التاريخي لألفاظ اللغة العربية، وكذلك مشاريع لغوية أخرى كثيرة ومنها استخراج الألفاظ العربية التي تعنى بمسائل الحضارة... وسيكون رافداً مهماً لمعجمات متخصصة حديثة، تساير العصر الحديث في عملية مستمرة ونامية ومتطورة...

---

(١) انظر: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصّص، ج١-٥، بيروت، ج١ ص٤-٥.

وإنه لمن المحزن، كما أشرنا سابقاً، أن "لسان العرب" لابن منظور، الذي تفصل بيننا وبينه فجوة زمنية تتجاوز سبعة القرون، ما زال المصدر الرئيس الذي نعوّل عليه في الوقت الحاضر. وجاء معجم الزَّبيدي الذي سمّاه "تاج العروس" بعد "لسان العرب" لابن منظور بعدة قرون، وسار على منهجه واتكأ عليه، وأضاف إليه مفردات جديدة...

فألفاظ الحضارة أو ما نسميها بألفاظ الحياة العامة مستمرة في حياة أمتنا العربية في أقاليمها المختلفة عبر القرون وباستمرار الحياة ذاتها، وما تدعو إليه حاجة الأمة أفراداً وجماعات إلى التعبير عن شؤونها ولوازمها. وقد تشعبت الوسائل وأقحم على العربية المحكية كل دخيل أعجمي وعامي دون تشذيب أو تهذيب، ودون خطة أو منهج علمي.

وتمت القطيعة بين اللغة المحكية والعربية المكتوبة، وزادت الفصحى عزلة، وزادت العامية استشراءً وانتشاراً، وبدأ الحديث عن وضع معاجم للعاميات العربية بين المستعربين في أوروبا منذ القرن السابع عشر الميلادي... ووضعت عدد من المعاجم الثنائية والثلاثية للعربية والتركية والفارسية.

ويحدثنا المستعرب "دوزي" في مقدمة عمله اللغوي الضخم عن تلك المعاجم والمحاولات لوضع معجم للعربية الحديثة بعيداً عمّا أسماه "العربية الكلاسيكية"(١). وقد صدر مؤلف "دوزي" الموسوعي، "تكملة المعاجم العربية عام ١٨٨١م وقبل وفاة مؤلفه بسنتين، وكان هدفه أن يتتبع المفردات والألفاظ التي لم ترِد في المعاجم العربية، فشرحها بالفرنسية وأشار إلى مصادرها وفق منهج علمي رصين... وكانت مصادر "دوزي" الأساسية، كتب التراث، المنشورة والمخطوطة، التي تناولت شتى الموضوعات التاريخية وكتب التراجم والرحلات

---

(١) انظر: R. DOZY, Supplement Aux Dictionnaires Arabes Leyde, 1881/ I, P. V-XV.

والكتب الأدبية والطبية والعلمية وقصص ألف ليلة وليلة وكتاب الأغاني... إلخ.

وفي بداية القرن العشرين، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وإعـــلان استقلال الدولة العربية السورية، انطلقت حركة مباركة للتعريب وإعادة الســيادة للغة العربية الفصيحة في أوطانها. فبدأ التعريب فـــي جميــع نواحــي الحيــاة الحضارية والعلمية... وتأسس المجمع العلمي العربي بدمشـــق سـنة ١٩١٩م، وأنشئ معهد الطب العربي بدمشق، يدرس جميع موضوعـــات الطــب باللغــة العربية، وكذلك أنشيء معهد الحقوق وأصبحت العربية لغة التدريس الجامعي... وأقبل رجال العلم والفكر واللغة على التعريب الشامل في دواوين الدولـــة وفـــي المؤسسات العلمية وفي ألفاظ الحياة العامة. وتجاوب رجال الفكر العربـــي فـــي مختلف أقطار العروبة، لهذه الحركة المباركة في بلاد الشام.

وفي هذا العرض الشامل للمسيرة التاريخية لموضوع ألفاظ الحضارة أو ما سميناه ألفاظ الحياة العامة، نجد لزاماً علينا أن نشير إلى مقالات أحمد تيمور التي نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشـــق ســنتي ١٩٢٢م و١٩٢٣م تحــت عنوان: "تفسير الألفاظ العباسية في "نشوار المحاضرة". وكان الجزء الأول مـــن هذا الكتاب، قد نشر في ذلك الوقت، وهو كل ما وجد في خزانة باريس، على حد تعبير أحمد تيمور. يقول صاحب المقال[1]: "نشوار المحاضرة من خـــير كتــب المحاضرات وأمتعها، كنا نسمع به فنشتاقه ونرى نقولاً عنه فنزيد إليه شوقاً...".

إلى أن يقول: "وقد طالعت هذا الجزء، فعثرت فيه على طائفةٍ من الألفــاظ العباسية الكثيرة الورود في أخبار ذلك العهد، وغالبها لم تتعرض المعاجم التـــي بأيدينا إلى ذكره... وإنما قلنا العباسية من باب التغليب لأن جلــها مــن الألفــاظ الحادثة في العصر العباسي الأول إما بالتوليد والتعريب أو بالاستعمال في غــير

---

(١) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، الجــزء ١٠ تشريــن الأول ســنة ١٩٢٢م، الموافق صفر سنة ١٣٤١هـــ، المجلد ٢/ ص٢٨٩-٢٩٦.

ما وضعت له بضروب من التجوز والتوسع..." وبعد أن يتحدث أحمد تيمور عن الصعوبات التي جابهته في مثل هذه المباحث، يقول موضحاً منهجه: "وقد اكتفيت في هذه الألفاظ ببيان أصولها وتوضيح معانيها غير متعرض لحكم استعمالها عند أئمة اللغة ولا ملتزمٍ ذكر ما يقابلها من الفصيح تجنباً لأيقاظ فتنةٍ نائمة وإثارة جدالٍ عقيم جربناه مراراً، فلم نفترق فيه على وجهٍ جميل...".

وربما كان من المفيد أن نورد نصاً من هذا العمل اللغوي الرائد يبين منهجه في البحث. فقد انطلق الباحث من اللغة العربية، يتتبعها من خلال النصوص لتوضيح معناها. فقد تناول كلمتي "التُنّاء والأكَرَة" قائلاً: ذكر [أي التنوخي في نشوار المحاضرة، وهو الجزء الوحيد المعروف في ذلك الوقت] في "ص٤": في أصناف الناس الذين أورد أخبارهم في الكتاب "التُنّاء والمزارعين. وأرباب الخراج والأرضين. والأكرة والفلاّحين".

التُنّاء والأكرَة لفظان كادا يكونان خاصين بالعصر العباسي الأول، ولو تتبعتهما لوجدتهما كثيري الورود في أخباره، ثم يأخذان في القلة بعد ذلك إلى أن لا ترى لهما أثراً من الذكر. أما التُنّاء بضم الأول وتشديد النون فجمع "تانئ". وقد ورد في قوله (٨٨) وكان أبوه شاهداً جليلاً تانئاً موسراً". وورد التُنّاء في "أحسن التقاسيم للمقدسي في وصفه لشيراز وأهلها (ص٤٣٠) بما نصه: "ولهم خصائص وصنائع وعقل ودهاء ومعروف وصدقات وبهاء ومشايخ ووجوه وتُنّاء".

وفي تاريخ الوزراء للصابي "ص٢١٠" أنفذ في دُرْجه كتاباً في جلدٍ يضمن فيه المال والدم وقد شهد فيه جماعة الشهود والوجوه والتُنّاء في البلد". ومعنى التانئ الدهقان أي رئيس القرية وحاكمها. والظاهر أنهم أطلقوه أيضاً على العين من أعيان الزُرّاع وإن لم يكن متولياً شؤون قريته، كما يطلق المصريون الآن "العمدة" على دهقان القرية، وعلى الوجيه السَّرِي من أعيان الريف. أما الأكرة

بفتحتين فجمع أكّار بالفتح وتشديد الكاف وهو الزرّاع... إلخ[1]...

ويواصل أحمد تيمور بحثه وفق هذا المنهج اللغوي العلمي، فيتحدث عن الألفاظ الآتية: أصحاب الستائر والمقيّسون، والمتقاينون، والقمائحيون والمقالون، والزرّاق والأنبجات.

وفي تتمة هذا المقال يواصل البحث، فيتحدث عن الألفاظ الآتية: التِّفار والمَكْسود والهِيب والزُّوبينات والنُّقرة والسُّكْباج[2].

ثم يتحدث أحمد تيمور عن الألفاظ الآتية وفق المنهج ذاته: الجَذْر ومخلِّط خراسان، والفيج والكَيْتاني والمتخلِّف[3].

ويتابع بحوثه في تفسير الألفاظ العباسية في كتاب "النشوار" في المجلة ذاتها في الجزء السابع وفي الجزء الثامن وفي الجزء الحادي عشر... هذا مع العلم أنه لم يكن بين يديه إذ ذاك سوى الجزء الأول، وهو كل ما كان يعرف من كتاب "النشوار". لقد وضع أحمد تيمور، رحمه الله، من خلال هذه البحوث، منهجاً علمياً حيّاً.

إن القيام بتجريد التراث العربي، من كتب ومصنفات ومعاجم ودواوين لاستخراج الألفاظ العربية التي تعنى بمختلف شؤون الحياة العامة، وإن إنجاز هذا العمل اللغوي المهم ليقع على عاتق المجامع اللغوية العربية ومراكز البحوث العلمية في الجامعات. وسيكون عند إنجازه مصدراً مهماً من المصادر التي تعيننا

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، الجزء ١٠ تشرين الأول/ ١٩٢٢م، الموافق صفر سنة ١٣٤١هـ، المجلد (٢)/ ص٢٩٠- ٢٩١.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق الجزء (١) في (١) ك٢ سنة ١٩٢٣م الموافق ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ، المجلد (٣) انظر: ص٤٣-٤٨.

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، الجزء ٣ في ١ آذار سنة ١٩٢٣ الموافق ١٣ رجب سنة ١٣١٤هـ، المجلد ٣/ ص٧٥-٧٨.

على وضع الألفاظ والمصطلحات الجديدة، مما تفتقر إليه العربية في العصر الحديث.

وإن إشارة أحمد تيمور إلى "الفتنة" التي لا يرغب في إيقاظها، -على حَدِّ تعبيره- إنما هي إشارة إلى تيارين كانا محتدمين في ذلك الوقت. فتيار يرى التعبير بالألفاظ الدارجة على الأفواه ولا سيما فيما يتصل بالميدان الحضاري الشامل للحياة العامة، وهذا يعني طغيان العامي والدخيل. وتيار آخر يرى الإفصاح في التعبير عن ذلك كله، تارة بالتنقيب في مكانز اللغة عن الكلمات العربية التي تدل من قرب أو بعد على ما طرأ من المسميات، مادية كانت أو معنوية، وتارة باستحداث ألفاظ وصيغ من المادة العربية الصَّميمة، تَسُدُّ الحاجة إلى التعبير الحضاري في حياتنا الراهنة. وهذا ما فَصَّل الحديث عنه عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة المرحوم محمود تيمور في مقدمة مؤلفه "معجم الحضارة"(١).

إن الإشارات التي نتلمسها في هذه المقدمة النفيسة تحملنا على الاعتقاد بأن محمود تيمور كتبها في النصف الثاني من عقد الخمسينات. وأعلن عن انتصاره للفصحى وغلبة تيارها، فيقول: "ولم يبق كبير جدال في أننا إلى الفصحى جانحون، وعن الدخيل والعامي متجافون، وحسبنا أن الفصحى هي في يومها الحاضر - كما كانت على توالي الحقب، في حضارة العرب- لغة علم ومعرفة للأمة العربية.... لذلك بات من واجبنا أن نمكِّن لهذه الفصحى، في ميدان التعبير الحضاري الشامل للحياة العامة: في البيت والمصنع والمتجر والسوق، حتى يجد الكاتب حاجته منها، سهلاً منالها، حين يتوق إلى الإفضاء بما يخطر لفكره من معنى، أو يعالج وصف ما يقع تحت عينه من أداة...".

---

(١) انظر: محمود تيمور، معجم الحضارة، الطبعة الأولى، القاهرة، شعبان/١٣٨٠هـ - يناير/١٩٦١م.

وفي خضم هذا الجدال، يجهر محمود تيمور بدعوته انتصاراً للفصحى فيقول: "حرصت على أن أجهر بالدعوة إلى "تفصيح" أدوات الحضارة أو "تحضير" كلمات الفصحى... فتناولت بالبحث والنقد ما تفرّق من ألفاظ في الكتب والصحف وما إليها من المطبوعات...".

وربما كان من المهم أن نورد هنا ما عرضه محمود تيمور الكاتب القصصي والمجمعي اللغوي حول ما يخامر مشاعر الكتّاب من ضيق أمام عجز لغة الكتابة عن التعبير الدقيق عن شؤون الحياة العامة، يقول: "فالكاتب يَعْيا بوصف مخْدَعٍ أو مائدة أو نحوهما، إلا أن يختار أحد أمرين أحلاهما مُرٌّ، فإما أن يحشد على قلمه الكلمات الأجنبية أو العامية، وإما أن يتخذ للتعبير ألفاظاً فصيحة مجفوّة لم تأنس بها الأسماع".

ونحن نعتقد أن هذه هي القضية الشائكة أمام معجم ألفاظ الحضارة فهي كلمات الحياة العامة التي تستعمل في البيوت والشوارع وعند أصحاب المهن وفي المدارس والمكاتب ودور الفن واللهو وغيرها... وهذه الألفاظ على حدّ تعبيره: "إنما هي خلايا حيّة في بنية اللغة العربية، تهبها جديداً من النمو والثراء والشمول".

ولا شك أن صلة "ألفاظ الحضارة" بجماهير الناس، على مختلف شرائحهم الاجتماعية وتباين أذواقهم، تلقي ضوءاً على الصعوبات التي تكتنف وضع هذه الألفاظ وإشاعة استعمالها.

ويبدو، كما أشار صاحب "معجم الحضارة" في مقدمته أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد تصدى لهذا الموضوع اللغوي الحضاري، منذ نشأته في الثلاثينيات من هذا القرن. يقول محمود تيمور: "أقبل المجمع على المسمّيات الدائرة في الحياة العامة، يعالج أن يتخذ لأسمائها الأجنبية بديلاً مستمداً من الكلم

الفصاح. ذلك كان منذ سنين أوفت على العشرين، فاستقبل الجمهور كلمات المجمع في شؤون الحياة العامة بما يستقبل به الداخل فيما لا يعنيه.

أنكر الناسُ من المجمع أن يراقب أفواههم فيما يتناقلونه من كلمات البيوت والشوارع والأسواق... ولم يجد المجمع بُدّاً من أن يترك هذا الميدان العام، ريثما ينفتح في شأنه وجه من الرأي والتدبير، وأن يصرف جهده إلى ميادين خاصة، هي مصطلحات العلوم والفنون، تلك التي تجري في معاهد التربية والتعليم...".

وفي موقف المجمع حيال هذا التيار الساخر وتقوُّلات المعترضين من أصحاب الأقلام اللاذعة والألسنة الحادة، يقول صاحب معجم الحضارة: "أمسك المجمع عن ألفاظ الحضارة الدائرة في الحياة العامة، وأغلبها دخيل على العربية غير فصيح، ولعله أمسك على مضض، أو لعله أمسك إلى حين...".

وينتقل محمود تيمور إلى الحديث عن أصالة النزعة إلى العربية الفصيحة في نفوس الناطقين بها، وأنها كامنة في أذواق أدباء العربية وكتابها. يقول: "لقد أخذ الجمهور ينهض بهذا العبء الذي كان المجمع يريد النهوض به وحده منذ عشرين سنة مضت أو تزيد. ذلك هو الجمهور يضع لنفسه ألفاظ الحضارة عربية فصيحة، فهو يُسهم في تحقيق أغراض المجمع مُريداً أو غير مريد، وأولئك هم الكتّاب يشيعون من فصيح ألفاظ الحضارة ما يشيعون....".

وفي هذا العرض التاريخي الدقيق لمسيرة "معجم ألفاظ الحضارة"، يرسي محمود تيمور قواعد منهجيته في هذا الميدان اللغوي، الذي اقترن باسمه رحمه الله، منذ استقبل عضواً في المجمع سنة ١٩٥٠م، على حدّ تعبير المرحوم بدرالدين أبو غازي. يقول: "هذه عشرات بل مئات من كلمات تتمثّلُ للأعين في الصحف السيّارة، والنشرات العامة، وضعها من الكتاب فريق، فاستعملها منهم فريق، وإذا هي مَدَدٌ في لغة الجمهور بين كتّاب وقراء... لم يكن لي من عمل في

كثير من هذه الكلمات إلا أني أرصدْتُ له بعض الوقت، فتلقفته من هنا وهناك: حفياً به، آملاً أن يُحلّه المجمع محلّه من النظر والتمحيص".... ويختم حديثه قائلاً: "هذا حصاد الناس وتلك ثمارهم...".

إنه يرى منهجاً متكاملاً في وضع المعجم الحضاري، يشارك فيه جمهور الناس وعامة الكتاب والعلماء إلى جانب المؤسسات اللغوية. ونحن نعتقد أن المجامع اللغوية العربية هي صاحبة الشأن من خلال "اتحاد المجامع اللغوية العربية" في النظر والتمحيص وإسباغ الشرعية على المولود الجديد أمام الطغيان الأجنبي الدخيل من ألفاظ الحضارة الحديثة.

ولا شك أن هذا يقودنا إلى ضرورة وضع منهج علمي محدد، للتعبير عن المصطلحات الجديدة في ميادين العلوم والفنون وأدوات الحضارة الحديثة.

وبعد حوالي عقدين من الانقطاع أعاد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الكرّة للخوض في موضوع ألفاظ الحضارة الدائرة في الحياة العامة، وبعد أن أمسك عنها على مضض ولعله "أمسك إلى حين" على حدّ تعبير محمود تيمور، رحمه الله، وجاءت الوقائع لتؤكد أنه "أمسك إلى حين"...

وكان للجنة ألفاظ الحضارة في المجمع جهود خيرة. وتدل الوقائع التي بين أيدينا أن اسم المرحوم الأستاذ محمود تيمور قد اقترن بألفاظ الحضارة منذ استقبله مجمع الخالدين سنة ١٩٥٠م.

ويقول الأستاذ بدر الدين أبو غازي - رحمه الله - في تصديره "معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون"(١): "استأثرت ألفاظ الحضارة بجهد تيمور واستنفدت معظم طاقاته في السنوات الأخيرة. وكان يترصد لكل جديد من الكلم

---

(١) معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، تصدير الأستاذ بدر الدين أبو غازي، وإعداد لجنتي ألفاظ الحضارة والفنون.

ويلاحق ما يظهر من ألفاظ في الحياة العامة ويحلّه محل النظر والتمحيـــص...." ويشير أبو غازي إلى اهتمام المجمع الكبير بألفاظ الحضارة فيقول: "وسرى فـــي هذا الميدان من ميادين عمل المجمع نشاط كبير، ظل متصلاً بعد رحيل تيمـــور حين تولى ألفاظ الحضارة المؤرخ الجليل الأستاذ محمد رفعت، ثم أعقبه العـــالم الأديب الأستاذ محمد خلف الله أحمد...".

وقد لا نعدو الصواب، إذا قلنا: سار المجمع في إقراره ألفاظ الحضـــارة، على غرار منهجه في وضع المصطلحات العلمية في مختلف العلـــوم والفنـــون وإقرارها. وساد الاتجاه بالبدء بالمصطلح الأجنبي، بالإنجليزية والفرنســـية، ثـــم يوضع ما يقابله باللغة العربية، مع شرحٍ واضحٍ ودقيق باللغة العربية، وقد يكتفى بلفظة أجنبية واحدة. وتوالت أعمال لجنة ألفاظ الحضارة وشملـــت مصطلحـــات الفنون في حقبة من الزمن. وأصبحت لها مكانة مهمة بين مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي يقرها المجمع في مؤتمره السنوي. وربما كان من المفيـــد أن نورد بعض المقتطفات مما أقره مؤتمر المجمع في دوراتـــه الســـنوية. ومنـــها مثلاً:(١)

- المِنْفضة أو الطَفّاية Cendrier
الوعاء الصغير الذي تطفأ فيه لفائف الدخان وتلقى فيه الأعقاب.

- قَطّاعة الورق – المِقْطع Coupe - Papier, Paper Knife
أداة لفتح الرسائل والصحائف.

---

(١) انظر: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الرابع، القـــاهرة، ١٣٨٢هـــ - ١٩٦٢م/ ألفاظ الحضارة ص١٢٥-١٣٦. أقرها المؤتمر في جلسته العاشرة بتاريخ ١٩٦٢/٣/٢٧م.

- الأريكة (كنبة) Canapé - Sofa

مقعد طويل يتسع لجلوس بضعة أشخاص وله عادة ظهر يعتمد عليه في الجلوس.

- مَوْقد غاز Boutagaz

ذو شعلة أو شعلتين أو أكثر.

ومثال آخر(١) يتناول مصطلحات ألفاظ الحضارة في صنعة الكهرباء، وحرفة تشكيل الحديد بالتسخين والطَرْق، والسباكة، والرقص، وألفاظ حضارية مختلفة. وجاءت ألفاظ صنعة الكهرباء في خمسة وأربعين مصطلحاً، وألفاظ حرفة تشكيل الحديد بالتسخين والطرق (الحدادة) في خمسة عشر مصطلحاً، والسباكة في سبعة وخمسين مصطلحاً، والرقص في اثني عشر مصطلحاً. وسلك المجمع في هذه القوائم المنهج السابق، ومنها:

الخامة: Raw Material

المادة الأولية التي لم تجر عليها عمليات التشكيل، أي أنها المادة الأولية قبل أن تعالج. (والخام ما لم يعالج).

وورد في هذه المجموعة العنوان التالي:

ألفاظ حضارية مختلفة (وضعها الأستاذ تيمور) وجاءت في عشرة مصطلحات، ومنها:

- قائد الفرقة الموسيقية Chef d'orchestre

---

(١) انظر: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد السابع، القاهرة، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م/ مصطلحات ألفاظ الحضارة ص١٠٨-١٢٠. أقرها المؤتمر في الدورة الحادية والثلاثين، الجلسة التاسعة بتاريخ ١٨ من فبراير سنة ١٩٦٥م.

- رصيف (كورنيش) Corniche

الطريق المرصوف الذي يحف بالبحر أو النهر.

- التجمُّل Make up

التزويق أو الزواق.

ومثال آخر من مصطلحات ألفاظ الحضارة التي أقرها مؤتمر المجمع بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، في الجلسة الخامسة للمؤتمر بتاريخ ١٩٦٧/٢/٤م. وكان عددها مئة وأربعة مصطلحات. وجاءت وفق المنهج التالي(١):

اللفظ الشائع	اللفظ المقترح الذي وافق عليه المؤتمر	البيان	المصطلح الأجنبي
تكييف الهواء	تكييف الهواء	عملية يؤديها جهاز خاص يعدل جوّ المكان بالتبريد أو التدفئة	Air conditioning (E) Air conditionné (F)
- الثلاّجة	مبرِّدة	صندوق يوضع فيه الثلج لتبريد الأشياء	ice Box (E)
- الثلاّجة	الثلاّجة	خزانة محكمة الإغلاق تحفظ ما يوضع فيها من أطعمة ونحوها في جو مثلوج	Refrigerator (E) Refrigerateur (F)
- الفريز	المثلّجة	مكان في الثلاجة تبلغ في البرودة درجة التثليج	Freezer

(١) انظر: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد التاسع، القاهرة، ١٣٨٧ - ١٩٦٧م/ مصطلحات ألفاظ الحضارة، ص٦٧-٧٧.

وربما كان من المفيد أن نشير إلى مثال آخر في المنهجية التي اتبعها المجمع في موضوع مصطلحات ألفاظ الحضارة القديمة. وقد جاءت في مئة وأربعة مصطلحات، تحت عنوان (علم المصريّات) (إيجبتولوجي Egyptologie)[1].

وكان منهج المجمع في هذا الموضوع، بأن رتب الألفاظ وفق حروف الهجاء اللاتينية، ووضعت المصطلحات بالفرنسية والإنجليزية والألمانية، ووضع مقابلها المصطلح باللغة العربية. ومن الواضح أن المنطلق كان من المصطلح الأجنبي...

واستمر المجمع بالقاهرة في هذا العمل الدؤوب. وحرصت لجنة ألفاظ الحضارة أن تقدم إلى مؤتمر المجمع في كل عام حصاداً وفيراً، وبعد أن توافر لدى المجمع نتاج خصب، رأى أن يفرد لهذه الجهود الخيرة معجماً خاصاً أطلق عليه "تيمناً" اسم "معجم ألفاظ الحضارة".

وقامت اللجنة المكلفة بهذه المهمة باستعراض قوائم الألفاظ والمصطلحات التي يمكن إدخالها في هذا المعجم، ثم صنفتها في أقسام شملت الكثير من ألفاظ أدوات الحياة الحديثة وكذلك من ألفاظ الحرف والصناعات والتربية الرياضية... وقسمت عملها إلى قسمين: القسم الأول ويشتمل على ألفاظ الحضارة واشتمل أولاً: على الثياب وما يتعلق بها والمأكولات. والمنزل والأدوات المنزلية.

وثانياً على الأماكن وما يتعلق بها، والمكتب وأدواته، والمرْكبات وما

---

(١) انظر: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد العاشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م/ مصطلحات ألفاظ الحضارة القديمة. وافق عليها مؤتمر المجمع في الجلسة الرابعة بتاريخ ٣١/١/١٩٦٨م.

يتعلق بها، والحرف والصناعات والمواد المستخدمة فيها.

واشتمل الفرع الثالث على التربية الرياضية وعلى مــــا سُــمّي بألفــاظ متنوعة.

أما القسم الثاني فيشتمل على ألفاظ الفنون التشكيلية ومصطلحاتها، وعلى مصطلحات الرقص والموسيقا وكذلك على مصطلحات السينما.

ومن الواضح أن مصطلحات الفنون الجميلة جديرة بأن تكون فــي معجــم خاص بها كما هو الشأن في مختلف العلوم. وبالفعل فقد تشكلت في المجمع فيمـــا بعد لجنة خاصة بمصطلحات الفنون.

وأشرف على هذا المعجم المرحوم الأستاذ بدر الدين أبو غازي عضـــو المجمع، وصدّره بكلمة مهمة تلقي الضوء على أهميـــة هــذا العمــل اللغــوي، والمراحل التي مرّ بها. ومن هذه الجوانب المهمة ما يتعلق بالمنهج الذي ســـلكه المجمع في وضع مصطلحات ألفاظ الحضارة وإقرارها. فقد نظر إلى معجم ألفاظ الحضارة الحديثة، بأنه نوع فريد، على حدّ تعبيره، بين المعجمات فـــي فــروع العلوم المختلفة. فهو حصاد جهد سنوات طوال لتطويع اللغة العربية لمواجهة كل مستحدثات الحضارة الحديثة. وربما كان من المهم أن نلفت الانتباه إلى عبـــارة "مستحدثات الحضارة الحديثة"، وهي كما نراها المهمة الرئيســـة التــي انــبرى لمعالجتها المجمعيون والكتاب والصحفيون... وتأتي قضية الإجماع على "ألفــاظ الحضارة"، لتلقي بظلالها في معــترك الشيــوع والاســتعمال وتفــاوت الأذواق والأغراض... والسهولة والصعوبة، وهوية الانتماء إلى العربيـــة الفصيحــة أو الدخيل العامي.

ويشير أبو غازي إلى هذا السجال المستمر، حول أهدى الطرق وأوضح المناهج لاستيعاب العربية ما يجدّ من مصطلحات، فيقول في تصديره: "وطالمـــا

دار بين المجمعيين سجال حول الوسائل التي يمكن التذرع بها لتزويد اللغة العربية بمصطلحات الجديد في ميادين الحضارة الحديثة. فمن المجمعيين من رأى الأخذ من ألفاظ السوق، ما يتفق وقياس العربية واستبعاد ما يخالفها، ومنهم من ناقش فكرة أخذ الأسماء التي يطلقها الصنّاع وأصحاب الحرف على آلاتهم وأدواتهم دون أن نناقشها ونتلمس وجه الصواب فيها...

ولاحظ بعضهم أن كثيراً من ألفاظ السوق يستخدم في مصر وغير مصر من البلاد العربية، ومعنى هذا أنه قديم وصحيح وإن كانت المعاجم لم ترصده. وأجاز المجمعيون في مساجلاتهم القديمة تعريب المسميات الإفرنجية، ورجحوا التعريب على قبول كلمات عربية محرّفة. كما تعقبوا استعمال الجمهور لألفاظ عربية بحتة ساقتهم إليها سليقتهم... وأفسحوا السبيل في ألفاظ الحضارة إلى الاشتقاق الذي يقبله الناس...

ولا شك أن هذه القضايا جميعها، التي أوردها المرحوم أبو غازي، قد وجدت طريقها إلى مجال الحوار والمساجلات، وعلى صفحات الجرائد والمجلات.. وفي جميع الأحوال لا تعدم من ينتصر لهذا القول أو لذاك... ونحن نعتقد أن جميع هذه الأفكار المهمة تسهم في وضع منهج علمي سليم يتصف بالحيوية والمرونة ويكفل إرساء القواعد العامة لوضع معجم عربي موحّد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث.

وكان للجهود الفردية للعلماء والكتاب والباحثين، آثار مهمة في ميدان ألفاظ الحضارة في العصر الحديث. وأرى من الواجب أن تؤخذ هذه الجهود في الحسبان في مرحلة الجمع والاستقصاء وفي إطار خطة شاملة ومتكاملة لوضع معجمنا العتيد، المعجم العربي الموحّد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث. ويحضرني في هذا المجال ذكر معجمات ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين الشعراء، ومعجمات ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب أهم الكتاب العرب قديماً

وحديثاً، وسلسلة المعاجم التي أعدها المجمعي الجليل الأستاذ عبد العزيز بنعبدالله، بالرباط في مختلف المهن والحرف، وإن كان قد اقتصر في منهجه على البدء بالألفاظ الفرنسية ووضع مقابلاتها العربية، ونذكر أيضاً العمل القيم الذي أنجزه العالم التونسي الدكتور أحمد ذياب في "أدوات الحضارة"، وما احتواه من صور الأدوات الجراحية لتوضح الأدوات كلما عرضت على عامة المثقفين وأهل الاختصاص.

وخلاصة القول، فإن فكرة وضع معجم عربي شامل لألفاظ الحضارة في العصر الحديث، كانت تراود مؤسساتنا اللغوية والعلماء والكتاب الغيارى على لغة أمتهم، اللغة الجامعة، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لغة العروبة والإسلام منذ مطلع هذا القرن . وإن الجهود الخيرة التي أشرنا إليها في هذا الحديث الشامل لهي لبنات مهمة في بناء المعجم الموحّد لألفاظ الحضارة... وكان للأفكار التي طرحت على مدى هذا القرن، والجهود التي أنجزت في هذا الميدان اللغوي الحضاري العروبي، آثارها العميقة في القرار الذي اتخذه اتحاد المجامع اللغوية العربية بوضع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث وذلك في اجتماعه الذي عقد بالقاهرة في آذار (مارس) سنة ١٩٩٧م، في مقر الاتحاد بمجمع اللغة العربية، برئاسة رئيس الاتحاد الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف. فقد رأى مجلس الاتحاد أن يتولى كل مجمع وضع مشروع لمعجم ألفاظ الحضارة في قطره، وترسل مشاريع المعجمات جميعها إلى الاتحاد، لإدخالها في الحاسوب، والانتهاء بإصدار معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث على مستوى الوطن العربي.

لقد شغلني موضوع "معجم ألفاظ الحضارة" منذ سنين، ويحزنني عدم وجود معجم أو مصدر عربي يمكن أن يعود إليه الكاتب العربي أو متعلم العربية

من غير الناطقين بها، إذا ما أراد أن يعبر عن حاجات الحياة العامة وأدواتها الحضارية، بلغة عربية سليمة. وهنا يلتقي الكاتب القصصي والصحفي والإذاعي في مختلف وسائل الاتصالات الجماهيرية وكذلك مؤلفو الكتب المدرسية والمربون والمسؤولون في النقابات المهنية والحرفية عن التطوير الثقافي والمهني بين أصحاب المهن والحرف... إنهم جميعاً يلتقون في شعورهم بعدم وجود معجم موحد يمدهم بسهولة ويسر، بما يريدون التعبير عنه من مصطلحات مهنهم وألفاظ الحياة العامة... ولذا نرى طغيان العاميات والألفاظ الأجنبية على أقلام الكتاب والمذيعين، إذا استثنينا بعض ذوي الاجتهاد والغيرة على العربية ووحدة ثقافتها...

وإذا نظر من حولنا إلى الأمم المتقدمة، نجدها قد عنيت أشد العناية بلغاتها القومية، ووفرت جميع الإمكانات المادية والفكرية لخدمة أهدافها.. فوضعت المعاجم اللغوية بأنواعها ومستوياتها المختلفة ووضعت المعجمات العلمية المتخصصة... وحرصت على أن تشمل معجماتها العامة الألفاظ التي تعبر عن حاجات الحياة العامة، التي يحتاجها كل مواطن في حياته اليومية.

وربما كان الواجب يقضي علينا أن ننظر إلى وضع "المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث"، من خلال هذه الأبعاد التي أشرنا إليها، ومن خلال تجارب الأمم المتقدمة التي سبقتنا في هذا المضمار. وإن الخبرة في الحاسوب وبرمجياته واستعمال التقنيات الحديثة المتقدمة، لتَحتلُّ مكانة أساسية في تنفيذ هذا المشروع اللغوي العربي، على مستوى الوطن العربي. وإن الهدف الذي نحدده لأنفسنا يمكن أن نجمله بأن نصدر معجماً عربياً لألفاظ الحضارة في العصر الحديث، بحيث لا يتعدى المدلول الواحد اللفظة أو اللفظتين. ولا يدور في خلدنا أن نفرض ألفاظ هذا المعجم فرضاً قهرياً على ألسنة الناس وأقلام الكتاب، ولكن ليكون مرجعاً يسهل الوصول إليه إلى كل من يريد أن يفيد

منه في مختلف الشؤون الثقافية ولا سيما فيما يتعلق بوسائل الاتصالات الجماهيرية التي باتت تتجاوز أقطارها المحلية إلى أقطار الوطن العربي بل وإلى الناطقين بالعربية في العالم أجمع.

ونحن نرى أن أهداف هذا المعجم. وطبيعة تكوينه، تجعله يختلف كثيراً من حيث المنهج عن الأعمال المهمة السابقة. فتلك الأعمال تكوّن رافداً من روافده المهمة.

لا شك أننا أمام عمل لغوي كبير، جعله اتحاد المجامع اللغوية أحد أهدافه في رعاية العربية وتقدمها بل ورعاية وحدة الأمة العربية وتوطيد دعائم وحدتها الثقافية. وإن من أهم مقومات نجاح هذا العمل، أن يؤمن القائمون عليه بأهميته والشعور بالحاجة إليه.

لقد استجاب مجمع اللغة العربية الأردني، لقرار اتحاد المجامع اللغوية العربية. وناقش مجلس المجمع هذا الموضوع، ووسائل تنفيذه في عدة جلسات. وألف لجنة خاصة بمشروع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة، برئاسة رئيس المجمع وعضوية ستة من أعضائه. وعقدت اللجنة اجتماعها الأول مساء الأربعاء ٢٧/٢/١٤١٨هـ الموافق ٢/٧/١٩٩٧م. وتوالت الاجتماعات لبحث هذا المشروع اللغوي المهم. وقد خلصت إلى الأفكار التالية:

أولاً: إن وضع معجم عربي موحّد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث، عمل لغوي وقومي جليل. وإن هذا العمل الجماعي الذي تبنّاه مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، والذي سينجز بصورة جماعية على مستوى الوطن العربي، ليحتّم علينا وضع خطة عمل موحدة يصدرها اتحاد المجامع، وتلتزم بها المجامع اللغوية والمؤسسات العربية التي ستشارك في إنجاز المعجم

الحضاري، وذلك توخياً لدقّة المعلومات وتوحيداً لمنــهج العمــل. ومن الضروري أن تحدد هذه الخطة أهداف المشروع والمدة التي يحتاج إلى إنجازه.

ثانياً: يهدف المشروع إلى أن يقوم كل مجمع من مجامع اللغة العربيــة بحصر أقصى ما يستطيع حصره من ألفــاظ الحضــارة والحيــاة الاجتماعية في قطره. ويعمل كل مجمع على تخزين هذه الألفــاظ في الحاسوب وفق منهجية واضحة ودقيقة على مســتوى الوطــن العربي.

ثالثاً: بات من الضروري أن تحدد منهجية العمل التي يصدرها الاتحاد، حجم العمل ومجالاته. فالحضــارة موضوعاتــها شاملــة للحيــاة الاجتماعية، وحصر مفرداتها يقتضي منا تقسيمها إلــى مداخــل قطاعية إذا أردنا الشمول. فألفاظها ليست محصورة في مســميات الأدوات وإنما تتناول الألفاظ الدالة على الحياة الاجتماعية بمختلف محاورها.

رابعاً: الحاسوب جهاز أساسي وضــروري فــي جميــع مراحــل هــذا المشروع، لأنه يسهل عمليات التخزين والاسترجاع والفرز ومــا إلى ذلك.

وفي ضوء هذه الأفكار والمعطيات المتوافرة لدينا حول هذا المشــروع اللغوي القومي المهم، خلصنا إلى التصور التالي، في خطوطه العريضة.

يهدف مشروع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضــارة فــي العصــر الحديث، إلى وضع معجم لألفاظ الحياة العامة في الوقت الحاضر. ويمــر هــذا

المشروع بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: القيام برصد جميع ألفاظ الحضارة المستعملة في كل قطرٍ عربي، وتخزينها في الحاسوب وفق منهجية معينة. ويكون للمبرمج الحاسوبي دوره. وتخزّن أيضاً جميع ما أنتجته المجامع اللغوية العربية من ألفاظ الحضارة، وما نشرته من معجمات في هذا الباب.

المرحلة الثانية: تقوم لجنة من الخبراء بدراسة الألفاظ الحضارية التي جرى تخزينها في الحاسوب، وفق منهجية معينة، على مستوى القطر الواحد. وتنتهي بمشروع لألفاظ الحضارة، لا يتجاوز المدلول الواحد اللفظتين.

المرحلة الثالثة: ترفع المجامع اللغوية العربية عملها إلى رئيس اتحاد المجامع اللغوية، وتخزن جميع هذه المشاريع في الحاسوب وفق منهج معين يحدده خبير في برامج الحاسوب. ويكلف اتحاد المجامع خبراء من مختلف الأقطار العربية لدراسة وغربلة هذه المشاريع، والوصول إلى معجم موحّد، لا يتجاوز المدلول الواحد منه اللفظتين. ويعتمد الخبراء في منهج اختيارهم الألفاظ، قواعد عدة، منها الشيوع والفصاحة والسهولة وما هو موجود في التراث، ومعايير أخرى يتفق عليها.

وفي ضوء ذلك انطلقت لجنة مشروع المعجم العربي الموحد لألفاظ الحضارة في مجمع اللغة العربية الأردني إلى تحديد معالم تنظيم هذه العملية،

وخلصت إلى ما يلي:

تكون لجنة "مشروع معجم ألفاظ الحضارة"، التي ألفها مجلس المجمع لجنة توجيهية، لإنجاز هذا المشروع في الأردن. ويقسم العمل إلى أربعة مراكز، تنتظم جغرافياً وسكانياً الأردن بكامل مناطقه، وجميع شرائحه الاجتماعية وهي: مركز الجامعة الأردنية، ومركز جامعة اليرموك، ومركز جامعة آل البيت، ومركز جامعة مؤتة.

ويتألف كل مركز من لجنة ومجموعة من الباحثين. وتتألف كل لجنة من اللجان الأربع من رئيس وعضوين من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين. وتكون مهمتها اختيار الباحثين وتحديد عددهم ورسم خطة العمل، والإشراف عليها، وتمحيص المعلومات وتقديم ذلك كله إلى الهيئة العامة.

وتتكون الهيئة العامة للمشروع من أعضاء لجنة مشروع معجم ألفاظ الحضارة ورؤساء المراكز الأربعة، وتجتمع بشكل دوري لمتابعة تنفيذ العمل.

ويحرص المجمع على أن يتمتع رؤساء المراكز والباحثون بروح عمل الفريق وحسن التفاهم، والإيمان الصادق بأهمية المشروع، والرغبة الأكيدة في إنجاحه.

وقد وضعت اللجنة، النموذج الذي سيوزع على الباحثين على الوجه التالي.

مجمع اللغة العربية الأردني

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروع معجم ألفاظ الحياة العامة

١ ـ اسم الموقع	٢ ـ البيئة	٣ ـ المهنة	٤ ـ المجال	٥ ـ الموضوع

٦ ـ المصطلح (مضبوطاً بالشكل)

....

....

٧ ـ تعريف المصطلح : ....

....

....

٨ ـ أصل المصطلح

....

....

٩ ـ توضيح المصطلح بالرسم أو الصورة عند الضرورة

١٠ـ اسم الباحث : ....

التوقيع : ....

١١ـ اللجنة الفرعية : ....

توقيع رئيس اللجنة : ....

١٢ـ ملاحظات إضافية : ....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

ويفهم من المجال: البيت والمدرسة والمسجد والشارع والحقل/المزرعة، والجامعة/ الكلية، والمستشفى/العيادة، والمختبر، والمركز الصحي، والمصنع/المشغل، والدائرة الحكومية، والمتجر، والفندق، والمقهى، والملهى، والمتحف والكنيسة والنادي والمرآب ومؤسسات الرعاية الاجتماعية، والمهن بأنواعها والمواد، والآلات والمعدات، والنشاط الرياضي، والمكتبات والمسرح... إلخ.

ويفهم من الموضوع ما يشتمل عليه المجال، فموضوعات البيت مثلاً: أنواعه، أجزاؤه، محتوياته (الألبسة، المطعومات، المشمومات، المشروبات، الأثاث، الأدوات... إلخ).

وخلاصة القول، فإن هدف هذا المشروع هو جمع ألفاظ الحضارة المستعملة في مختلف جوانب حياتنا في الأردن، وضبطها وتصحيحها وتفصيحها، وإقرار مصطلح واحد أو مصطلحين اثنين للمفهوم الواحد، وتقديم المشروع الأردني لمعجم ألفاظ الحضارة إلى اتحاد المجامع اللغوية العربية للوصول، إن شاء الله، لوضع معجم عربي موحد لألفاظ الحضارة في العصر الحديث على مستوى الوطن العربي. ونسأله تعالى الرشاد والتوفيق.

المصادر والمراجع

١- ابن منظور، لسان العرب ج١-٦، دار المعارف، القاهرة.

٢- أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بان سيده (المتوفى سنة ٤٥٨هـ)، المخصّص.

٣- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠هـ-٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، ج١-٤، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

٤- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، ج١-٨، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون بغداد، سنة ١٩٨٢م.

٦- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج١-٤، القاهرة.

٧- أبو علي المحسّن بن علي التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤هـ)، الفرج بعد الشدة ج١-٤، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٨- أبو علي المحسّن بن علي التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤هـ)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج١-١٠، تحقيق عبود الشالجي، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٩- أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني/ ج١-٢١، بيروت، ١٩٥٥.

١٠- أبو منصور الجواليقي موهوب بن أحمد بن محمد بن الخَضِر (٤٦٥هـ - ٥٤٠هـ)، المُعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١١- أحمد ذياب، أدوات الحضارة، منشورات (جيم) JIM.

١٢- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ج١-٦ الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٣- بديع الزمان الهمذاني، المقامات، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٤- بطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت، ١٩٧٧م.
١٥- بيدبا الفيلسوف الهندي، كتاب كليلة ودمنة، ترجمة عبدالله بن المقفع، بيروت، سنة ١٩٨٧م.
١٦- تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (المتوفى سنة ٨٤٥هـ)، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج١-٢، بيروت.
١٧- رشيدة عبد الحميد أحمد اللقاني، ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ، الطبعة الأولى، جامعة الملك سعود، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م).
١٨- شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن، سنة ١٩٠٦م.
١٩- شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي المعروف بالقراقي (٦٢٦هـ-٦٨٤هـ)، تحقيق د. عثمان محمود الطلبي، مجلة جامعة أم القرى، السنة العاشرة، العدد الخامس عشر، عام ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ص١٧٩-٢٥٢.
٢٠- عبدالعزيز بنعبدالله، معجم اللعب العربية القديمة (فرنسي - عربي)، سلسلة المعاجم رقم (٥)، الرباط، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
٢١- عبدالعزيز بنعبدالله، معجم الألوان (فرنسي - عربي) سلسلة المعاجم رقم (٦)، الرباط، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
٢٢- عبدالله بن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير، بيروت.
٢٣- محمود تيمور، معجم الحضارة، الطبعة الأولى. القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
٢٤- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٣٦) عبدالكريم خليفة، حول معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٥- مجلة اللسان العربي، المجلد السابع، محمود تيمور، الجديد في ألفاظ الحضارة، ص١٦-١٩، الرباط.
٢٦- مجلة اللسان العربي، العدد الثالث، علال الفارسي، فعالية اللغة العربية، ص٨-٢٦، الرباط.
٢٧- مجلة اللسان العربي، المجلد التاسع، محمود تيمور، ألفاظ الحضارة لعام ١٩٧١م، ص٤٠٥-٤١٠، الجزء الأول، الرباط.
٢٨- مجلة اللسان العربي، العدد السادس والثلاثون، أحمد شفيق الخطيب، ألفاظ الحضارة بين العامي والفصيح ص١٦١-١٧٣، الرباط.
٢٩- مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد الثاني، ج١ كانون الثاني سنة ١٩٢٢م- جمادى الأولى سنة ١٣٤٠هـ إلى ج١٢ كانون الأول سنة ١٩٢٢م الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤١هـ.
٣٠- مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد الثالث والرابع، ج١ في اك٢ سنة ١٩٢٣م الموافق ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ إلى ج٩ من المجلد الرابع، أيلول سنة ١٩٢٤م الموافق صفر سنة ١٣٤٢هـ.
٣١- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط.
٣٢- مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، القاهرة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م/ تصدير وإشراف الأستاذ بدرالدين أبو غازي.
٣٣- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع، المجلد الرابع، القاهرة، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م/ ألفاظ الحضارة، ص١٢٥-١٣٦.
٣٤- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد السابع، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م/ مصطلحات ألفاظ الحضارة، ص١٠٨-١٢٠.
٣٥- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد السابع، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م/ مصطلحات ألفاظ الحضارة، ص٦٧-٧٧.

٣٦- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد العاشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م/ مصطلحات ألفاظ الحضارة القديمة، ص١١٦-١٢٦.

٣٧- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثاني عشر، القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م/ مصطلحات ألفاظ الحضارة، ص٩٥-١٠٠.

٣٨- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثالث عشر، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م/ مصطلحات ألفاظ الحضارة، ص٣٥-٣٩.

٣٩- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الرابع عشر، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م/ مصطلحات الحضارة، ص٣٧-٤٣.

٤٠- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الخامس عشر، القاهرة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٤١- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد السادس عشر، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م/ ألفاظ الحضارات القديمة والوسطى.

٤٢- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد السابع عشر، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م/ ألفاظ الحضارة الحديثة، ص١١٧-١٢٥.

٤٣- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثامن عشر، مصر، ١٩٧٦م/ ألفاظ الحضارة الحديثة، ص٢١-٢٧.

٤٤- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد التاسع عشر، القاهرة، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م/ ألفاظ الحضارة الحديثة - ألفاظ في

الرياضة البدنية، ص١٣-١٦.

٤٥- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد العشرون، القاهرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م/ من ألفاظ الحضارة الحديثة - مصطلحات في التربية الرياضية/ ص١١٣.

٤٦- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الحادي والعشرون، القاهرة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م/ ألفاظ الحضارة الحديثة (في التربية الرياضية) ص٨٧-٩٠.

٤٧- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثاني والعشرون، القاهرة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م/ ألفاظ الحضارة الحديثة، ص٦٩-٧٣.

٤٨- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثالث والعشرون، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م/ من ألفاظ الحضارة (مصطلحات في الطباعة) ص٧٣-٧٨.

٤٩- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثامن والعشرون، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م/ من ألفاظ الحضارة (مصطلحات في المسرح)، ص٣١١-٣١٩.

٥٠- مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، المجلد الثاني والثلاثون، القاهرة، سنة ١|٩٩٣م/ مصطلحات في ألفاظ الحضارة، ص٣٢٩-٣٦٥.

٥١- ندى عبدالرحمن يوسف الشايع، معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر، بيروت، سنة ١٩٩١م.

٥٢- R. DOZY, SUPPLEMENT AUX DICTIONNAIRES ARBES, LEIDEN, 1881.

مناهج التأصيل في التراث اللغويّ

مثَلٌ من كتاب المُنْصف (شرح التصريف) لابن جنيّ

د. إسماعيل أحمد عمايرة
الجامعة الأردنية

يسعى هذا البحث إلى الإمساك بالخيوط المنهجيّة عند القدماء، في تأصيلهم للظاهرة اللغويّة، وهي، ولاشك، خيوط متعدّدة، تشير إلى أنهم نظروا إلى الظاهرة نظرة فيها نوع من التكامل المنهجيّ. ولكننا لا نتوقع منهم في تلك الفترة الرياديّة المبكرة، أن يكون اتضاح المناهج عندهم جلياً كجلائه اليوم، أي بعد رحلة طويلة من التطوّر العلميّ. وسعياً وراء تحقيق الهدف من هذه الدراسة، فقد حدّدت لضبط موضوعها هذين السؤالين: ما مناهج القدماء في التأصيل اللغويّ؟ وكيف يمكن أن تُقوّم جهودهم في ضوء نظرة لغوية حديثة؟

مصطلح الأصل مصطلح مُهم في الدراسات اللغويّة، إذ هو مصطلح في المنهج وقد تكرّر في جلّ المباحث اللغويّة. بيْدَ أنّه مصطلح مَعيب. ولعلّ أظهر عيوبه تعدّدُ استعمالاته بمفاهيم شتّى، تختلف باختلاف النظرة المنهجيّة. وقد ترتّب على ذلك أن خلط بعض الباحثين بين هذه المفاهيم كما سيتضح لاحقاً.

وفيما يلي أذكر جملة من أظهر المفاهيم التي استُخدمت فيها كلمة "الأصل" وأقيم عليها مفهوم التأصيل اللغويّ:

١ – المفهوم الوصفيّ

استعمل اللغويّ هذا المصطلح بمفهومه الوصفيّ القائم على درجة التردّد

والشيوع. وعلى هذا لا يكون قليلُ الشيوع أصلاً. ومثال ذلك أن عدّ المازني إبدال الواو همزة في: أحَد، وأصلها: وحد، نادراً، ولذا لا يُعَدَ أصلاً. قال: "وقالوا: أحدٌ، في:وَحَدٍ، وهذا شاذ نادر ليس مما يُتَّخذ أصلاً"[١].

ومع أننا نعلم أن بعض القدماء كان يسرف في البحث عن العلل والعوامل، غير أن بعضهم كان أقرب إلى الوصفية في اقتصاره على الظاهر. فالكسائيّ سئل عن سبب إجازته: أي، مع الفعل المضارع في نحو: سأضرب أيّهم في الدار، وعدم إجازتها مع الماضي في نحو: ضربت أيّهم في الدار، فقال: "أيٌّ كذا خُلقت"[٢].

٢- المفهوم التاريخيّ

واستعمل لفظ الأصل بمعنى الأصل التاريخيّ، الذي كانت عليه الظاهرة اللغويّة قبل أن تتطوّر أو تتحوّل عنه. وعليه فالأصل -هنا- مرتبط بالقدم. ومن لطيف ما نجده عند القدماء أن لا يكتفوا برصد التطوّر، وإنما يتجاوزون ذلك إلى تعليله، والوقوف على بعض عوامله كاختلاف اللهجات. ولننظر إلى مثل مما قاله المازنيّ في مضارع الأفعال التي تبدأ بواو، نحو: وجل، ووحِل، فإن مضارعها تتحول فيه الواو إلى ياء، لأنهم "استثقلوا واواً ساكنة بعد ياء"[٣]. فقالوا: ييْجل، وييْحل، بدلاً من: يوْجل ويوْحل. ثم أصبح الأمر في لهجة أخرى على نحو أكثر سهولة ويسراً على المتكلّم، إذا تُلْتِلَت الياء الأولى، أي كُسرت في: يوْجل، لتصبح: يِوْجل. "كسروا الياء لتنقلب الواو ياء، لأن الواو الساكنة إذا انكسر ما قبلها أُبدلتْ ياء، نحو: ميزان وميقات"[٤]. وثمّة تطوّر ثالث، إذ بعض القبائل حرصت على فتح مقطع المضارعة مع تجنب الصعوبة الناجمة عن التقاء ياء المضارعة المفتوحة مع الواو، فمدّت الفتح وحذفت الواو، فقالت: ياجَل، وياحَل.

٣- المفهوم المبنيّ على نظريّة العامل

وقد يستعمل اللغويّ الأصل بمفهوم آخر تقتضيه نظريّة العامل في التفسير النحويّ، بغضّ النظر عن المفهوم التاريخيّ، أو المفهوم الوصفيّ، كأن يقال: الأصل في المنادى النصب. فإن جاء الاسم مضموماً، قيل: مبنيّ في محلّ نصب. وذلك لأن افتراض النصب أصلاً يسير مع قاعدة النداء المركزيّة، التي تُقرّر أن الأصل في المنادى أن يكون منصوباً [٥]. وكأن يقال في قاعدة مركزيّة أخرى: الأصل في فعلي الشرط والجزاء أن يكونا مجزومين، فإن استُعمل غير المجزوم، قيل: هو في محل جزم. ولو افترض النحويّ أنّ الماضي هو الأصل، لصعب عليه أن يُفسّر الجزم في المضارع. والجزم حالة من الحالات المتغيرة التي يأتي عليها المضارع. أمّا الماضي فالأيسر أن يُعدّ فرعاً، لأنه مبنيّ، والبناء ثبوت وملازمة لأوضاع محددة، ولذا كان بحسب نظرية العامل ليس أصلاً [٦].

٤- المفهوم الاستقرائيّ

قد يؤصّل اللغويّ الظاهرة الاشتقاقيّة على أساس استقرائيّ؛ فالأصليّ من أحرف الكلمة ما ثبت في اشتقاقات الكلمة، وعكسه الزائد، وهو ما لا يثبت في اشتقاقات الكلمة. وعلى هذا فالأصوات الصامتة: كتب، أصوات أصليّة فيما اشتق من مادة: كتب، نحو: كاتب، واستكتب... وما سوى ذلك فهي أصوات زائدة.

وهذا الضرب من التأصيل يقوم على أساس المنهج الاستقرائيّ، وهو منهج ذو صبغة استنتاجيّة، إذ جعل القدماء من ظواهر اللغة ومفرداتها جزئيات نستمدّ منها القواعد الاشتقاقية. فدرسوا مجموعات اشتقاقيّة محدّدة على نحو تجريبيّ، فاستخلصوا منها أحكاماً قياسيّة، وقواعد عامّة، كأن تكون أحكام بناء اسم الفاعل من الثلاثيّ: أكل – آكل، ومن غير الثلاثي: آكل – مؤاكل؛ وكذلك اسم المفعول: مأكول، ومؤاكل؛ وهكذا في صيغ المبالغة وما سوى ذلك من أنواع

المشتقات. ثمّ يُعمَم الحكم على نحو يطّرد في مواد أخرى. وبذا تتشكّل القواعد الأصول التي هي خلاصة انتقال الفكر من الأحكام الجزئيّة إلى جميع مفردات اللغة.

وقد كان يكفي في مرحلة مبكرة أن يكون الاستقراء ناقصاً، بمعنى الاكتفاء ببعض الجزئيّات لاستخلاص الحكم العام. قال ابن جنيّ في تأكيد هذا المفهوم الاستقرائيّ: "إنك لم تسمع من العرب أنت ولا غيرك اسم كلّ فاعل ومفعول، وإنما سمعت بعضا فجعلته أصلا وقست عليه مالم تسمع" (٧). وهي سمة اتّسم بها اللغويون الأوائل، ثمّ جاءت مرحلة تتسم بالشمول، إذ أخذ اللاحق يعمّق أحكام السابقين باستعراض جزئيات أوسع، وعينات أشمل؛ ولذا كان من سمات هذه المرحلة أن كثرت أقوال اللغويّين من مثل قول ابن جنيّ: "وفعْلل يكون اسماً وصفه. فالاسم: قرْطم، وعظْلم؛ والصفة: صمْرد وهرْمل، وخرْمل، وخضْرم، وضمْرز، ولطْلط، ودرْدح؛ وإنّما أكثرتُ من هذا لأن أبا العباس ذكر أنّ فعْللا في الصفة قليل" (٨).

٥- المفهوم الاستنباطيّ

الاستقراء الناقص والاستقراء التام سمتان متتابعتان زمنيّاً ومتداخلتان أحياناً. وكلّما استقرّت القواعد وتجذّرت، فإن من الطبيعيّ أن تصبح منطلقاً لمحاكمة النصوص، بعد أن كانت النصوص منطلقاً لاستخلاص القواعد. فكأنّما القواعد مُسلّماتٌ منطقيّة لا تحتاج إلى مزيد من الاختبار. وهكذا أصبحت القواعد هدفاً يسعى اللغويّ إلى ترسيخه، حتّى لقد برز احتفاء المتأخرين من النحاة بالمثال أكثر من احتفائهم بالشاهد. فالشواهد لإنشاء القواعد عليها وتأصيلها بها. أمّا المثال فلترسيخ القواعد وتفهيمها، حتّى يلتزم الناس بالقواعد. ولذا كنت ترى جيلاً من اللغويين المعلّمين يقرّرون القواعد ثم يشرحونها بالمثال، وقلّما احتفوا

بالشواهد. وأعني بالأمثلة ما نجده لدى نحويّ كابن هشام في قوله: نعم الرجل زيد، وبئس الرجل عمرو، وزيد نعم الرجل[٩]. ومن ذلك ما نجده عند نحويّ متقدم نسبيًا، فابن جنيّ اتكأ على جملته المصنوعة "سير بزيد فرسخين يومين سيراً حثيثاً"[١٠]. فقد استثمر ابن جنيّ هذا المثال المصنوع الوحيد لتوضيح حشدٍ من القواعد المتتابعة الآتية:

١- نائب الفاعل للفعل اللازم (سير) قد يكون الجار والمجرور (بزيد)
٢- ونائب الفاعل للفعل اللازم (سير) قد يكون ظرف المكان (فرسخان)
٣- ونائب الفاعل للفعل اللازم (سير) قد يكون ظرف الزمان (يومان)
٤- ونائب الفاعل للفعل اللازم (سير) قد يكون المصدر (سير)

ومن الأمثلة الصرفيّة الاستنباطيّة أن يأتي اللغويّ إلى الظاهرة اللغويّة وفي ذهنه بعض القواعد التجريديّة، ثمّ يسعى إلى خلق واقع لغويّ، لا وجود له في واقع الاستعمال، ولكنه يجسد القواعد التجريديّة. فليس في واقع الاستعمال اللغويّ كلمات من مثل: ضَرْبَب، أو ضَرَبْنَى، أو ضَرَبَب. ولكنها رغبة الصرفيّ في اختبار ميزانه الصرفي، وهو يبني الثلاثي على وزن الرباعي، في نحو :

- بناء الثلاثي ضرب على وزن الرباعيّ جعفر، فتقول ضرْبَب.
- بناء الثلاثيّ ضرب على وزن الخماسي: سفرجل، فتقول: ضَرَبْرَب
- بناء الثلاثي: ضرب، على وزن الخماسي: حَبَنْطى، فتقول: ضَرَبْنَى، أو: ضَرَبَب[١١].

وقد مضى المازني في البناء على هذه الأوزان التجريديّة، فقال: "وإن بنيت مثْل: قَمَطْر من دَحرَج، قلت: دحَرْج، فإن بنيت مثل: جَعْفَر، من قمطر، قلت: قَمْطر، وإن قيل لك: ابن من قمطْر مثل: سَفرْجل، قلت: قمطْرر، وكذلك مثله من: جعْفر: جعفْرر"[١٢]. فهذه الألفاظ لا وجود لها في واقع الاستعمال

اللغويَ، وقد كانت قواعد الميزان الصرفيَ هي المسئولية عن إيجاد هذه الأمثلة.

وخلاصة القول في هذا المنهج أنه منهج استنباطيّ يسعى إلى إثبات أن ما يصدق على الكل (القاعدة) فإنه يصدق على الأجزاء (المثال). فإذا كان الاستقراء انتقالا من ملاحظة الجزئيات لتشكيل الكلّ أو القاعدة، فإنّ الاستنباط انتقال من الكلّ أو القاعدة، لتطبيقه على الجزئيات. وأضرب مثلا يوضّح ذلك عند القدماء، فالمسلّمة التي تقول: ينبغي أن يكون لكلّ جمع مفرد، مُسلّمة منطقيّة تؤكدها آلاف الأدلة الاستقرائية المستقاة من الجزئيات اللغويّة والملاحظات التجريبيّة، قال ابن جنيّ: "فالجمع لا يكون إلاّ عن واحد" (١٣). ومن خصوصيات الدليل الاستقرائيّ هنا أن يحدّد أن المفرد والجمع في العربيّة من اشتقاق واحد، فهذا الدليل ليس استنباطيّاً، إذ ربما لا يكون الجمع والمفرد من اشتقاق واحد في بعض اللغات، ولكن المتوقّع بداهة ومنطقاً أن يكون لكلّ جمع مفرد، دون اختلاف بين اللغات. وعلى هذا يكون اللغويّ العربيّ قد أخذ بالدليل الاستنباطي المنطقيّ الذي ينطلق من القاعدة الذهنية المجردة ثمّ بحث له عن واقع يجسده في العربيّة، ثم أخذ يستعرض الجزئيات والمفردات، ليحدّد خصوصيّة العلاقة بين المفرد والجمع، فخرج بقاعدتين استقرائيتين أخريين. وكانت المحصلة، القواعد الآتية:

١- لكل جمع مفرد (قاعدة استنباطيّة منطقيّة متوقعة في اللغات البشريّة).
٢- يلتقي المفرد والجمع على أصل اشتقاقيّ واحد، نحو معلم - معلمون، ورجل - رجال (قاعدة استقرائية عامة بالنسبة للعربيّة ولكن لا يشترط أن تكون منطقيّة حتى تعمّ جميع لغات البشر).
٣- لا يلتقي المفرد والجمع على أصل اشتقاقيّ واحد في حالات محددة، نحو: خيل - فرس، أو حصان؛ ونساء أو نسوة - امرأة (قاعدة استقرائية خاصة بالنسبة للعربيّة، ولا يشترط أن تكون منطقيّة حتى تعمّ جميع لغات البشر).

بَيْدَ أن بعض الخلط يحدث أحياناً حين يرفع النحويّ من قيمة القواعد الاستقرائية لتصبح قواعد استنباطيّة، فيعطيها قوّة تزيد على قوتها المستمدة من مدى تمثيلها لجزئيات اللغة، لتصبح قواعد استنباطيّة منطقيّة تستمد قوتها من المسلمات المنطقيّة. فالمسلمة البدهيّة في التفكير اللغويّ بعامة، أن يتصوّر المرء عدم خلوّ لغة من اللغات من ظاهرة الإفراد والجمع، أو ألفاظ المدح والذم، أو الأفعال والأسماء، أو الأسماء والصفات، أو الحقيقة والمجاز. فإذا راح يمتحن هذه المسلمات وجد أنها تنطبق على اللغات كلها أو جلها. أمّا التمادي الذي قد ينزلق إليه اللغويّ، فمبعثه أن يُضخم تصوّره لنتائج مستمدة من ملاحظات تتفاوت في استقرائها، من عينات تتباين في درجة محدوديتها، أو شمولها، في لغة بعينها، لتُعطى قوة التجريد الذهني الذي لا يستقي شرعيته من الواقع، بل يستقي الواقعُ منه قوّة وجوده.

فالنحوي مثلاً خلط في تأصيله لجملة الحال بين قاعدتين: إحداهما استنباطيّة مفادها أنّ :

- الحال تبين الهيئة (وهذه قاعدة تكتسب صفة العموم في كلّ لغة).

وأخرى استقرائية مفادها أن:

- الحال منصوبة (وهذه قاعدة تكتسب صفة العموم في العربيّة دون غيرها)

فكيف يوفق النحويّ بين متطلبات القاعدة الأولى والثانية؟

إن جملاً من نحو: جاء زيد ضاحكا، لا يحدث فيها تعارض بين متطلبات القاعدتين السابقتين: بيان الهيئة، والنصب؛ بل إن متطلبات أخرى تُراعى كذلك دون صعوبة، كأن يقال: الحال تبيّن هيئة صاحبها وقت وقوع الحدث. فالزمن

واحد، إذ المجيء والضحك حدثا في وقت واحد.

ولكن التعارض يحدث حين يحتاج النحويّ شكليًا إلى أن يُدخل في عموم القاعدة الاستنباطيّة جملاً من نحو: جلس زيد يستريح، أو أتيت زيداً أعرض عليه مسألتي، أو وقفت انتظر زيداً، فقد عدّ النحوي جملة: يستريح، وجملة: أعرض عليه، أو: انتظر زيداً، جملاً حالية. لماذا؟ لأنه قدّر أن يكون تأويلها بالمفرد اسماً مشتقاً في محل نصب، وبذا يكون قد اصطدم في هذا التأصيل بشرط القاعدة الأولى: بيان الهيئة، فإن هذه الجمل لا تبيّن الهيئة، وإنما تعلل بالدرجة الأولى. ولكن الرغبة في تعليل النصب جعله يعدها جملاً حاليّة تبيّن الهيئة. وعليه، فإن السؤال الذي تجيب عنه هذه الجمل من ناحية وصفيّة هو: لماذا؟ وليس كيف؟

وقد اشترط النحويّ أن يكون المفرد الذي تؤول به جملة الحال مشتقًا، إذ دلّ استقراء الجزئيات على أن الحال المفردة تأتي مشتقة على الأغلب. ولذا فإن النحوي لا يرغب في أن يؤوله بمصدر؛ لأن المصدر في النحو البصريّ – وهو السائد – جامد، وهو أصل المشتقات، منه جاءت. ولا يصح أن يكون بحسب القاعدة الاستنباطيّة المنطقيّة مشتقا، وإلاّ لوقع النحويّ في تعارضٍ منطقيّ باعتبار المصدر مشتقاً من جهة، وأصلاً للمشتقات من جهة أخرى. إنّها لمهمة عسيرة، بحق، أن يوفّق بين متطلّبات المناهج المتعددة. وعلى هذا فقد كان المخرج النحويّ التقليديّ، لمن أراد أن يؤول جملة:أنتظر زيداً،من الجملة: وقفت أنتظر زيداً، بمصدر، أن يعد المصدر في محل نصب مفعول لأجله. ومهما يكن فإن معنى المفعول لأجله هو الذي يسود المعنى في هذا النوع من الجمل.

فليس غريباً، إذن، أن يحدث هذا التعارض في التفكير النحوي أحياناً، فالدليل الاستنباطيّ دليل منطقيّ عقليّ، يخاطب العقول جميعها بغض النظر عن اختلاف اللغات. أي: الدليل الاستنباطي مفهوم، أو مضمون، أو معنى. أمّا الدليل

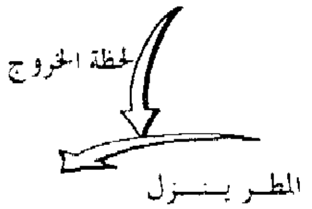
الاستقرائيّ فقد يكون مضموناً، وقد يكون شكلاً. فإن كان شكلاً فاللغات تختلف في بنائها وصيغها، ويُقرِّر هذا الاختلاف بحسب العينات أو الجزئيّات موضوع التجربة.

ولو عدنا إلى المثل نفسه من درس الحال للاحظنا أن الزمن ربما لا يثبت، بمعنى أن المجيء والضحك، ربما لا يحدثان في آن واحد في غير هذا المثال، فقولك: خرجت من البيت وقد شفيت، فيه زمنان متعاقبان. فشفيتُ تحققت قبل: خرجتُ، وعلى هذا فالعلاقة الزمنيّة يمكن أن يمثلها الرسم الآتي:

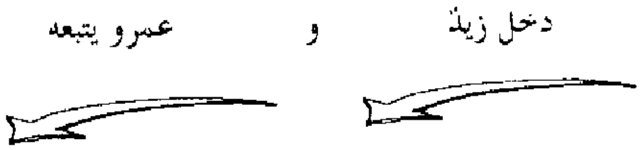
(السهم يمثل اتجاه الزمن)



ولو قلت: خرجت من البيت والمطر ينزل، لكانت العلاقة تقاطعيّة. المطر ينزل (زمن مستمر) ولحظة الخروج لحظة تقاطعيّة مع هذا الزمن.



ولو قلت: دخل زيدٌ، وعمرو يتبعه، لكانت العلاقة تتابعيّة، ولكن في اتجاه معاكس، هكذا:



إن العلاقة الزمنيّة في الجملة الحاليّة معقدة، وقد أشار القدماء إلى شيء من ذلك في نحو: زيد أبوك رحيماً، وخلق الله رقبة الزرافة طويلةً. ولا يقلّ عنها تعقيداً الزمن في جمل أخرى كالشرط. ولكنّ ما نرمي إليه هنا هو بيان أن المفهوم الاستنباطي العام الراسخ قد تعاور مع المفهوم الاستقرائي الخاص بلغة دون أخرى، فترتّب على ذلك نوع من الانفصام في تأصيل الظاهرة اللغويّة. وعلى هذا فقد عدّ سيبويه جملة من نحو: أما زيد فمنطلق، شرطيّة، رغبة في تفسير الفاء في: فمنطلق، مع أن المضمون الاستنباطيّ يستبعد شرطيتها. وقد فسّرها سيبويه بـ: مهما يكن من أمره فهو منطلق. وعدّ النحاة الفعل: يكن، والجملة بعد الفاء في نحو: إن يكن زيد خان الأمانة، فقد خانها أبوه من قبل، ركني جملة الشرط والجزاء، مع أن هذا يتعارض مع المضمون، فالفعل الذي يحمل مضمون الشرط، إما فعل محذوف تقديره: يثبت أنه خان الأمانة، أو هو الفعل: خان، أي: إن خان الأمانة. وأما جواب الشرط فمحذوف تقديره: فلا نستغرب لأن أباه خانها من قبل. إن من حقنا أن نتصور ذلك، لأن القاعدة النحويّة الاستنباطيّة تقول: "الشرط لا يقع إلاّ على فعل لم يقع"(١٤) والجزاء غير واجب آخره إلاّ بوجوب أوّله"(١٥)، وهي قاعدة منطقيّة تصلح لكل لغة، لكن النظر الاستقرائي الشكليّ ترتب عليه ملاحظة الجزم الغالب على فعلي الشرط، والجواب، ولذا أصبح الجزم مؤشراً على الشرط والجواب شكلاً، وكذلك اقتران الجواب بالفاء، إذ أصبح مؤشّراً من مؤشرات الجواب شكلاً. ولكن هذا استقراء شكليّ يشكل قانوناً من قوانين العربيّة، بيْد أنه ليس قاعدة استنباطيّة تتجاوز الأوضاع في لغة ما إلى جميع اللغات.

وعلى هذا فالمنهج الاستقرائيّ يختلف في علله عن المنهج الاستنباطيّ، إذ يسعى الأول إلى البحث عن وجه الشبه الماثل بين الجزيئات في الشكل والمضمون، حتى يتخلّق من صلب هذا الشبه قاعدة عامّة. ومثّل اللغويّ في هذا

مثل من يستعرض وجه الشبه بين الشقائق والتوائم حتى يستجمع صورة الأم (القاعدة). أمّا مثل اللغويّ في المنهج الاستنباطيّ فهو كمثل من عرف الأمّ، وأراد بملامحها أن يتعرف على الأبناء (الجزيئات)، وأن يثبت بما يعرفه من صفات الأم أن هؤلاء هم الأبناء.

٦- المفهوم الفلسفيّ للتأصيل

قد يقوم التأصيل اللغويّ على أساس فلسفيّ. ولْنضرب مثلاً على ذلك من "شرح المفصّل" لابن يعيش. فابن يعيش، كغيره من النحاة، وأخصّ المتأخرين منهم، قد يؤصّل الظاهرة اللغويّة بعلل فلسفيّة، فهو مثلا يذكر القاعدة النحويّة التي تنصّ على أنّ "كل جملة وقعت صفة، فهي واقعة موقع المفرد"[١٦]. ثمّ يلْتفت ابن يعيش إلى السبب الذي يجعل الجملة في موقع المفرد في هذا المقام، فيسأل على طريقة المتكلمين والفلاسفة، باستخدام أسلوب "الفنقلة"، الذي كثر على ألسنة المتكلمين والفلاسفة. قال: "فإن قيل: فلم زعمتم أنّ المفرد أصل، والجملة واقعة موقعه؟ فالجواب: أن البسيط أوّل، والمركّب ثان، فإذا استقل المعنى بالاسم المفرد، ثمّ وقع موقعه الجملة، فالاسم المفرد هو الأصل، والجملة فرع عليه"[١٧].

إن فكرة "البسيط" و "المركّب" فكرة مستعارة من الفكر الفلسفيّ، فالفلاسفة يخْرجون ممّا عُرف بالدور الفلسفي في "أصل" الكوْن بردّه إلى علّة أولى. وشرط العلّة الأولى أن تكون بسيطة، لأنها لو كانت مركّبة لصح التساؤل بشأنها، فقيل: من ركّبها؟ إذن، لا بدّ للأصل أن يكون بسيطاً، والمفرد في اللغة بسيط، أمّا الجملة فمركّبة، وعلى هذا فإنّ المفرد "أصل"، والجملة "فرْع"، لدى أصحاب هذا التعليل.

وارتبط الأصل والفرع بمصطلحات فلسفيّة، كالثابت والمتنقّل، والجوهر

والعرض. ومثال ذلك مذهب ابن جنيّ في الاستدلال على أنّ أصل الكلام مفردات، وليس جملاً، وأنّ علْم الصرف علْمُ مفردات، فهو علم الأصل الثابت، وأنّ علم النحو علْمُ الجُمل، فهو علْم الفرع المتنقّل، لأن موقع الكلمات (الثوابت) يتنقّل في الجملة.

وقد حشد الفكر اللغويّ كثيراً من المفاهيم الفلسفيّة، فالذين ذهبوا مثلاً إلى أن العامل في المفعول به هو الفعل والفاعل، وليس الفعل وحده، علّلوا ذلك بأن الفعل يدور مع الفاعل وجوداً وعدماً، والدوران يفيد العليّة"(١٨). فهذا التعليل فلسفي، وكذلك المصطلحات من نحو: الوجود، والعدم، والدوران، والعليّة، كلها مصطلحات فلسفيّة.

والتفكير اللغويّ كثيراً ما دخل فيه المنطق الفلسفي، فالعلة في المنطق الفلسفي تتقدّم على المعلول، وهو يدور معها وجوداً وعدماً. وهذا حُكم مقبول في عالم المعاني والموجودات. فلو طبقنا ذلك على جملة من نحو: إن تدرسْ تنجح، لكانت النتيجة (أي النجاح) متعلقة بالعلة (الدراسة). وهذا منطق صحيح لا يختلف فيه الناس، حتى لو اختلفت في التعبير عنه ألسنتهم، وأعصارهم وأمصارهم... غير أنّ محاولة تشبّث اللغويين بتطبيق هذه النتيجة الاستدلاليّة على ترتيب الكلمات في الجملة الشرطيّة، لا يطّرد على هذا النحو المنطقي دائماً. فأنت تقول: تنجحُ إن تدْرُسْ. فتكون النتيجة لفظاً قد تقدّمت على العلّة، وهذا جائزٌ لغة، ولكنه غير جائز من المنظور المنطقي الفلسفي، إذ به يحصل تعارض. وبذا يكون الترتيب اللفظي قد تعارض مع ظاهر المقتضى المنطقي. فماذا يقول اللغويّ إذا سيطر عليه النظر المنطقّي الفلسفيّ، في نحو: تنجحُ إن تدرس؟ إنه لا يَعُدّ: تنجحُ، جواب الشرط مقدّماً على فعله، فيقدّر جواباً للشرط مؤخراً، حتى تكون النتيجة اللغويّة منسجمة مع موقعها اللاحق للنتيجة المنطقيّة. قال ابن السّراج: "كلّ شيء يكون سببا لشيء أو علة له، فينبغي أن تُقدّم فيه العلةُ على

المعلول. فإذا قلت: إن تأتني أعطك درهماً، فالإتيان سبب للعطيّة، بـه يستوجبها، فينبغي أن يتقدّم، وكذلـك إذا قلـت: إن تعص الله تدخل النـار، فالعصيـان سبب لدخول النار، فينبغي أن يتقدّم. فأمّـا قولهـم: أجيئك إن جئتنـي، وآتيك إن تـأتني، فالذي عندنا، أن هذا الجواب محذوف، كفـى عنـه الفعل المقـدّم"(*). فـانظر كيف أدى هذا التأصيل المنطقيّ الفلسـفيّ إلـى عـدم عـدّ الجـواب المقدّم جوابـاً، فكأنما أصبحت الجملة هكذا: تنجحُ إن تدرسْ تنجحْ.

فالنحويّ – على هذا – يسـعى إلـى منْطقـة اللغـة، أحيانـاً – حتـى يسـتطيع بذلك أن يفسر شكلها الظاهر، وكأن المنطق هو السبيل الأيسر لفهم الأشياء، حتى لـو أدّى ذلـك المنطـق إلـى إيجـاد شـيء غير موجـود بالنسـبة للنظـر الوصفـيّ الخالص.

إن تساوق متطلبات المنطق مع المجرى اللغوي يبدو صعباً أحياناً، فمع أن المنطق أداة إنسانيّة عامة في التعامل مع مظاهر الوجود، بيْد أنه لا يشـكل سوى جزء من عوامل التكوين اللغـويّ. والظـاهرة اللغويّـة شـكل مـن أشـكال الظـاهرة الإنسانيّة، وهي أشدّ تعقيداً من الظاهرة الطبيعيّة، فإذا كان المنطق لا يسـتطيع أن يفسر لنا الظاهرة الطبيعيّة، تفسيراً كاملاً، فكيف يمكنه أن يفسر الظاهرة الإنسانيّة في شكل من أشد أشكالها تعقيداً، ألا وهو: اللغة: وعاء التعبير عن عوالم الطبيعة والنفس.

وعلى أي حال، فلا نحسب أن تقديرات اللغويين: القدامـى والمحدثيـن فـي معرفة الظاهرة اللغويّة، سـوى استجابة لذلـك الاندفـاع الغريـزيّ المتكـرّر، نحـو تسلّق الذُرى تجاه أسرار المجهول، المجهول اللغويّ، وقد أفلحوا، حيناً، أو كـانت عثراتهم سبيلاً إلى التراجع نحو الصواب حينا آخر.

٧- المفهوم الشرعيّ الإسلاميّ للأصل

رأينا كيف تأثّر ابن يعيش بالمفهوم الفلسفيّ في عدّ المفرد "أصلا" في النعت؛ لأن المفرد بسيط، وفي عدّ الجملة فرْعا لأنّها مُركّبة. ثمّ يُقدّم ابن يعيش دليلاً آخر على أصليّة المفرد، وفرعيّة الجملة. وهو دليل مقيس على دليل شرعيّ. فالمفرد في مقام "الرجل"، والجملة في مقام المرأتين. قال: "ونظير ذلك في الشريعة شهادة المرأتين فرْع على شهادة الرجل"(١٩)، فالمفرد أصل كالرجل، والجملة فرع كالمرأتين.

ولا يخفى أن هذا القياس التأصيليّ قياس بعيد عن طبيعة اللغة، وهو من باب تأثر التفكير النحويّ بعلوم الشريعة. وليس هذا بغريب. فقد كان كثير من النحاة فقهاء، وكان ابن يعيش نفسه قاضياً. والنحو أساس مُهم في درس العلوم الشرعيّة. فليس غريبا أن تتداخل مناهج التفكير في هذه العلوم، وأن تتجاذبها عوامل التأثّر والتأثير.

ومن أظهر الأمثلة التي تُبرز أثر الخلفيّة الفكريّة على اللغة، ما تجاذبه المفسرون واللغويون من آراء وعِلَل حول أصل الظاهرة اللغوية برمتها: أهي اصطلاح أم توقيف؟ وقد كان تباينهم واضحا في تفسير قوله تعالى: {وعلّم آدم الأسماء كلّها}.

٨- المفهوم الوظيفي للتأصيل

ثمّة تأصيل وظيفي، إذ يُعدّ الأصل أصلاً لأهميته الوظيفيّة، فالفاعل عند الخليل أحق بالرفع من المبتدأ، ويُعلّل ذلك بمدى حاجة كلّ منهما إلى العلامة الإعرابيّة، فإذا قلت: ضرب زيدْ بكرْ، بتسكين كلّ من: زيد وبكر، لم يُعرف الضارب من المضروب، ولذا كان الرفع في الفاعل أصلاً حتّى نميزه من

المفعول. ولو قلت: زيدْ قائمْ، بالتسكين، فإن دلالتهما على المبتدأ والخبر تبقى قائمة. وعلى هذا، فافتقار الفاعل إلى الرفع أشدّ، فهو للفاعل أصل منه للمبتدأ[٢٠].

ومن أمثلة ذلك أن تُعَدّ الألف في نحو: يا زيداه، ألف نُدبه. قال الفرّاء: "الأصل في النداء أن يقال: يا زيداه، كالندبه"[٢١]. وهذه الإشارة فضلا على التقائها مع المنهج التاريخي في تفسير هذه الألف بوصفها لنداء المتفجّع عليه، فإنّها تأخذ بجانب المعنى. إذ اكتفى من حرفي النداء للمتفجع عليه (وهما: يا+زيد+ ا) بتكرار الألف من ثانيهما لإطلاق الصوت بالنداء. أمّا النظرة الثانية في تفسير هذه الألف فمبعثها تفسير عدم بناء زيد على الضم، كما هي قاعدة المنادى إذا كان علما مفردا. فعدوا الألف في: زيداه بمنزلة المضاف إليه[٢٢] ليسوّغوا حركة الفتح على المنادى العلم المفرد.

مَثَل على مغبة الخلط بين مناهج التأصيل

لا شك في أن اختلاف المناهج قد يساعد في إضاءة الحقيقة اللغويّة، والوقوف على جوانبها المتعدّد، وربما لا يتاح للباحث من خلال منهج واحد أن يرى ما يمكن أن يراه باستخدام منهجين أو أكثر. فالمنهج التاريخيّ يقف بنا على مراحل الظاهرة، وتطوّراتها، ويقف بنا المنهج المقارن على كونها أصيلة أو دخيلة، وإذا كان المنهج التاريخيّ يفهم الأصل بمعنى القدم، ويفهمه المنهج المقارن بمعنى يغاير معنى الدخيل، فإن المعياريّ يفهمه بمعناه القاعديّ الذي يصلح أن يقاس عليه، ويستأنس به في ضبط الكلام، ويفهمه الإحصائي بمعناه الرقميّ، إذ الأصل هو الأكثر... وهكذا يتعدد النظر المنهجيّ، وكلّ منهج يتكفّل بإضاءة سطح أو عمق من أسطح الحقيقة اللغويّة وأعماقها.

بيْد أن هذا التعدّد ينطوي على بعض الخطورة، فلو أننا خلطنا في البحث

الوصفيّ الإحصائيّ بين مفهوم الأصل بمقتضاه التاريخي، ومقتضاه المعياريّ مثلاً، لركبنا بذلك شططا، ولعمّينا الأمور ولم نضئها. وهذا ما حدث في الواقع أحياناً، ولنضرب لذلك مثلاً بمسألة تحتاج إلى التأصيل التاريخيّ، ولكن ابن عصفور يعالجها معالجة تنأى بها عن هذا المنهج، فهو يتحدّث عن الكلمة، تأتي في موضع على نظْم ما، كأن يقال: جذَب، ثم تأتي في موضع آخر، على نظْم مختلف، كأن يقال: جبَذ، ثمّ يسأل ابن عصفور قائلاً: "فبمَ يُعْلَمُ أن أحد النظمين أصل، والآخر مقلوب منه؟"[٢٣].

استخدم ابن عُصفور الأساس الوصفيّ القائم على كثر التردّد والشيوع في الحكم على الأصل التاريخيّ الذي يُعتمد فيه على معرفة الأقدم، وما كانت عليه الظاهرة. ومن الأسس التي قدّمها في تأصيل هذه الظاهرة التاريخيّة "أن يكون أحد النظمين أكثر استعمالاً من الآخر، فيكون الأكثر استعمالاً هو الأصل، والآخر مقلوباً منه، نحو: لَعَمري، ورَعَملي، فإن لعمري، أكثر استعمالاً، فلذلك ادّعينا أنّه الأصل"[٢٤].

وليس الاعتراض هنا على النتيجة التي انتهى إليها ابن عُصفور في أن لعمْري، أصل، والأخرى مقلوبة عنها، وإنّما الاعتراض على الاستدلال بكثرة الشيوع في مسألة تاريخيّة. ولنأخذ مثلا على ذلك كلمة: رُكْبة، فهي السائدة في العربيّة، وهي مقلوبة أصلاً من: بُرْكة، بدليل أن العربيّة ما تزال تستخدم فعلها الأصلي: برَك، على أصوله العتيقة، فيقال، برك الجمل، إذا جثا على رُكبتيه، ولو لم يُقلب لقيل: على بُرْكتيه، والدليل الآخر دليل تاريخي مقارن، إذ وردت هذه الكلمة في اللغات الساميّة من مادة: برك، وليس من مادة: ركب. وقل مثل ذلك فيما جاء على وزن افتعل، نحو: افتتح، فإن أصلها الساميّ: اتفعل، وقد حدث هذا القلب في العربيّة إلاّ في بعض اللهجات، كلهجة القاهرة.

ومن أسس ابن عصفور في هذه المسألة قوله: "أن يكون أكثر التصريف على النظم الواحد، ويكون النظم الآخر أقلّ تصرّفاً، فيُعلم أن الأصل هو الأكثر تصرّفاً، والآخر مقلوب منه".

وقد استصوب ابنُ عصفور الجرميَّ في عدّه: اطمأنّ، أصلاً، وذهب إلى الإعراض عن رأي سيبويه في أن أصلها: طأمن، وليس طمأن، قال ابن عصفور: "وذلك نحو اطمأنّ وطأمن. فالأصل عند سيبويه أن تكون الهمزة قبل الميم، و: اطمأنّ، مقلوباً منه، لما ذكرنا. وخالف الجرميُّ في ذلك، فزعم أن الأصل: اطمأنّ، بتقديم الميم على الهمزة، وهو الصحيح عندي، لأن أكثر تصريف الكلمة أتى عليه"[٢٥]. ولكن تعليل ابن عصفور يعود بنا إلى الاتّكاء على جانب وصفيّ عماده كثرة الاطّراد والشيوع. على أن النظرة التاريخيّة المقارنة تشير إلى أن الهمزة في هذه الكلمة زائدة أصلاً، إذ وردت هذه الكلمة بأصولها الثلاثيّة في بعض اللغات الساميّة، كالعبريّة، فهي טמן طمن. ويرى بعض علماء الساميّات أن النون فيها قد تبادلت مع الراء في الآراميّة טמר، وفي السريانيّة[٢٦] ܛܡܪ. وفي الأكاديّة[٢٧] temeru بالراء، ويقارنون ذلك بمادة: طمر، في العربيّة. وعلى هذا يكون تبادل النون والراء قد حدث في هذه اللفظة من اللغات الساميّة، وينبغي أن نلاحظ أن هذا الرأي يغفل التباعد في المعنى بين: طمر، وطمن. وقد حدث التبادل بين الراء واللام أيضاً في هذه اللفظة من العربيّة، حيث جاءت لفظة الطُمْرور باللام: الطملول، إذ هي لغة فيها[٢٨]. ولا نستبعد أن يكون تباعد ما بين هذه الكلمات لفظاً ومعنى من أثر التطوّر، فكثيراً ما توظّف اللغة التباعد اللفظيّ توظيفاً معنويّاً.

وقد أحسن ابن منظور إذ عالج هذه الكلمة: طمأن، تحت الثلاثيّ: طمن. فكأنما استشعر أن هذا الثلاثي هو الأصل التاريخيّ الذي مات من العربيّة. قال:

"وطمن غير مستعمل في الكلام" [٢٩]. وعلى هذا يكون وزن: طمأن فعـأل، وليس فعلل. ونظرة ابن منظور التي تتعامل مع الأصل بحسب ما استقرّ عليه الاستعمال، وليس مع ما كان عليه تاريخيًا، تتناسب ومتطلبات المنهج المعياريّ الذي تسير عليه المدرسة العربيّة.

وأمّا الهمزة في اطمـأنّ فجاءت من محاولة بعض العرب للتخلص من المقطع الطويل المغلق mān في اطمـانّ it/mān/na'، وذلك بقسمة هذا المقطع إلى قسمين: قصير مفتوح ma وقصير مغلق an'. فهذه كانت حيلة بعض العرب في التخلّص من المقطع الطويل المغلق، في نحو: الضالّين التي قرئت: الضألّين [٣٠]. وعلى هذه القراءة جاءت ألفاظ من نحو: اخضأر، من اخضارّ، واصفأر من اصفار... وهكذا. ومن العرب من تخلّص من المقطع الطويل المغلق بتقصيره دون الحاجة إلى الهمز، فقيل: افعلّ، في: افعالّ، ومثال ذلك: اخضرّ، واصفرّ، ومنه تقصير الواو في نحو: لتركبُنّ، إذ أصلها: لتركبونّ، إذ قُصّر المقطع الطويل المغلق būn من تركبونّ tar/ka/bun/na ليصبح مقطعاً قصيراً مغلقاً bun من تركبُنّ tar/ka/būn/na. وهذه الظاهرة هي التي فسّرها القدماء بالتقاء الساكنين، إذ عدّوا الألف – وهي الحركة الطويلة – ساكنة، تأثّراً بالشكل الكتابيّ للألف. إذ ما دام الصوت، أو بتعبيرهم: الحرف، له شكل كتابيّ، فهو يحتمل أن يحرّك أو يسكّن، وعلى هذا عُدّت الألف ساكنة.

فالهمزة، إذن، مجتلبة، وأصل الكلمة:طمن، ولم يغب الحسّ التاريخيّ عن ابن منظور، وهو يعرض هذه الكلمة تحت مادة: طمن. فقد عرض لهذه الكلمة في غياب الأصل: طمن، قائلاً: "إن الهمزة لمّا لزمت اطمأنّ، وهمزوا الطمأنينة، همزوا كلّ فعل فيه" [٣١]. وهذا من باب تعميم الهمزة، كأنمّا هي أصليّة، إذ لم تعُد محصورة في غرض التخلّص من المقطع الطويل المغلق.

وقد تبادلت الهمزة والعين بوصفهما حرفين حلقيين، فقال بعضهم: افعالّ. وقال آخرون: افْعَعَلّ، كما هي الحال في اقشأرّ واقشعرّ، وابذأر، وابذعرّ، كما تبادلت الهمزة والهاء في نحو: اكفأر واكفهرّ (من كفر)، وازمأرّ وازمهرّ (من زمر) (٣٢).

وعلى هذا فالصيغ الآتية تمثّل تطوّرات تاريخية، ومفارقات لهجيّة، وكلّها تعود إلى أصل ثلاثيّ واحد:

افعالّ – بالمقطع الطويل المغلق

افعَلّ – بتقصير المقطع الطويل ليصبح قصيراً مغلقاً.

افعألّ – بقسمة المقطع الطويل المغلق إلى قصير مفتوح وقصير مغلق.

افعَعَلّ – بإبدال الهمزة عيناً.

افعهَلّ – بإبدال الهمزة هاءً

فالمسألة التي طرحها ابن عصفور لا تعالج بحسب التأصيل القائم على التردّد والشيوع. فتأصيل كهذا لا يتفق والمفهوم التاريخي الذي يبحث عمّا كانت عليه الظاهرة، حتى وإن قلت الشواهد؛ فإن كثيراً من الظواهر اللغويّة التي أصبحت نادرة، تشكّل أصلاً تاريخياً لما آلت إليه هذه الظواهر، فانتشرت في شكلها الجديد، أو ماتت، فلم تبق منها باقية.

مناهج التأصيل الصرفيّ في كتاب المنصف (شرح التصريف) لابن جني

كتاب "المنصف"، كتاب يشرح فيه ابن جنيّ (المتوفّى سنة ٣٩٢هـ) كتاب "التصريف" للمازنيّ (المتوفّى سنة ٢٤٧هـ). وللمازنيّ فضل السبق في تصريفه. بَيْدَ أن ابن جنيّ قد أغنى هذا الكتاب إغناء ببصيرته اللغويّة النافذة، بل لقد أغنى

التفكير الصرفيّ العربيّ، بمنهجيته في التفكير والإقناع. وفي وسع المرء أن يرى فيما اختطه ابن جنيّ، أثراً واضحاً، أو غامضاً، من آثار ما انتهت إليه المناهج اللغوية الحديثة. وعلى أيّ، فالأثر الواضح، أو الغامض، الذي اختطه، يمثل إرهاصاً تراثيًا لما انتهت إليه العقليّة الحديثة من تفكير منهجي. فالمناهج الحديثة لم تأت من فراغ. وهي خلاصة رحلة العقل الإنساني في التفكير، تتداخل مراحلها وحلقاتها، حتى تتشكل من هذه المراحل سلسلة زمنية لعُمْر مسيرة العلم. ومن هذه الحلقات تخلّقت مراحل التطوّر العلمي للبشريّة.

وسيتركّز الجهد في هذا البحث على دراسة الخيوط المنهجيّة في كتاب المنصف، فهو أنموذج حيّ للمعالجة التراثيّة ممثلة في ابن جنيّ، بوصفه علماً من أعلام التراث اللغوي، الذين أرسوا دعائم منهجيّة كثيرة. وسوف أحدد الغاية من هذا التتبع في الهدفين الآتيين:

١ – الوقوف على الآثار المنهجيّة المعاصرة في جذور التراث الصرفيّ.

٢ – تقويم بعض هذه الآثار في ضوء ما استقرت عليه المناهج المعاصرة.

وليس المقصود في هذا البحث أن تُستقصى المادة، وأن تُحصر الحالاتُ التي تقع تحت نقطة بعينها. إذ حسْبُنا أن نتتبع مسار كلّ خيط منهجيّ بمثال أو أكثر، بما يكفي لإيضاحه في نسيج التفكير اللغويّ بعامّة. إذ استقصاء الأمثلة سيؤدي إلى تضخيم العمل، وقد يترتّب عليه إيراد بعض الأمثلة التي لا يكون إيرادها تحت فئتها، غير خالٍ من إضعاف الفكرة الأساسيّة، ممثلة في إظهار السمات المنهجيّة إظهاراً تقويميًا، يدل على أنّهم عرفوا تلك الأسس بوضوح، حاسم تارة، أو يعتريه خفاء، تارة أخرى. وسوف أتناول هذه الجوانب المنهجيّة في شكل نقاط لعلّ أهمّها :

أولاً : التأصيل التاريخيّ

ومن مظاهره :

١ – التأصيل التاريخيّ القائم على دليل نصّي

عدّ ابن جنيّ أصل كلمات من نحو: عُلبط، وعُكمس، بالألف: عُلابط، وعُكامس. واستدل على ذلك بالنصوص التي جاءت عليها هذه الكلمات بالألف، نحو قول الراجز:

ما راعني إلاّ جناحٌ هابطا على البيوت قَوْطَهُ العُلابطا[٣٣]

ومعلوم أن المنهج التاريخيّ يعتد بالنصّ بوصفه وثيقة تاريخيّة يُنطلق منها في التأصيل التاريخيّ. وإيراد الشاهد ليس أمراً نادراً في تأصيل القدماء، وسيكون من الابتذال أن نستفيض في ذكر المواطن التي تدل على هذا المبدأ الأساسيّ في التفكير اللغويّ بعامّة، وإن كان إيراد الشاهد ليس دالاً دائماً على التأصيل اللازم في السياق التاريخيّ؛ إذ قد يرد الشاهد لتقرير واقع وصفيّ، دون أن يقرّر أصلاً تاريخياً. ومن جانب آخر، فليس كلّ تأصيل تاريخيّ يقوم على الشاهد، إذ كثيراً ما يكون التأصيل التاريخيّ مفتقراً إلى الشاهد، ومستنداً إلى الاستنتاج، أو الدليل الفلسفيّ، أو غير ذلك. وسيمر بنا تفصيل ذلك لاحقاً في هذا البحث.

وعلى أيّ، فإن ابن جنيّ يؤكّد دور الشاهد في أكثر من موقع، فهو يتحفّظ إزاء كسر الحرف الأول، والخروج منه إلى الضمّ في وسط الكلمة، كضمّ الباء في زِنْبُر، وضِئْبُل وإصْبُع، ولم يَعُدّ ذلك أصلاً يقاس عليه، لعدم توفر النصّ الثابت. قال: "لأنّها لم يصحّ بها ثَبَت"[٣٤]. وقد يشك ابن جنيّ في رأي أو رواية لغويّة تروى، فيعرب عن شكه بنحو قوله: "وما أنا من هذه الحكاية عن ثقة"[٣٥].

٢ – التأصيل التاريخيّ القائم على الاستنتاج العقليّ

عدّ ابن جنيّ[٣٦] أصل الأفعال الجوفاء، نحو: قال، وخاف، وطال؛ هو: قوَل، وخوِف، وطوُل. وأمّا دليله على ذلك فلا يقوم على النصّ، إذ لا يوجد نصّ بهذا الأصل. وإنّما استنتج ذلك من اشتقاقات هذه الأفعال، كالمضارع مثلاً، وهو استنتاج مصحوب بالتعليل، إذ انقلبت ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها.

ولم يكن الحسّ التاريخيّ ليغيب عن ابن جنيّ وهو يؤصل نحو: قام، وباع. فهو يدرك أنّ الدليل النصيّ ينقصه، ويقرر أن أصل: قام: قوم، من خلال الاستناج العقلي الذي يفتقر إلى الدليل الوثائقي، الذي يبحث عنه أصحاب المنهج التاريخي أوّلاً. قال ابن جنيّ: "وينبغي أن يُعلم أنه ليس معنى قولنا: إنه كان الأصل في قام وباع: قوَم وبيَع، وفي أخاف، وأقام: أخوف، وأقوم... أننا نريد به أنهم قد كانوا نطقوا مدّة من الزمان بقوَم وبيَع، ونحوها مما هو مغيّر، ثم إنهم أضربوا عن ذلك فيما بعد، وإنما نريد بذلك أن هذا لو نُطق به على ما يوجبه القياس بالحمل على أمثاله لقيل: قوَم، وبيَع، واستقوم، واستعون"[٣٧]. وقال في موضع آخر: "ألا ترى أنهم قد أجمعوا على أن أصل: قام: قوَم، وهم مع ذلك لم يقولوا قطّ: قوَم، ويقولون: إن أصل يقوم: يقْوُم ولم نرهم قالوا: يقْوُمُ، على وجه، فلا يُنكر أن يكون هنا أصولٌ مقدّرة غير ملفوظ بها"[٣٨].

وابن جنيّ مُحق في تصوّر أن العرب لم ينطقوا بذلك في عصور الاحتجاج، ولكنه لا يستطيع أن ينفي احتمال ذلك في عصور سحيقة من عُمر اللغة.

وهذا الاستنتاجُ عقليّ يدخل في إطار التأصيل التاريخيّ. فالمؤرّخ من حقّه أن يتخيّل الحلقة المفقودة في ضوء الحلقات البائنة التي يؤيّدها الشاهد النصيّ. بل إن من واجب المؤرّخ أن يقدّم تصوّرا عن المفقود في ضوء ما هو معلوم حتى

يتسنى للحقيقة التاريخيّة أن تظهر في صورة جسد متكامل، فلا تبقى أشلاء مبعثرة. وعالم الآثار من شأنه أن يُصمّم قطعة تتناسب وحجم القطعة الساقطة من أثر فنيّ، حتى يستوي له أن يتخيّل الأثر الفنيّ في صورته الأصليّة التي كان عليها. وهذا حق مشروع وأصل متّبع في المنهج التاريخيّ.

وقد أكّد علم الساميّات ما ذهب إليه القدماء في أصل هذه الأفعال. فالفعل الناقص: تلا، هو في الحبشيّة [٣٩] : تلوَ talawa، ورمى: رَمَيَ ramaya، ويقال في تصريف هذه الأفعال في الحبشيّة: رميتْ ramayat أي: رمتْ، و talawat في:تلتْ. ومع واو الجماعة: رَمَيو ramayū أي:رموا، وتليو talayū، أي: تلوا. أمّا العربيّة، والعبريّة والآراميّة. فقد قلبت الياء ألفاً (العبريّة r'āmā، والآراميّة r'ema، أي رمى). أما الحبشيّة [٤٠] فقد قدّمت لنا الأصل التاريخيّ دون أن تقلب الياء ألفاً. بل لقد تطوّرت العبريّة في إسناد الفعل الماضي إلى واو الجماعة أكثر من تطوّر أخواتها. فقد حافظت العربيّة والآراميّة على الفتحة التي تسبق الياء المحذوفة، وحذفتها العبريّة.

ففي العربيّة	ramaw ← ramayū
وفي الآرامية	r'emaw ← re'mayū
وفي العبريّة	rāmū ← r'āmayū

أمّا الحبشيّة فالفعل فيها على الأصل ramayū، ويبدو أنّ العبريّة قد قاست في حذفها الحركة التي تسبق الياء المحذوفة، الفعل الناقص على الفعل الصحيح، وهو ما يحدث في لهجات العربيّة الحديثة، إذ يقال في ramaw ← ramū. وبذا يكون الخط التطوريّ في هذه اللهجات قد مرّ بالمراحل الآتية :

ramū ← ramaw ← ramäw ← ramayū

أمّا في الأفعال الجوفاء، نحـو: قـام، وأصلها التـاريخيّ القائم علـى الدليل الاستنتاجيّ الاشتقاقيّ عند القدماء، فإن فـي وسـع المرء أن يرى أثـر الـواو فـي أصلهـا فـي الحبشـيّة[٤١]، إذ هـي qōma فـي مقـابل: قـام العربيّـة، و qām الآراميّة[٤٢] والعبريّة[٤٣]. فهي في الحبشيّة واو ممالة بيـن الألـف ā، والـواو ū، فتطوّرها في الحبشيّة يمثّل مرحلة متوسطة بين ū و ā.

ومن المفهوم التاريخي القائم على الدليل الاشتقاقيّ الاستنتاجي أن عَدَّ ابـن جنيّ المبني للمعلوم أصلاً للمبنـيّ للمجهـول. قـال: ألا تـرى أن منقـول: ضُـرِب، من: ضَرَب"[٤٤]. وكذلك في: قيـل، وخيـف، ونحوهمـا. فأصلهمـا: قُـوِلَ وخُـوِفَ. قال: ابن جنيّ في إشارة صريحة إلى الجانب التطوريّ فـي هـاتين الكلمتيـن: "ثمّ غيـرا بعـد ذلـك"[٤٥].

ويدرك ابن جنيّ أن الأصل التاريخيّ قد يندثر لأسباب أخرى. فيُكرم، مثلاً أصلها: يؤكـرم، وعلـى ذلـك نـصّ: (فإنـه أهـل لأن يؤكْرمـا) ولكـن هـذا الأصـل يتطـوّر، إذ كرهـوا اجتمـاع همزتيـن فـي: أؤكـرم، ثـم قاسـوا عليهـا بقيّـة أحـرف المضـارعة، وهذا ما أطلق عليه ابن جنيّ اسم التجنيس[٤٦] قال ابـن جنـي " فَرُبَّ حرف يجيء على الأصل ويكون مجرى بابه (قياسه) على غير ذلك"[٤٧].

ولم يخف الأصل التاريخيّ للزيادة بالهاء في وزن: هفعل، في كلمـات مـن نحو: هجْرع، وهبْلع، وهرْكولة، على بعض القدماء كـالخليل بن أحمد. فـالهمزة على هذا زائدة. أما ابن جنيّ فيرى أن الهمزة هنـا أصليّـة[٤٨]. كمـا خفيـت زيـادة السين في نحو: سلقى، بمعنى ألقى. وعلى هذا جعل ابن جنيّ مُسلْقَى، علـى وزن مُفعْلى، بدلا من: مُسْفَعل[٤٩].

أمّا النظرة المقارنة فتقرّر أن الهـاء زائـدة، وهـي فـي مقـابل الهمـزة. وقـد استخدمت هـذه الهـاء فـي العبريّـة، وهـي السـائدة فيهـا. وفـي العربيّـة الجنوبيّـة

(السبئيّة) زيد بالهاء والهمزة في نحو: hqnyṯ بالهاء و qnyṯ' بالهمزة، وتعني: هديّة، أو قربان (٥٠). ومنه hḥdṯ وتعني: أحدث. وقد استخدمت الهاء كذلك في الأراميّة، فقيل haqīmeh وتعني: أقام، إلى جانب الهمزة aqīmeh' (٥١). ومن اللغات الساميّة (٥٢) ما استخدم šā كالأراميّة šezeḇ وهي في السريانيّة šawzeḇ وتعني: أنقذ، و šaᶜbeḏ يخدم، و šalef غيّر، و šalheḇ أحرق، šamlī أتمّ، و šaᶜlī أعلى.

وقد احتفظت العربيّة ببقايا من الزيادة بهذه الشين في نحو: شَمْلَق أو سملّق للعجوز الداهية، وشنْترة، للناتر أو الناتئ (٥٣). ومنه في بعض العاميّات: شقلب، بمعنى قلب، وسهمد، بمعنى همّد، وشقرم، بمعنى قرم.

ومن المسائل التاريخيّة التي أصّلها ابن جنيّ معتمداً على الاشتقاق، الألفاتُ في حروف المعاني. قال: "الألف فيهن أصل، غير زائدة، ولا منقلبة، والدليل على ذلك أنّها غير مشتقّة، ولا متصرّفة... وبالاشتقاق تُعلم الزيادة من الأصل" (٥٤).

وقد استدل بمبدأ الاشتقاق على أصليّة الألفات في الأسماء المبنيّة، نحو: متى، وأنّى، والأصوات المحكيّة، مثل: غاق (لصوت الغراب)، والأسماء الأعجميّة.

وقد يكون للمنهج المقارن مجال في تعميق النظر إلى الألفات في حروف المعاني. فهذه الكلمات استقرّ حالها في العربيّة بدخولها في البناء، وإن كان في العربيّة من بعض أحوالها ما يشي بأصول لها يمكن أن تردّ إليها. فالألف في: على، تصبح ياء، في عليهم، وتبقى ألفا في بعض اللهجات العربيّة قديماً وحديثاً، إذ يقال: علاهم، بمعنى: عليهم، وكذلك الألف في: إلى، إذ تقلب ياء في: إليك، وإليها...

ومعلوم أنّ هذه الألف التي حُذفت من אֶל el "إلى" و עַל

cal "على" في العبريّة، تعود إليها ياء في تصرّفها مع الضمائر، فيقال: אֵלֶיךָ

ēlēha "إليك"، و אֵלֶיהָ ēlēhā "إليها"، و עָלֶיךָ cālēhā "عليك"، و עָלֶיהָ

cālēhā "عليها". ولو استأنسنا باللغات الساميّة في مراقبة أصول هذه الألفات في حروف المعاني لوجدنا أنّ الألف في: متى، تقابلها الباء في السبئيّة (من العربيّة الجنوبيّة) mt(y)، وفي العبريّة mātay، وهي أيضا ياء في الأكاديّة mati. وأمّا: على، فهي: cly في السبئيّة، وفي الأكاديّة eli[(٥٥)]. وقد حُذف الصوت الصائت الأخير في كلّ من الآراميّة والعبريّة، إذ هي فيهما cal، ولكنها تظهر ياء عند تصرّفها مع الضمائر كما أوضحنا في العبريّة.

ويتدرّج ابن جنيّ في تطوّر كلمة (ذا) فيرسم لها الخطّ التطوّريّ الآتي[(٥٦)]:

١- أصلها: ذيّ: بالتشديد، على وزن فعّل.
٢- ثمّ حذفت اللام لضرب من التخفيف، فبقي من الكلمة: ذيْ.
٣- ثم قلبت ياؤها ألفا، فصارت(ذا).

أمّا: ذيّ، فيبدو أنّها أصل افتراضي أملته نظريّة الأصل الثلاثيّ لكثير من الأسماء الثنائيّة، نحو: أب، وأخ، وحم. ومن ذلك : ذا، التي أعاد فيها ابن جنيّ الألف إلى ياء مشدّدة، ووزنها بـ:فعّل. ولا نستبعد أن يكون أصل: ذا، هذه، منقلبا عن ياء غير مشدّدة، والدليل النصيّ على ذلك ما ذكره ابن جنيّ عن سيبويه، وهو أنّ بعض العرب يُميلون ألف: ذا، نحو الياء.

وقد استعملت: ذا، في العربيّة واللغات الساميّة دالّة على اسم الإشارة، والاسم الموصول. وقد وردت في العربيّة بالأشكال الثلاثة:

– **بالألف**: ذا، اسم إشارة للمذكّر، وذا من الأسماء الخمسة حال النصب، وهي في هذه الحالة الثانية تقترب من استعمال الاسم الموصول، فرأيت ذا مال، أي الذي له مال، ولكنها في اسم الإشارة ثبتت على حال واحدة، إذ أصبحت مبنيّة، وأضيفت إليها أداة التعريف.

– **بالياء**: ذي، اسم إشارة للمؤنث. و: ذي، من الأسماء الخمسة حال الجرّ، وهي كذلك اسم موصول. وقد استقرّ وضعه مركّباً مع ال، في: الذي، ويبدو أنّه في الأصل:ال+ل+ذي، وقد ثبت على الياء فاقداً احتمالات التشكّل الإعرابيّ. ولا شكّ في أنّ نطقنا له أدلّ من شكله الكتابي، فصورتها المنطوقة بلامين allađi.

– **بالواو**: ذو، من الأسماء الخمسة حال الرفع، وقد احتفظت لنا كتب اللغة ببقايا من استعماله بالواو عند قبيلة طيء. كما جاءت: ذو، هذه في نقش النمارة بالواو، اسماً موصولاً، حيث جاء النص: "تي نفس (أي: قبر) مرالقيس بر (أي: بن) عمرو، ملك العرب كله، ذو أسر التاج..." [٥٧].

ويبدو أنّ هذه الكلمة أحاديّة الأصل. والدليل على ذلك من العربيّة مجيؤها على حرف واحد ثابت، في نحو: ذو، و: ذا، و: ذي. فحرف الذال هو الأصل، وما عداه حركة إعرابيّة. وثمّة دليل آخر من العبريّة [٥٨]، إذ قابلت الدال الزاي، فهي في العبريّة זוֹ zō، والحرف الأساسي هو الزاي، أمّا الحرف الثاني فمتغيّر أيضاً، إذ قد يأتي זוֹ zō أو זוּ zū، أو זֹה zoh، أو zeh بالإمالة [٥٩]. وبذا يقترب لفظها من لفظها بالإمالة التي أشار إليها سيبويه، ومثاله :

הַר־צִיּוֹן   זֶה   שָׁכַנְתָּ   בּוֹ

جبل صهيون   الذي   سكنت   فيه

وحرف الذال هو الحرف المحوريّ في بناء هذه الكلمة في العربيّة الجنوبيّة[٦٠] بوصفها اسماً موصولاً أو اسم إشارة. وهي في الآراميّة القديمة[٦١] بالياء، وفي الحبشيّة بالزاي. وهكذا تعاورت الزاي والذال في محوريّة بناء هذه الكلمة. أمّا السريانيّة فقد استعملت الدال أو الذال، بوصفها عنصراً إشاريّاً في اسم الإشارة المؤنث المفرد ܗܕܐ hadē "هذه"[٦٢]. وقد أُدغم في اسم الإشارة المذكّر في النون، فقيل: ܗܢܐ hānā وأصلها: ها أنا ذا. كما تركّبت هذه الدال مع اسم الاستفهام: أي، فقيل: ܐܝܕܐ 'aydā على نحو ما تركّب اسم الإشارة مع اسم الاستفهام في العربيّة في نحو: ماذا، وأيّ ذا.

والدال هي الاسم الموصول في السريانيّة[٦٣]، وأصلها di، ويقابلها في العربيّة: ذي، وقد استعملتها العربيّة والسريانيّة بمعنى صاحب. فكما تقول في العربيّة: ذا مال، وذو مال، وذي مال، فإن السريانيّة تستعمل الدال مقابل ذلك أداة تفصل بين المضاف والمضاف إليه، على نحو ما يقال في اللهجات المعاصرة: البيت بتاع (ابتاع) الرجل، أو: البيت حق الرجل، فيقال: baytā de gabrā، وهكذا فإن de في السريانيّة تقابل: ذي، في: الذي، من قول القائل في الفصحى: البيت الذي للرجل، في مقابل: بيت الرجل، الذي يقابله في السريانيّة بدون الدال bēṯ gabrā وقد استعملت بعض اللهجات المعاصرة (في فلسطين) الأسلوب نفسه الذي استخدمته السريانيّة، فقيل: ذيل dēl، في مقابل (بتاع) المصريّة، فيقال في بعض اللهجات: ذيلي dēlī، للمذكر، أي الذي لي، وذيلتي deltī للمؤنّث. وأحسب أنّها تعود في الأصل إلى الاسم الموصول، ولام الجرّ؛ فكأنما يعدل هذا التعبير اللهجي: ذيلي، قولنا في الفصحى: الذي لي، وقول أهل الجزيرة العربيّة: حقّي haggi، ويقابله في السريانيّة: ܕܝܠܝ diliy، و ܕܝܠܗ dīlah "الذي لك" و: ܕܝܠܗܝܢ dilhēn "الذي لهن"، وهكذا...

٣- التأصيل التاريخيّ القائم على الشكل الكتابيّ

استدل ابن جنيّ على أصالة الألف في: حتّى، بشيئين، بعدم الإمالة، وبجواز كتابتها بالألف القائمة. قال: "وكذلك أيضاً لو كتبت: حتّى، بالألف قياساً على كلاّ، لكان صواباً، ولكلٍ علّة قائمة وأحسبني رأيت: حتّى، بالألف بخط أبي العباس"(٦٤).

لقد عالجتُ هذه الكلمة في موضع آخر(٦٥)، وخلاصة القول: إن هذه الكلمة مكوّنة من كلمتين، هما: عدْ، و:كي، وقد وردت هذه الكلمة في النقوش العربيّة القديمة، هكذا: عدْكي، وعكْدي، وعكْدى بالألف، ثمّ وردت بالتاء: عتّى، ثمّ: حتّى. وحسبنا من هذه الإعادة ما ذُكر. ومفاد ذلك أن النظرة التاريخيّة المقارنة تفسّر لنا كتابة الألف في صورة ياء في هذه الكلمة، إذ هي منقلبة أصلاً عن ياء.

ثانياً: التأصيل الوصفيّ

لعلّ من أظهر ملامح المنهج الوصفي أنه منهج يصوّر الواقع اللغويّ مُعتَمِداً بالسماع، دون تمحّل أو خروج عن مقتضى الظاهر. ورغم أن اللغويين القدامى لم يلتزموا بهذا المبدأ، غير أنهم تنبهوا إليه، بل أكّدوه في كثير من أقوالهم وتحليلاتهم. وقد عبّر ابن جنيّ عن هذا المبدأ باعتراضه على من يُعنّي نفسه ببحث ما لم يجئ على ألسنة العرب. قال: "وإنما سبيله أن يذكر ما جاء، ويضرب عمّا لم يجئ، فلا يُذكر امتناعهم منه لعلّة، لأنك إنّما تفسر أحكام لغتهم، لا ما لم يجئ عنهم، ولأنك لو ذهبت تذكر أحكام ما لم يجئ لكنت قد شرعت في تفسير ما لم ينطق به عربي، وكان ذلك يكون تخليطاً وهوساً، لأن فيما خرج إلى الوجود شغلاً عمّا هو باقٍ في العدم، إلاّ ما علته في الامتناع من النطق به قائمة، فإن مثلّ ذلك يسأل عنه"(٦٦).

ونذكر فيما يلي بعض الأمثلة التطبيقيّة على التأصيل الوصفي:

١ – الألف في أحرف الهجاء:

حكم أبو عليّ –فيما رواه عنه ابن جنيّ – بأنّ ألف أحرف الهجاء: باء، تاء.... منقلبة عن واو. قال: "أحْكم عليها بأنها واو في الأصل، لأنها عين، والهمزة لامٌ بدل من ياء ليكون من باب طويت، فقلت له (القائل ابن جنيّ، والمسؤول هو أبو علي الفارسيّ): كيف: تجيز ذلك، ونحن نعلم أن هذه الألف إنما هي الألف المجهولة في: با، و: تا، قبل المدّ؟ فقال: لما صارت اسماً قضينا لها بأحكام الأسماء، ألا ترى أنا لو سمّينا بـ: ضَرَبَ، لأعربناه، فقلنا: جاءني ضربٌ، فنعربه، وإن كان قبل التسمية غير مُعْرب"(٦٧).

إنّ الحسّ الوصفيّ هو السائد في الحوار بين ابن جنيّ وشيخه الفارسيّ. فأبو علي يهمه أن يتعامل مع الكلمة بحسب ما آلت إليه، فعدّ كلمة: باء اسماً دالا على الحرف، وقاسها بكلمة: طائيّ، التي قُلبت واوها ألفا، فأصبحت طوويّ، ولذا ألحق الكلمة بباب: طويت، فاستقام له بناؤها على ثلاثة أحرف، وهي نظريّة اللغويين القدماء في ردّ الأسماء إلى أصول ثلاثة.

ولو رجعنا إلى الأصول المقارنة لهذه الحروف لتبيّن أن أسماء كثيرة منها، كانت قبل التسمية أسماء لمسميات احتوت على هذه الأصوات. فحرف الباء اسمه الساميّ: بيت، وهي كلمة مأخوذة في شكلها الكتابي من صورة البيت. فألف الباء منقلبة في أصلها التاريخيّ عن الياء من بيت. والجيم لها علاقة بالجَمَل، واسمه في الهجاء السامي gīmel. والدال لها علاقة بالباب، واسمها الساميّ daleṯ، وهي تعني: الباب، وهي في العبريّة dāleṯ، وفي الأكاديّة daltu. والواو جاء اسمها من الشكل الذي استوحي شكلها الكتابيّ منه، وتعني كلمة wāw الوتد، والكاف لها علاقة بالكفّ، وقد جاء شكلها الكتابيّ القديم على هيئة كفّ، والميم تسمية لها

علاقة بالمسمّى الساميّ mēm، وهو الماء. والياء قيل ترمز لليد yōd، والحاء للحائط hēt والعين ᶜayn وترمز إلى العين، وقد رسمت في الكتابات الساميّة القديمة على شكل دائرة تعبيرا عن العين، وهكذا.

فمعرفة أصول الصوائت في أسماء الحروف تاريخيّا تتطلّب العودة إلى المنهج المقارن ليقف بنا على قصّة هذه الحروف[٦٨].

٢- التعامل مع الكلمة على ما انتهى إليه بناؤها

ومن ذلك كلمة: معْزى فقد عدّ المازني وابن جنيّ الميم أصليّة في كلمة: معْزى، وذهب ابن جنيّ إلى أن الكلمة أعجميّة[٦٩]. وقد عالج ابن منظور هذه الكلمة تحت مادة: معز[٧٠]، ويبدو أنّهم لم يتنبهوا إلى أنّها من: عنز. ولعلّ السبب في ذلك أن بدت لهم النون أصليّة في: عنز. وعنز لفظة ساميّة، وليست أعجميّة، وردت بالنون، وبدونها في بعض اللغات الساميّة، فهي في العبريّة[٧١] עֵז ᶜēz وجمعها ᶜēzīm، وهي في العربيّة الجنوبيّة ᶜnz وتعني: ماعز (اسم جمع)، وفي السريانيّة[٧٢] ܥܙܐ ᶜēssā، بدون نون، ولكن النون تظهر عند الإضافة ܥܢܙ ᶜenēz، والجمع ܥܢܙܐ ᶜanāzā. وقد كان ظهور النون بسبب فكّ إدغام الزاي، إذ أصل الكلمة: عزّ، كما يحدث في كثير من الألفاظ المشدّدة، نحو: حظّ، وحنْظ، وإجّاص وإنجاص.

وهكذا يكون القدماء قد تعاملوا مع هذه اللفظة باعتبار شكلها الظاهر: معز. وأمّا الأصل التاريخيّ فيعود بنا إلى جذرها الثنائي المكوّن من حرفين. ولو أفردنا: معْزى لظهرت النون، فقلنا: عنْز، وللكلمة جمع آخر تظهر فيه النون، وهو: عناز. والأخذ بالظاهر الوصفيّ الذي آلت إليه الظاهرة اللغويّة أساس في التأصيل التراثيّ، وقد عبّر عنه ابن جنيّ بوضوح حيث قال: "ولا يترك الظاهر

إلى غيره إلا بدليل"[٧٣].

٣- مبدأ وصفيّ في التعامل مع الألفاظ الأعجميّة

مَسّ ابن جنيّ مبدأ وصفيّاً مهماً، وهو يؤصّل كلمات من مثل: ديباج، وفرند، ولجام، وزنجبيل. فهذه الكلمات أعجميّة، ولكنها تصبح عربيّة. قال: "اعلم أنّ الأسماء الأعجميّة النكرات التي دخل عليها الألف واللام قد أعربتها العربُ واستعملتها استعمال أسمائها العربيّة، وذلك أنّها تمكنت عندهم، لأنّها أسماء الأجناس، وهي الأُول، وتدخل عليها الألفُ واللام، فجرت لذلك مجرى: رجل وفرس. وذلك لم يمنعها من الصرف إلاّ ما يمنع العربي، لأنها قد جرت مجراه... فلو سمّيت رجلاً بـ: ديباج، أو: فرند، لصرفته، لأن العجمة فيه غيرُ معتدّ بها، فجرت لذلك مجرى: زيد، وعمرو، وبكر، في أنّها منقولة من أسماء الأجناس. قال أبو عليّ: ويدلّ على أنّهم قد أجروها مجرى العربي أنّهم قد اشتقوا منها كما يشتقون من العربي"[٧٤]. وقد أكّد ابن جنيّ هذا المفهوم الحيويّ في التعامل مع الألفاظ الأعجميّة. وقد أسماه التخليط. قال: "وهم إذا اشتقوا من الأعجمي خلّطوا فيه، لأنه ليس في كلامهم فاجترأوا عليه فغيّروه"[٧٥].

والتخليط، هنا، ضرب من التصرّف، يرمي إلى التعامل مع الكلمة الأعجميّة كما لو كانت عربيّة، على نحو ما نفعل في زماننا هذا حين نشتقّ من الاسم الفرنسي "باستور" فنقول: بسترة، ومبستر، ومن تلفزيون: تلفز، ويتلفز... وهكذا.

ومن تطبيقات ابن جنيّ في هذا المقام ما قاله في كلمة. زَرْجون الفارسيّة، التي اشتق منها العرب، فقالوا: المزرّج. وكان الأصل أن يقولوا: المزرجن، لأن الكلمة أعجميّة والنون فيها أصلية[٧٦].

ثالثاً: التأصيل التجريبيّ (أسلوب الافتراض الاستبعاديّ)

وهو أسلوب علمي عقلي قائم على وضع مجموعة من الافتراضات، ثمّ يبدأ الكاتب بامتحان هذه الافتراضات، فيستبعد منها ما لا يصمُد، إلى أن تثبت أو تترجّح.

ومثال ذلك عند ابن جنيّ ما افترضه في كلّ من الميم والنون في: منْجنون، فهما عنده أصل. ولكنه لم ينته إلى هذه النتيجة إلا بعد أن استبعد احتمالات الزيادة. قال: "ولا يجوز أن تكون الميم زائدة، لأنّا لا نعلم في الكلام: مفْعلولا، ولا يجوز أن تكون الميم والنون جميعاً زائدتين على أن تكون الكلمة ثلاثيّة من لفظ: الجن، ولا يجوز أن تكون النون وحدها زائدة، لأنّها قد ثبتت في الجمع في قولهم: مناجين... وإذا لم يجز أن تكون الميم وحدها زائدة، ولا النون وحدها زائدة، ولا أن تكونا كلتاهما زائدتين: لم يبق إلا أن تكونا أصلين، وتجعل النون لاماً مكررة، وتكون الكلمة مثل: حنْدقوق، مُلْحقة بعضرفوط"(٧٧).

والمنْجنون: الدولاب التي يُستقى عليها، أو أداة السانيَة، أو البَكرة التي تدور. وقد ذكر ابن منظور(٧٨) بعض آراء العلماء في هذه اللفظة، فسيبويه يرى أن الميم والنون زائدتان. ودليله على ذلك أن النون لا تُزاد ثانية. وهذا ما ذهب إليه ابن السكيت، إذ وَزْن الكلمة عنده: فعْلول.

واحتجّ ابن بري على الجوهري، إذ أورد الجوهريّ الكلمة تحت: جنن، قال: "وحقّه أن يُذْكر تحت: منْجن، لأنه رباعيّ، ميمه أصليّة، ونونه التي تلي الميم، ووزنه: فعْلول"(٧٩).

وقد تصرّف العرب في هذه الكلمة، فقالوا: منجنون ومنجنين، بالمعنى نفسه. وهي كلمة يونانيّة الأصل، إذ هي في اليونانيّة máyyanon، بياء مشددّة،

وقد سمعت الأذن العربيّة الياء المشدّدة اليونانيّة[٨٠] جيماً، فنُطقت على نحو ما نطق بعض العرب الياء المشدّدة، في نحو: عليّ-علجّ. قال أبو عمرو بن العلاء: "بعض العرب يُبدل الجيم من الياء المشدّدة"[٨١]. وقد فكّوا الإدغام فأصبحت manğanūn ← mağğanūn. وعلى هذا فالكلمة ليست عربيّة الأصل، والميم فيها أصليّة. وأمّا النون فتصرّفٌ عربي لفكّ الإدغام.

رابعاً: التأصيل الاستقرائيّ القائم على أساس وصفيّ

يحتفي المنهج الوصفيّ بالمسموع. وهذا ما يقرّره ابن جنيّ في حديثه عن أصالة الهمزة في أَلق، فالدليل الذي يقدّمه دليل اشتقاقيّ يقوم على أساس وصفيّ. وكان دليله في هذه المسألة أنه لم يُسمع: مولوق. قال: "فلمّا لم نرهم قالوا: مولوق، استدللنا بذلك على أنّ الهمزة في أَلق ليست بمنزلة الهمزة في: أُعِد"[٨٢] بل هي أصل ثابتة غير منقلبة. ثمّ أكد هذا المفهوم الوصفيّ القائم على السماع بقوله: "ونحن لم نسمعهم لفظوا بالواو في تصريف: أولَق... فنحن على الظاهر حتى تقوم دلالة ننزل لها عنه إلى غيره"[٨٣].

ولم يكن هذا المنهج الوصفيّ ليحول دون أن يفتح الباب أمام دليل يساق من منهج آخر، قال: "فإن ادّعى ذلك مُدّعٍ (أي بما يخالف الظاهر المسموع) لزمه الدليل عليه"[٨٤].

هذه أصول في التفكير الصرفيّ يُرسي قواعدها الصرفيون القدماء، والمهم هو الكشف عنها، بغض النظر عمّا يمكن أن ينال بعض التطبيقات من أخطاء مردّها الافتقار إلى السماع المستقصي، أو الاستقراء الجزئيّ، أو سوى ذلك، كما هي الحال في كلمة: مولوق، التي تورد فيها بعض المعجمات ما يشير إلى تبادل الواو والهمزة.

فالاشتقاق عند ابن جنيّ استقراء مستند إلى السماع، وقانون الاشتقاق في المثال السابق يتوقف لتوقف السماع، ويصبح نافذاً إذ صحّ السماع. وعلى هذا كان لابن جنيّ أن يتصوّر أن الهمزة كانت أصلاً في نحو: بريّة، ونبيّ، بدليل سماع الكلمة مهموزة في اشتقاقها، حيث يقال: تنبأ مسيلمة، و:برأ الله الخلق. قال: "فلمّا سمعناهم يقولون هذا دلّنا ذلك على أن النبيّ، والبريّة... أصلها الهمز، فقضينا لها بهذه الأصول لقيام الدلالة عليها"[٨٥].

ولعلّ من مزايا التفكير الصرفيّ عند القدامى أن الأبواب بين الأصول المنهجيّة تظلّ مفتوحة، ومثال ذلك أن ابن جنيّ استعمل كلمة الأصل في مفهومها الوصفيّ في: تنبّأ، وبرأ؛ ثم انتقل ليستعمل كلمة الأصل في مفهوم منهجيّ آخر، وهو المفهوم التطوّريّ. فالبريّة، والنبيّ، كانتا في الأصل التاريخيّ مهموزتين ثم آلتا إلى التخفيف. قال: "فألزموها التخفيف وأصلها الهمز"[٨٦].

وقد وردت كلمة: بريّة في اللغات الساميّة[٨٧] غير مهموزة، فهي في العبريّة من בָּרָא bārā، وهي كذلك في الآراميّة בְּרָא bārā، وفي السريانيّة ܒܪܳܐ bāra، وفي العربيّة الجنوبيّة ب ر ا، وفي المهريّة والسقطريّة كذلك.

وأمّا كلمة: نبيّ، فهي بهمزة في اللغات الساميّة[٨٨]، فهي في العبريّة والآراميّة נָבִיא nābī'، وفي الأكاديّة[٨٩] nabā'um، وورد: ن ب ا، في السبئيّة، وفي الآراميّة[٩٠] נְבִיא nābī'.

ومن أمثلة التأصيل الاستقرائي الحكم بزيادة الألف والنون في أواخر الكلمات قال ابن جنيّ: "إذا وجدت كلمة في صدرها ثلاثة أحرف من الأصل، وفي آخرها ألف ونون فاقض بزيادة الألف والنون، وإن لم تعرف الاشتقاق، لكثرة ما جاءتا زائدتين فيما عُرف اشتقاقه، نحو: سرحان، وسعدان"[٩١].

وقد عدّ ابن جنيّ بناء على هذه القاعدة القياسيّة كلمة: رمّان، زائـدة الألـف والنون، وأحسب أن المازني وابن جنيّ قد بنيا هذا التصـوّر علـى مـا ذهـب إليـه الخليل فيما يرويه عنه سيبويه. قال سيبويه: "وسألته عن رمّان، فقال: لا أصرفه، وأحمله على الأكثر، إذا لم يكن له معنى يعرف به"[٩٢] قال ابن منظور في تفسير مقولة سيبويه هذه بعد أن أوردها: "أي لا يُدْرى من أيّ شيء اشتقاقه فيحمله على الأكثر، والأكثر زيادة الألف والنون"[٩٣]. وينقل ابن منظور رأيا للأخفش يخـالف رأي هؤلاء. قال: "وقال الأخفش: نونه أصلية، مثل: قُرّاص وحُمّاض"[٩٤]. وعلى هذا فوزن الكلمة عند الخليل: فُعلان، وعند الأخفش: فُعّال.

لقد وردت كلمة: رمّان، في كثير من اللغات الساميّة كالحبشـيّة، وهـي فـي الأكاديـة[٩٥] armann(um) أو بتخفيـف النـون arman(um)[٩٦] وفـي السـريانيّة armenāyā، أو rūmānā ܪܘܡܢܐ[٩٧]. وفـي العبريّـة[٩٨] רִמּוֹן remmōn، ويشـير "جزينيـوس" إلـى هـذه الكلمـة فـي القبطيّـة[٩٩]، وهـي (h)erman. ويـرى "فرينكل" أن هذه الكلمة استعارتها العربيّة من السـريانيّة[١٠٠]، فـإذا صـحّ أن هـذه الكلمة مستعارة فهذا يعني ترجيح رأي الأخفش في أن الألف والنون أصليّتان.

وقد أصاب ابن جنيّ حيث عدّ النـون فـي: دهقـان، وشـيطان، أصليّـة[١٠١]. ولكنّه سار في تأصيله للنون على أساس اشتقاقيّ قياسيّ، لأنّهم قد قالوا: تشـيطن، وتدهقن. فهي على زون: تفعلل، وليس في كلام العرب: تفعّلن، فـالنون فيـه لام. ونتيجة ابن جنيّ توافق الصواب، فهذه الألفاظ أعجميّة.

أمّـا: دهقــان، فهــي فارسـيّة[١٠٢]، فأصلهـا بالفارسـيّة الحديثـة: دهقـان، وبالفارسيّة الفهلويّة dehikān، وهي مركبة من: ده، أي، القرية، و: كان، لاحقـة بمعنى صاحب، ومعنى الكلمة: المزارع، وقد أشار بعض القدماء إلى أنّ: دهقان، فارسيّة[١٠٣]، وقد وردت هذه الكلمـة فـي السـريانيّة[١٠٤] مسـتعارة مـن الفارسـيّة.

وهي في السريانية ܕܘܡܢܐ وتعني: العمدة، أو حاكم البلد.

وأمّا، دكان، فقد اختُلف في أصلها، فقيل: فارسيّة، وردها بعضهم إلى: الدّكّة المبنيّة للجلوس عليها. قال ابن منظور: والنون مختلف فيها، فمنهم من يجعلها أصلاً، ومنهم من يجعلها زائدة" (١٠٥).

واللفظة موجودة في الفارسيّة: دكان، بدون تشديد، وفي السريانيّة (١٠٦): ܕܘܟܢܐ dūkānā.

أمّا لفظة شيطان، فهي في العبريّة שָׂטָן sātắn، وفي الآراميّة كذلك שָׂטָן saṭắn، وفي السريانيّة ܣܛܢܐ sātānā.

وعدّ ابن جنيّ النون في قَرَنْفُل، زائدة، وذلك على أساس قياسيّ. قال: "أحكمْ بهذا من طريق القياس، لا من قبل السماع" (١٠٧) وواقع الحال أن هذه النون أصليّة، إذ هي كلمة هنديّة. قال: ابن منظور: "شجر هنديّ ليس من نبات أرض العرب" (١٠٨). وقد أشار "فرينكل" إلى أن هذه اللفظة هنديّة الأصل (١٠٩).

واستدل ابن جنيّ بالمعنى الاشتقاقيّ على أن النون زائدة في جُنْدَب. قال: "فإن كان الجُنْدَب من الجَدْب -لأنه مما يصحبه- فالنون فيه زائدة" (١١٠). ولا شك في أن العرب تفكّ الإدغام على فرض أن تكون الجندب أصلاً من: جدَّب، فيقال: جندب، أو على فرض أن تكون الدال الانفجاريّة ساكنة، وقد تجاورت مع الباء الانفجاريّة فتشكل من تجاور الصوتين الانفجاريين - وبخاصة إذا سُكّنا - شيء من الصعوبة، مما استدعى إقحام حرف النون، حتى تتحمل سكون الدال، وحتى يُتخلّص من التقاء الساكنين: سكون الدال، وسكون الباء العارض عند الوقف. وأحسب أن العبريّة تخلّصت من هذه الصعوبة بحذف الدال، فأصبحت الكلمة على حرفين גֵּב gēḇ، وجمعها גֵּבִים أو גֹּב gōb (١١١). وقد

فصلت العبريّة فيما بين الصامتين بصائت طويل، تجنبا لالتقاء الساكنين.

وأحسب أن هذا قد حدث في العبريّة في كلمة: جُنْد، التي اختفت منها النون، فترتّب على هذا أن شُدّدت الدال، فأصبحت גדד ، ومنها كلمة גְּדוּד gedūd ومعناها: جُند، أو كتيبة، أو عُصبة، ويقابلها في السريانيّة[١١٢] ܓܘܕܐ gawdda أي: الجُند. وقد ظهرت النون في المندعيّة (فرع من الآراميّة) فقيل: gūndā.

وقد ذهب نولدكه[١١٣] مذهباً يحتمل الصواب، وذلك بعدّ الكلمة أصلاً بدال مشدّدة، وبدون نون، ثمّ فكّ الإدغام، بإقحام حرف النون، فتحوّلت الكلمة من gudd ← gund.

أمّا جُندب فقد أدرك ابن منظور أن هذه الكلمة ينبغي أن تعالج تحت الثلاثيّ، فلم يُفرد لها مادة من الرباعيّ: جندب، وقد رأينا كيف تتصرّف العربيّة في هذه المادة، فمن: جدب، اشتقت: جندب، فتخلّصت بالنون من الصعوبة الصوتيّة، ففكت الإدغام بإقحام حرف النون، وقد ترتّب على هذا التنويع الصوتيّ توظيف في المعنى، فاختصت: جندب، بهذه الحشرة التي تسبّب الجدب. وقد حدث أن تخلّصت العربيّة من الإدغام بإدخال الخاء، فقيل: جُخْدَب، أو جُخْدُب[١١٤]، فدلّت هذه على نوع من الجنادب، وهي طريقة مألوفة في العربيّة قائمة على التنويع الشكليّ، يصحبه استثمار من جانب المعنى. وبذا تتخلّق أُسرٌ اشتقاقيّة جديدة، لها حياتها اللغويّة الخاصّة ومضمونها الخاص.

وقد عالج ابن جنيّ مادة: تَرَنموت، ووزنها بـ: تفْعلوت، وهي على هذا من: رنم، والترنموت هو التّرنُّم، وهو تجاوب الصوت أو رنينه، وقد اقترنت هذه اللفظة في العربيّة بصوت القوس عند الإنباض، بل سُمّيت القوس بها، فهي: الترنموت، من: رنم. وقيل: ترنّم القوسُ عند الإنباض"[١١٥]. ويبدو أن الميم زائدة

في هذه الكلمة، إذ هي من: رنّ القوس، أي ترنّم من الإنباض. وقد اشتق منها اسم للقوس، كما اشتق من: رنم، فقيل: المُرِنَة، والمُرِنّ، والمرْنان[١١٦].

وقد اقترن صوت القوس بمادة: رنّ، في العبريّة[١١٧]. وقد أُطلق هذا الصوت على السحابة في رعدها، والماء في خريره، فالمرنان: السحابة، وقد اقترن هذا الصوت بالدلالة على الفرح والتفجّع معاً، ودلّ على الشدّة والفرح.

وقد فكّ العرب إدغام: رنّ، بالميم فتشكّلت مادة: رنم، وبقي من آثار اشتراك اللفظتين في الصوت التصويريّ إطلاقهما على القوس ونحوها. كما فُكّ الإدغام بمدّ الصائت، فقيل: كشف الله عنك رونة هذا الأمر"، أي: رُنّة هذا الأمر، أي: غمّته وشدّته، كما فكّ الإدغام من: السّحابة الرُّوناء بدلاً من الرَّنّاء. ويروي ابن منظور[١١٨] أن شهر جمادى سُمّي: رُنَة بدون تشديد. والرُّنّى، وجمعها رُنَن لها علاقة بالشّدة والغُمّة. وهما من معاني: رنن، بمعنى الشدّة، وهما معنيان واضحان في اشتقاق اسم شهري جمادى، سواء أحُمل ذلك على معنى نزول المطر من السحب المرعدة أم الجفاف والمحْل.

وأصّل ابن جني كلمة: عنكبوت، فوزنها بـ: فعْللوت. فالنون عنده أصليّة، والواو والتاء زائدتان[١١٩].

وأحسب أن ابن جنيّ على صواب في أن الواو والتاء زائدتان، ونزيد على ذلك بأن التاء للتأنيث، أمّا النون فزائدة. فالكلمة، على هذا، على وزن: فنْعلوت.

وردت هذه الكلمة في بعض اللغات الساميّة[١٢٠]، فهي في الآراميّة اليهوديّة עַכְּנַבִּיתָא ʿaknabiṯā بالقلب المكاني في موقع النون. وأصل الكلمة من: عكب، والنون زائدة، وهي في العبريّة بدون نون ʿakāḇīš من: عكب، والشين زائدة، يقابلها الشين في العُكاش في العربيّة، وهو

ذكر العنكبوت[١٢١]. وقد حذفت الباء تخفيفا، فلم يُقل: عُكباش. وقد حدث للكلمة تخفيف آخر بالتخفّف من التشديد، إذ قيل: عُكاش ᶜukāš.

وأمّا النون في: العنكبوت، فهي من آثار فكّ الإدغام، إذ تصبح: عكّبوت: عنكبوت، وهي أنثى العُكاش بالتخفيف، أو العُكّاش بالتشديد، وكلاهما بدون نون.

وممّا يدلّ على أن النون ليست أصليّة حذفها في الجمع. فالعنكبوت جمعها: عكاب، وعُكب، وأعْكب. فهذه الكلمات جموع، وإن كان ابن منظور[١٢٢] يسميها: "اسم جمع"، بدلا من أن يسميها "جمعا"، لأن العنكبوت عنده رباعيّ.

وقد حدث القلب المكانيّ في: عنكبوت، في لهجة أهل اليمن القديمة. قال ابن منظور: "وهي بلغة اليمن: عَكْنباة"[١٢٣].

وقد رأينا أنّ التاء في عنكبوت تسبق بواو، كما هي الحال في العربيّة، في تاء رحموت، وملكوت وسبروت؛ وهذا ما يحدث كثيراً في السريانيّة، نحو: ܡܠܟܘܬܐ malkūtā "مملكة"، وهي عندئذ تقاس بياء: سبريت، وعزويت، أي: هي الحركة التي تسبق تاء التأنيث في بعض اللغات الساميّة[١٢٤]. أمّا في العربيّة اليمنيّة فقد رأينا أنّها مسبوقة بالألف، أي: بالفتحة الطويلة: عنكباة. وقد جاءت كذلك في العربيّة الشماليّة، على أشكال متعدّدة، فيقال: عنكباه، وعنكبوه (بالهاء)، وعنكباء. وأحسب أن: عنكباه، من: عنكبى، بالألف القصيرة، وهي من علامات التأنيث، فإذا مُدّت أصبحت الكلمة: عنكباء، وهي علامة تأنيث أيضا، وكلتاهما متطوّرتان عن التاء إذ تتحوّل التاء عند الوقف هاء، ثمّ تختلط لفظا بالألف: عنكبى، ثمّ بالألف الممدودة. ومدّ الألف ينتهي بالهمزة، كما هي في: سعلاء، أو بالهاء أحيانا، كما في: سعلاه، وميلاه، وعنكباه.

ومن التأصيل الذي قام على القياس معالجة ابن جنيّ لكلمة: يهْير، أي:

الحجر، والجُرف. ووزن الكلمة عنده: يفْعلّ. فالياء الثانية على هـذا أصليّـة. وقد استبعد أن تكون اليـاء الأولـى أصليّـة، وذلك بالقيـاس. قـال: "لأن اليـاء لا تكـون أصلاً في ذوات الأربعة على هذه الصفة"(١٢٥). وقد أورد ابن منظور هذه الكلمة تحت مادة: هير. فالياء الثانية على هذا أصليّة والأولى زائدة.

وقد وردت هذه الكلمة في العبريّة(١٢٦) تحت المادة الثنائيـة har بمعنى الجبل، والتلّ. و הַר יהוה "جبل الإله". والهور hor في النبطيّة: الشـقّ فـي الجبل، وهو اسم الشق الذي يُعدّ مدخلاً لمدينة البتراء(١٢٧).

ووردت هذه الكلمة في الأكاديّـة بمعنـى: الأهـوار، وهـي مـن معـاني هـذه الكلمة في العربيّة. وهي في الأكاديّة harr(um)(١٢٨). وقد حافظت الأكاديّـة علـى معنى من معاني هذه الكلمة التي حـافظت عليهـا العربيّـة فـ:اليَهْيَرَ فـي العربيّـة: دويبّة، أعظم مـن الجـراء، تكـون فـي الصحـارى، وواحدتهـا: يهْيرَة. وهـي فـي الأكاديّة harrir(um).

خامساً: التأصيل المنطقيّ الاستنباطيّ

ذهب ابن جنيّ إلى أن "أل التعريف" هـي فـي الأصـل علـى حـرف واحـد، وهو اللام، ثمّ دخلت الألف لسـكونها"(١٢٩). واسـتدل ابـن جنـيّ علـى ذلـك بقولـه: "فلمّا كان التنوين حرفاً واحداً، كان قياس حرف التعريف أن يكون حرفـاً واحـداً، وهم يجرون الشيء مجرى نقيضه، كما يجرونه مجرى نظيره، فمن هنـا اقتضـى القياس أن يكون حرف التعريف حرفاً واحداً، لأنه نقيض التنوين الـذي هـو علـى حرف واحد"(١٣٠).

فـالدليل هنـا دليـل اسـتنباطي منطقـيّ وليـس دليـلاً تاريخيّـاً نصيّـاً، مـــع أن المسألة التي يطرحها مسألة تحتاج إلى معالجة تاريخيّة.

والملاحظ أنّ صياغة الاستدلال هنا كانت في حاجتها إلى التعريفات والمقدمات والنتائج، صياغة تشبه الطرائق المنطقيّة.

فالتنوين = (نقيض التعريف)

واللام = (تعريف)

والشيء يجري على مجرى نقيضه (مقدمة كبرى)

ونقيض التعريف (أي التنوين) على حرف واحد (مقدمة صغرى)

والنتيجة المنطقيّة لهذه المقدمات = التعريف على حرف واحد

ولو تتبعنا أداة التعريف في نظرة مقارنة لرأينا أن بعض اللغات الساميّة القديمة، كالأكاديّة والأوغاريتيّة والحبشيّة تخلو من أداة التعريف، مع احتوائها أداة تنكير، إذ التنكير في الأكاديّة أداته الميم [١٣١]، وفي الأوغاريتيّة النون، كما هي الحال في العربيّة. أمّا العربيّة الجنوبيّة [١٣٢] ففيها التميم، كأن يقال 'nṯim' ومعناها: أنثى. ومن التمييم في الحبشيّة الميم في نحو temālem "أمس"، و gĕšam "غدا". ومن بقاياه في العبريّة [١٣٣] yōmām "نهار" و 'umnam'، أو 'amnám' "حقًا" [١٣٤]، وهي بدون التمييم אָמֵן 'āmēn' وتعني حقا، ويقابلها في العربيّة اسم الفعل: آمين، و hinnām "مجانا". ومن بقاياه في العربيّة الميم في: فم، وابنم.

وأمّا أداة التعريف فيبدو أنّ أصلها: هل، ثمّ تبادلت الهاء والهمزة فأصبحت هل←ال، كما اختصرت أداة التعريف ال، فأصبحت مع الحروف الشمسية همزة تتحقّق نطقا في بدء الكلام، وتختفي في وصله من باب التسهيل. وقد حدث في العربيّات البائدة أن اختفت اللام دائماً وبقيت الهاء. فأداة التعريف في الصفويّة [١٣٥]، واللحيانيّة [١٣٦]، والثموديّة [١٣٧]، هي الهاء. وقد وردت ال في بعض النقوش النبطيّة كما في النقش الذي جاء على شاهد قبر رقاش بنت عبد

منات: "هلكت في الحجرو" أيّ: ماتت في الحجر. وقد ترتّب على حذف اللام تشديد الحرف الذي يليها في العربيّة والعربيّات البائدة، على نحو ما هو معروف في العبريّة، إذ أداة التعريف فيها هي الهاء. ويُشدّد الحرف الذي يليها من أثر إدغام اللام فيه، إلاّ أن يكون حرفاً حلقيّاً فإنه لا يشدّد (١٣٨).

وقد تبادلت اللام مع النون في العربيّة الجنوبيّة، فوردت: هن، في النقوش اليمنيّة القديمة (١٣٩)، كما وردت (أن) في المساند الحميريّة من كتاب الإكليل للهمداني (١٤٠)، وتبادلت (أن) مع (أم) فيما يسمّى بالطمطمانيّة التي يُروى بها الحديث الشريف"ليس من امبر امصيام في امسفر" أي: ليس من البرّ الصيامُ في السفر. وما تزال (أن) أداة تعريف مستعملة في لهجة منطقية جبل رازح في صعدة في اليمن (١٤١). وكذلك (أم) التي تستخدم على نطاق أوسع في جنوب الجزيرة العربيّة.

وأمّا الهاء في: هل، فهي عنصر إشاريّ استخدم في أسماء الإشارة، وهو أداة التنبيه أو النداء في الثموديّة واللحيانيّة. وقد دخل أحرف النداء في العربيّة الفصحى، في نحو: هيا، و: أيّها، و:هيه.

وعلى هذا فإن الهمزة في: أل، أصليّة، وتحويلها إلى همزة وصل هو من باب التسهيل والتخفيف على الناطقين. كما خُفّفت همزة القطع في نحو: لحمر lahmar، في: الأحمر، و: لرض lard، في: الأرض. وقد دلّت النظرة المقارنة على أنّ أداة التعريف تطوير تال، إذا ما قورن بأداة التنكير (التنوين أو التمييم)؛ بدليل خلوّ بعض اللغات الساميّة القديمة كالأكاديّة والأوغاريتيّة من أداة التعريف. وبدليل عدم اتفاق كثير من الساميات في أصواتها، وعدم اتّفاقها في موقعها من الكلمة. فاللغات التي مرّ ذكرها تضعها في أول الكلمة، بينما تضعها السريانيّة ألفا في آخرها. وربما كان أصل هذه الألف: هاء، ثمّ اختصرت إلى ألف في آخر

الكلمة، نحو allāhā' الإله [١٤٢] .

الخاتمة

تحدّد في مطلع هذا البحث هدفان أساسيان، وهما:

- الكشف عن الملامح المنهجيّة في التأصيل اللغويّ، عند علماء التراث، مع التركيز على أنموذج اخترنا له كتاب "المنصف" لابن جنيّ.

- التقويم المنهجي لما توصلوا إليه.

وفي سبيل الهدف الأول اتضحت الملامح المنهجيّة والمؤثرات التي انطلقوا منها في تأصيلهم للظاهرة اللغوية. فالقدماء اهتدوا إلى بعض الملامح والإرهاصات التي نضجت وسُميّت بأسمائها المنهجيّة في العصر الحديث، كالمنهج التاريخي، والوصفي، والمقارن... يلمس المرء ذلك عندهم، في شكل خيوط منهجيّة لا يسع من اطّلع على المناهج الحديثة سوى أن يُقرّ بحقيقة مؤداها، أن النسيج المنهجي الناضج في العصر الحديث كانت بدايته في فترة مبكرة. بيْد أن بعض العوامل كانت تُنْضِجُ عندهم اتجاهاً منهجياً ما، وتؤخّر نضج اتجاه منهجيّ آخر.

فالمنهج المقارن مثلاً كانت تنقصه آلية المعرفة الكافية باللغات، ولذا كان طرْقهم للبحث اللغويّ من خلاله قليلاً نسبياً، ونتائجهم فيه أقل نضجاً. والمنهج الاستقرائي مثلاً، توافرت لديهم أدواته، وعلى هذا كان في وسعهم أن يستفيضوا في استقراء الأمثلة المتناظرة ليستخصلوا من ذلك القوانين العامة التي تحكم الظواهر... وهكذا.

وقد رأينا أنّهم اهتدوا إلى مجموعة من المفاهيم المنهجيّة كالمفهوم

الوصفيّ، والمفهوم التاريخيّ، والمفهوم الاستقرائيّ، والمفهوم الاستنباطيّ... إلى غير ذلك من المفاهيم المنهجيّة التي عُولجت في هذا البحث.

وفي سبيل الهدف الثاني من هذه الدراسة كنّا نناقش ما قد يترتب على اختلاط الأسس المنهجيّة من آثار إيجابيّة تكامليّة، أو سلبيّة. وقد سعت هذه الدراسة إلى تعميق بعض ما توصل إليه القدماء بإيراد دليل جديد عليه، يآزر دليلهم، أو بردّ بعض ما توصلوا إليه، أو التحفّظ إزاءه، بما يمكن أن يستدل عليه من خلال ما آلت إليه المفاهيم الحديثة للبحث اللغويّ.

الحواشي

(١) ابن جنيّ (المنصف) ٢٣١/١

(٢) ابن السرّاج (الأصول) ٢٣٦/٢

(٣) ابن جنيّ (المنصف) ٢٠٢/١

(٤) ابن جنيّ (المنصف) ٢٠٢/١

(٥) انظر لمعالجة النداء من وجهات النظر المعياريّة والتاريخيّة والوصفيّة: عمايرة (المستشرقون والمناهج اللغويّة) ص٦٧.

(٦) انظر في التفسير التاريخيّ المقارن والتفسير المعياريّ لظاهرة الجزم: عمايرة (نظرة مقارنة إلى المدرسة النحويّة العربيّة، من خلال باب الشرط.

(٧) ابن جنيّ (المنصف) ١٨٠/١، وانظر أيضا ١٨٢/١

(٨) ابن جنيّ (المنصف) ٢٥/١

(٩) انظر ابن هشام (أوضح المسالك) ٢١٩/١

(١٠) ابن جنيّ (اللمع) ص ٩٤

(١١) انظر ابن جنيّ (المنصف) ١٧٤/١

(١٢) ابن جنيّ (المنصف) ١١٥/١

(١٣) ابن جنيّ (المنصف) ٢١/١

(١٤) المبرد (المقتضب) ٥٠/٢

(١٥) المبرد (المقتضب) ٦٧/٢، وانظر سيبويه ٩٥/٣، والزمخشري ١٥٠

(١٦) ابن يعيش (شرح المفصل) ٥٤/٣

(١٧) ابن يعيش (شرح المفصل) ٥٤/٣، وانظر ابن جني (المنصف) ٥٨/١

(١٨) الأزهريّ (التصريح) ٣٠٩/١

(*) ابن السراج: الأصول في النحو ١٨٧/٢

(١٩) ابن يعيش (شرح المفصل) ٥٤/١

(٢٠) انظر الفخر الرازيّ (التفسير الكبير) ص٦١

(٢١) ابن الأنباري (الإنصاف) ٣٢٣/١

(٢٢) ابن الأنباري (الإنصاف) ٣٢٨/١

(٢٣) ابن عصفور (الممتع) ٦١٧/٢

(٢٤) ابن عصفور (الممتع) ٦١٧/٢

(٢٥) ابن عصفور (الممتع) ٦١٧/٢-٦١٨

(٢٦) انظر Gesenius 277

(٢٧) انظر Von Soden 1345

(٢٨) ابن منظور (اللسان) مادة: طمر ٥٠٣/٤

(٢٩) ابن منظور (اللسان) مادة: طمن ٢٦٨/١٣

(٣٠) انظر أبا حيان (البحر) ٣٠/١

(٣١) ابن منظور (اللسان) مادة: طمن ٢٦٨/١٣

(٣٢) انظر عمايرة (معالم دارسة في الصرف) ص٧٨، ٨٠

(٣٣) انظر ابن جنيّ (المنصف) ٢٧/١

(٣٤) ابن جنيّ (المنصف) ٥٤/١

(٣٥) ابن جنيّ (المنصف) ٢٣٢/١

(٣٦) انظر ابن جنيّ (المنصف) ٢٣/١

(٣٧) ابن جني (المنصف) ١٩٠/١

(٣٨) ابن جنيّ (المنصف) ٣٤٨/١

(٣٩) انظر Brockelmann (Grundriss) I : 619

(٤٠) انظر Dalmann 165

(٤١) انظر Brockelmann (Grundriss) I : 611

وانظر Dalman 163

(٤٢) انظر Rosenthal 49

(٤٣) انظر Brockelmann (Grundriss) I : 613

(٤٤) ابن جنيّ (المنصف) ١/٢٣

(٤٥) ابن جنيّ (المنصف) ١/٢٤

(٤٦) انظر ابن جنيّ (المنصف) ١/١٩٢

(٤٧) ابن جنيّ (المنصف) ١/٢٠٠

(٤٨) انظر ابن جنيّ (المنصف) ١/٢٥-٢٦

(٤٩) انظر ابن جني (المنصف) ١/٢٠

(٥٠) انظر Beetson 106

(٥١) انظر Brockelmann (Grundriss) I : 525

(٥٢) انظر المرجع نفسه

(٥٣) انظر عمايرة (معالم دارسة في الصرف) ص٣٧

(٥٤) ابن جنيّ (المنصف) ١/١١٩

(٥٥) Bergsträsser 192

(٥٦) انظر ابن جنيّ (المنصف) ١/١٢٢

(٥٧) انظر بعلبكي (الكتابة الساميّة) ص ١٢٤

(٥٨) انظر Gesenius 194

(٥٩) انظر Gesenius 193

وانظر Bockelmann (Grundriss) II : 566

(٦٠) انظر Beetson 37

(٦١) انظر Gesenius 193

(٦٢) انظر Brockelmann (Syrische Grammatik) 50

(٦٣) انظر Nöldeke 47

(٦٤) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٢٤

(٦٥) انظر عمايرة (نظرة مقارنة على بعض أدوات المعاني) ص ١٣٠

(٦٦) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٨١

(٦٧) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٢٥

(٦٨) انظر بعلبكي (الكتابة الساميّة) ص ٢٣٣ وما بعدها،

وانظر Endress 165

(٦٩) انظر ابن منظور (اللسان) مادة: معز ٥/٤١٠

(٧٠) انظر Gesenius 575

وانظر ربحي كمال (المعجم الحديث: عبري-عربي) ص ٣٤٥

(٧١) انظر Beetson 17

(٧٢) انظر Costaz 258

وانظر Von Soden 258

(٧٣) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٣٢

(٧٤) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٤٧

(٧٥) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٤٣

(٧٦) انظر ابن جنيّ (المنصف) ١/١٤٨

(٧٧) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٤٦

(٧٨) انظر ابن منظور (اللسان) منجنون ١٣/٤٢٣، وانظر الجوهري (الصحاح) جنن ٥/٢٠٩٥

(٧٩) ابن منظور (اللسان) منجنون ٤/٤٢٤

(٨٠) انظر Fränkel 135

(٨١) انظر ابن منظور (اللسان) حرف الجيم ٢/٢٠٥

(٨٢) ابن جنيّ (المنصف) ١/١١٤

(٨٣) ابن جنيّ (المنصف) ١/١١٥

(٨٤) ابن جنيّ (المنصف) ١/١١٥

(٨٥) ابن جنيّ (المنصف) ١/١١٥

(٨٦) ابن جنيّ (المنصف) ١/١١٥

(٨٧) انظر Gesenius 113

(٨٨) انظر ربحي كمال (المعجم الحديث عبريّ-عربيّ) ص ٢٩٤

و انظر Gesenius 478

(٨٩) انظر Von Soden 699

(٩٠) انظر ربحي كمال (دروس اللغة العبريّة) ص ٥٧٣

و انظر Fohrer 168

(٩١) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٣٤

(٩٢) سيبويه ٣/٢١٨

(٩٣) ابن منظور (اللسان) رمن ١٣/١٨٦

(٩٤) المرجع السابق ١٣/١٨٦

(٩٥) انظر Von Soden 69

(٩٦) انظر المرجع السابق 69

(٩٧) انظر Costaz 342

(٩٨) انظر ربحي كمال (المعجم الحديث: عبري-عربي) ص٤٥٠

(٩٩) انظر Gesenius 761

(١٠٠) انظر Fränkel 142

(١٠١) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٣٥

(١٠٢) انظر عبد الرحيم (المعرّب) ص ٣٠٣

و انظر Fränkel 282

(١٠٣) انظر ابن منظور (اللسان) دهقن ١٣/١٣٦

(١٠٤) انظر Costaz 59

(١٠٥) ابن منظور (اللسان) دكن ١٣/١٥٧

(١٠٦) انظر Fränkel 188

(١٠٧) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٣٦

(١٠٨) ابن منظور (اللسان) قرنفل ١١/٥٥٦

(١٠٩) انظر Fränkel 144

(١١٠) انظر ابن جنيّ (المنصف) ١/١٣٨

(١١١) انظر Gesenius 124. 133

(١١٢) انظر Fränkel 238

(١١٣) انظر رأي نولدكه لدىFrankel 238

(١١٤) انظر ابن منظور (اللسان) جخدب ١/٢٥٤

(١١٥) ابن منظور (اللسان) : رنم ١٢/٢٥٧

(١١٦) ابن منظور (اللسان) مادة: رنن ١٣/١٨٧

(١١٧) انظر Gesenius 763

(١١٨) انظر ابن منظور (اللسان) مادة: رنن ١٣/١٨٩

(١١٩) انظر ابن جنيّ (المنصف) ١/١٣٩

(١٢٠) انظر Gesenius 585

(١٢١) انظر ابن منظور (اللسان) مادة: عكش ٦/٣١٩

(١٢٢) انظر ابن منظور (اللسان) مادة: عكب ١/٦٢٦

(١٢٣) انظر ابن منظور (اللسان) مادة: عنكب ١/٦٣٢

(١٢٤) انظر عمايرة (ظاهرة التأنيث) ص ٦٤

(١٢٥) ابن جنيّ (المنصف) ١/١٤٠

(١٢٦) انظر Gesenius 187

(١٢٧) انظر Gesenius 187

(١٢٨) انظر Von Soden 327

(١٢٩) ابن جنيّ (المنصف) ١/٦٨

(١٣٠) ابن جنيّ (المنصف) ١/٦٩

(١٣١) انظر Riemschneider 30

(١٣٢) انظر Brockelmann (Grundriss) I : 473

(١٣٣) انظر Brockelmann (Grundriss) I : 474

(١٣٤) انظر Gesenius 49

(١٣٥) انظر Gesenius 171

(١٣٦) انظر Kaskel 68

(١٣٧) انظر Littmann 108

(١٣٨) انظر ربحي كمال (دروس اللغة العبريّة) ص ١١١

و انظر Wright 270

(١٣٩) انظر Kaskel 68

(١٤٠) انظر الهمداني (الإكليل) ٨/١٠٤ تحقيق محمد بن الأكوع، دمشق ١٩٧٩.

(١٤١) انظر الصلوي (ألفاظ يمانيّة خاصة) مجلّة كليّة الآداب، صنعاء، العدد ١٢، سنة ١٩٩١م

(١٤٢) انظر Brockelmann (Syrische Grammatik) 51

المراجع العربية

الأزهريّ، خالد بن عبد الله: شرح التصريف على التوضيح، دار الفكر.

ابن الأنباريّ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد: الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصريّة، صيدا–بيروت، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م.

بعلبكيّ، رمزي: الكتابة العربيّة والساميّة، ط١، دار العلم للملايين ١٩٨١م.

ابن جنيّ، أبو الفتح عثمان: اللّمع في العربيّة، تحقيق حامد المؤمن، مطبعة العاني، بغداد ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

ابن جنيّ، أبو الفتح عثمان: المنصف شرح كتاب التصريف (للمازنيّ)، تحقيق ابراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مصر ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.

الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد: الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

أبو حيان، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، دار الفكر ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

الرازي، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) تحقيق خليل الميس، بيروت.

ربحي كمال، دروس اللغة العبريّة، دار النهضة العربيّة، بيروت ١٩٧٨م.

ربحي كمال، المعجم الحديث (عبري – عربي)، بيروت ١٩٧٥م.

الزمخشريّ، محمود بن عمر: المفصل في النحو، طبعة بروخ، كريستيانا ١٨٧٩م.

ابن السرّاج، محمد بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٦–١٩٦٨م.

الصلويّ ، إبراهيم : ألفاظ يمنيّة خاصة، مجلـة كليّـة الآداب، صنعاء، العدد ١٢ سنة ١٩٩١م.
عبد الرحيم، ف ، المعرّب لأبي منصور الجواليقي، دار القلم، دمشق ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
ابن عصفور الإشبيلي ، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩هـ-١٩٧٨م.
عمايرة ، إسماعيل أحمد عمايرة : المستشرقون والمناهج اللغويّة، طـ٢، دار حنين للنشر ١٩٩٢م.
عمايرة ، إسماعيل أحمد عمابرة : معالم دارسة في الصرف، الأقيسة الفعليّة المهجورة، طـ٢، دار حنين للنشر، عمان ١٩٩٣م.
عمايرة ، إسماعيل أحمد عمايرة : نظرة مقارنة إلى المدرسة النحويّة العربيّة من خلال باب الشرط، مجلة دراسات - العلوم الإنسانيّة- الجامعة الأردنيّة، المُجلد ١١؛ العدد ٤، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
عمايرة ، إسماعيل أحمد عمايرة : نظرة مقارنة على بعض أدوات المعاني في ضوء اللغات الساميّة، مجلة دراسات، العلوم الإنسانيّة - الجامعة الأردنيّة، المجلد ٢٠ (أ)، العدد ٤، ١٩٩٣م.
المبرّد ، محمد بن يزيد : المقتضب، تحقيق عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٣٨٢هـ.
ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، دار صادر، بيروت.
ابن هشام ، جمال الدين بن يوسف : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة.
الهمداني ، الإكليل، تحقيق محمد بن الأكوع، دمشق ١٩٧٩م.
ابن يعيش ، موفق الدين : شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.

المراجع الأجنبية

- *Beetson, A.F.L. Ghul, M.A. Müller, W.W. Ryckmans, J.* : Dictionnaire Sabeen (anglais-francais-arabe) Beyrouth 1982.
- *Bergsträsser, Gotthelf*: Einführung in die Semitischen Sprachen, Darmstadt 1963.
- *Brockelmann, Carl*: Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, Bd. I-II Berlin 1908-1913
- *Brockelmann, Carl*: Syrische Grammatik, Leipzig 1981.
- *Costaz, Louis*: Syriac-Englisch Dictionary, Beyrouth
- *Dalmann, Gustaf*: Grammatik des Jüdisch-Palästinischen Aramäisch, Darmstadt 1981.
- *Endress, Gerhard*: Handschriftenkunde, in : Grundriss der Arabischen Philologie, Band I, Herausgegeben von W. Fischer, Wiesbaden 1982.
- *Fohrer Georg*: Hebräisches und aramäisches Wörterbuch zum Alten Testament Berlin. New York 1971.
- *Fränkel, Siegmund*: Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen, Hildesheim. New York 1982.
- *Gesenius, Wilhelm*: Hebräisches und Aramäisches andwörterbuch über das Alte Testament, 17 Auflage, Germany 1962.
- *Kaskel, Werner*: Lihyan und Lihyanisch, Westdeutscher Verlag Köln und Opladen 1952.
- *Littmann, Enno*: Zur Entzifferung der Thamudenischen Inschriften, Berlin 1904.

- *Riemschneider, Kaspar*: Lehrbuch des Akkadischen, Leipzig 1973
- *Rosenthal, Franz*: A Grammar of Biblical Aramaic, Wiesbaden 1974.
- *Nöldeke, Theodor*: Kurzgefasste Syrische Grammatik, Leipzig 1898.
- *Von Soden, Wolfram*: Akkadisches Handwörterbuch Band I-II Wiesbaden 1965 1972.
- *Wright, W.*: A Grammar of the Arabic Language, ed. Cambridge 1896-1898 Reprint 1951.

شعر الهجاء في بلاد الشام
زمن الحروب الصليبية

د. شفيق محمد عبدالرحمن الرقب
جامعة مؤتة

مدخـــل

تكاثر شعر الهجاء في بلاد الشام زمن الحروب الصليبيّة، فقد ذكرت طائفة من الشعراء الذين اشتهروا بهذا الغرض، منهم أحمد بن منير الطرابلسيّ، وقد وُصِف بأنّه كان "خبيث اللسان، مهيناً لأعراض الرّجال، يسهل عليه الهوان، ولا يسلم أحد من هجائه" [١]، والرشيد النابلسيّ، وهو شاعر "شرس الأخلاق جافي الطباع، غليظ الجواب" [٢]، وملك النحاة الحسن بن صافي، وكان "مُرّ الشتيمة" [٣]، وابن عُنَيْن، وقد وصفه معاصروه بأنّه "سخيف اللسان، قبيح الهجاء، أُغري بهجاء الناس، وتمزيق أعراضهم.. قلّ أن سلم أحد من الرؤساء والملوك وأرباب العلم والمناصب من لسانه" [٤]، ومحمد بن يوسف السكاكينيّ من أهل حلب، كان "بذيء اللسان، هجّاء شرّيراً يتقى شره" [٥]، ومحمد بن يوسف التلّعفريّ "له هجاء شنيع لم يسلم منه أحد" [٦]، والأديب العرّمانيّ محمد بن عياش "إنسان سوء قلّ أن سلم أحد من شرّه ولسانه، قد جعل هجيراه الوقيعة في أعراض الناس وتلقيبهم، ولم يترك أحداً من الأماثل بحلب إلاّ وأظهر له لقباً ونبزه به" [٧]، والملك الزّاهر الأيوبيّ، كان "منطلق اللسان، مغرى بهجاء أسرته، وذوي الأقدار من الأمراء والصدور" [٨]، وسيف الدين السامريّ، كان "طويل الباع في الهجو" [٩]، وابن المسجّف العسقلانيّ، كان "أكثر شعره في الهجو" [١٠]. وغير هؤلاء كثير. غير أنه ينبغي أن يشار هنا إلى أن المصادر التي ترجمت لهؤلاء

الشعراء لم تورد من شعرهم الهجائيّ إلاّ القليل، بل إنّ بعضها لم تذكر شيئاً منه، لذا فإنّ هذه الدراسة تستقي المادّة الشعريّة من دواوين الشعراء الذين أكثروا من القول في الهجاء، مثل فتيان الشاغوريّ وابن الساعاتيّ وابن عنين، بالإضافة إلى ما لم يُنشر من شعر ابن منير الطرابلسيّ[١١]، وما أوردته كتب التراجم والاختيارات من هذا الشعر لأولئك الشعراء وغيرهم.

وثمّة عوامل عدّة أدّت إلى كثرة القول في الهجاء، بعضها شخصيّ يتعلّق بالخصومات والمنافسات بين الشعراء، أو بالعلاقات الخاصّة الّتي تربط بينهم وبين أبناء مجتمعهم، وبعضها يتّصل بظروف العصر وأحواله الاجتماعيّة، ومن هذه الظروف التفاوت الشديد في مستوى المعيشة بين فئات المجتمع، إذ يستشف من بعض الأخبار أنّ عامة الشعب كانت تعاني من الفقر، وأنه كان عليها أن تعمل في المهن اليدوية في المدن، أو في الفلاحة لدى المقطعين من الأمراء وغيرهم. وكانت تفرض على هذه الفئات، على فقرها، الضرائب التي تأكل ما لديها من دراهم وزروع[١٢].

ومن هذه الظروف جور بعض الحكام والعمّال، وقد ذكرت المصادر صوراً مختلفة لهذا الظلم، وأوردت ضروباً متعدّدة من العقوبات التي كان يوقعها بعضهم على الناس، مثل الصّلب والتّسمير[١٣].

ومن هذه الظروف الفساد الإداريّ الذي دبّ في الدولة الأيوبيّة بعد وفاة صلاح الدين، وتفتّت بلاده. فقد انتهز بعض العمال فرصة الصراع بين ورثة صلاح الدين، فطفق يعسف بالرعيّة، ويستصفي الأموال منها؛ فقد كان الوزير صفيّ الدين بن شكر "إذا لاح له مال عظيم احتجنه"[١٤] وامتدّ هذا الفساد إلى عدد من القضاة الذين كانوا يظلمون الناس، ويستغلّون نفوذهم لجرّ الدنيا إليهم[١٥].

بيد أنه يجب أن يُحترس هنا من تعميم الأحكام السّابقة على العصر كلّه،

فقد قام الزنكيون والأيوبيّون بإصلاحات إداريّة واجتماعيّة واسعة، ولكنه يبقى كغيره من العصور فيه الخير والشرّ، ومن ثمّ فإن هذه الدراسة تتناول بعض المظاهر السلبية في الحياة وموقف الشعراء منها، كما تمثّلت في شعر الهجاء.

وتتناول الدراسة جانبين من هذا الهجاء، هما: الهجاء الشخصيّ، والنقد الاجتماعيّ، أمّا الهجاء السياسي فلن تعرض له الدراسة لأنّه مازج شعر المدح والجهاد، وصار محوراً رئيسياً من محاوره، بالإضافة إلى أنّ الدارسين قد تناولوا هذا الشعر وعالجوا جوانبه.

أولاً: الهجاء الشخصيّ

كثُر هذا النوع من الهجاء في بلاد الشّام زمن الحروب الصليبيّة، وتعدّدت دوافعه وأطرافه، ويمكن تصنيفه إلى ما يلي:

أ-التهاجي بين الشّعراء.
ب-هجاء الأفراد.
جـ-هجاء المدن والبلدان.
د-هجاء أماكن السكنى والمرافق العامّة.

أ- التهاجي بين الشّعراء:

أشارت المصادر إلى بعض المساجلات الهجائيّة الّتي وقعت بين عدد من الشعراء الشاميّين، ومن هؤلاء الشعراء ابن منير الطرابلسيّ، وابن القيسرانيّ، فقد ذكر العماد الأصفهانيّ في معرض ترجمته لابن منير أنّه "كان.... معارضاً للقيسرانيّ في زمانه، وهما كفرسي رهان، وجوادي ميدان"، ووصفهما بأنّهما "جرير العصر وفرزدقه"[١٦]، ولم يصل إلينا من هذه المهاجاة إلاّ القليل، ويبدو أنّ العامل المذهبيّ كان له دور فيها، فقد "كان القيسرانيّ سنيّاً متورّعاً، وابن منير

مغالياً متشيّعاً"[١٧]؛ لذا فعندما بلغ ابن القيسرانيّ أنّ ابنَ منير هجاه كتب إليه[١٨]:

ابـن منـير هجـوت منـي — حـبرا أفـاد الـورى صوابـه
ولـم تُضيّـق بـذاك صـدري — فـإنّ لـي أسـوة الصحابـه

ويبدو أنّ ابن منير كان سليط اللسان في هجائه لابن القيسرانيّ، فقد نـال في القصيدة الّتي أرسلها إلى ابن المستوفي يشكو له فيها ما فعله الحشريّة[١٩] في داره – نال من كرامة الشّاعر، واتّهمه في عرضه وشرفه، وذلك إذ يقول[٢٠]:

أتراني أكلـت جـذْرَ عيـالي — مثل مـا كـان يفعـلُ القيسـراني
أم كنفت الفلوس فـي خـالد ابنـي — عـام قـادتْ عليـه أمُّ سـنان

وينتهز ابن منير دخول ابن القيسرانيّ دمشق، وقد صادف ذلـك انـدلاع حريق هائل في المدينة، ودخول أسراب من الجراد أتت على بساتينها وزروعها، وامتداد الأيدي بالسلب والنّهب، فيسخر من الشّاعر سخرية مريرة، إذ جعله رمزاً للشؤم وسوء الطّالع، مستعيراً له شخصيّة (طويس) الّتي يضرب بها المثل فـي التطيّر، وذلك إذ يقول[٢١]:

يا طويس الشـؤم هـذي الحركـهْ — ألحقَـت جلّـقَ بالمؤتفكـهْ
جئتَـها تُذكِرهـا عـهداً مضـى — مـن توالـي الفتـن المشتبكـهْ
يـا رسـولَ القـدرِ الحتْـم الـى — كـلّ مـن سـدّ عليـها مسـلكهْ
لـك رجـل قُطِعـت لـو جُمِعـت — تحـت كيـوان لـهدّت فلَكـهْ
شؤمـها أسـرى مـن السـمّ فمـا — دبّ للملسـوع إلاّ أهلكـهْ

ويصوّر ابنُ منير ابنَ القيسراني وقد تحاماه النّاس، وأخذوا يطردونه مـن كلّ مكان يحلّ فيه، فراح يتنقل من بلد إلى بلد حاملاً معه الويلات والمصائب:

شرّدتـــــه طلعــــة إنْ صبّحــــت　　أرضَ قــوم غبقتـــــها الدكدكــــــة
لم يمـــل وجــهاً إلـــى مـــال ثــرٍ　　قـــطّ إلاّ تركتـــــــه تركـــــــة
لا، ولا طــرّ لـــها شــدق علـــــى　　مـــأمن إلاّ وأمســـى معركــــــة

وتشفّ القصيدة عن الكراهية الشديدة التـــي يحملـــها ابـــن منـــير لابـــن القيسرانيّ، لذا راح يدعو أولي الأمر في دمشق إلى دفع النّحس والخراب عـــن المدينة بطرد ابن القيسرانيّ منها:

يا مجـــير الدّيـــن مـــن دلّ علـــى　　ربعك المـــأهولِ هـــذي الهلكـــة؟!
من رمى مغنـــاك، لا ريـــع، بمـــن　　كـــلّ منجـــاة نحاهـــا مهلكــــة؟!
أي دار أمّـــــها مـــــا غمّـــــــها　　أيّ ســـتر ضمّـــه مـــا هتكـــــه؟!

وتمضي القصيدة على هذا النحو من الإلحاح على استدعاء المعاني الّتـــي تصور شؤم ابن القيسراني وسوء طالعه، وكأنّ الشاعر بهذا يريد أن يحث النّاس على نبذه، وعدم الاتصال به، أو التعامل معه.

ولم يقصر ابن منير هجاءه على ابن القيسرانيّ من الشعراء، وإنّما هجـــا شعراء آخرين وهجوه، فقد كتب أبو نزار الحسن بن صافي المعروف بـــ "ملـــك النحاة" إلى أحد القضاة وتصنّع في الكلام باستعمال لفظـــة (العـــاصويّ) التـــي استغربها ابن منير، فقال هذه الأبيات ساخراً من أبي نزار وعلمه، ومستهجناً هذا القياس الشاذّ(٢٢):

أيـــا ملـــك النّحـــو والحـــاء مـــن　　تهجّيه مـــن تحـــت قـــد أعجموهـــا
أتانـــا قياســـك هـــذا الّـــذي　　يعجّـم أشيـــاء قـــد أعربوهـــا
ولمّـــا تصنّعـــت فـــي "العـــاصويّ"　　غدا وجـــه جـــهلك فيـــه وجوهـــا

وقـــالوا قفـــا الشيـــخ إنّ الملـــــــو   ك إذا دخلـــوا قريـــــة أفســــدوها

فأثارت هذه الأبيات حفيظة أبي نزار، فردّ عليها بأبيات اتّهم فيها ابن منير بأنّه يغير على أشعار الآخرين ويدّعيها لنفسه، ووصفـــه بأنّـــه رجـــل يســـتحق التأديب، وأخذ عليه إسرافه في هجاء النّاس وذمّهم(٢٣):

أيـــا ابـــن منـــير حســـبت الـــــهجا   ء رتبـــة فخـــر فبـــــالغت فيــــــها
جمعـــــت قوافـــــي مـــــن ذا وذا   وأفســـدت أشيـــاء قـــد أصلحوهـــــا
فقـــالوا: قفـــا الشيـــخ إن الملـــــو   ك إذا أخطـــأت ســـوقة أدّبوهـــــــا

ومن الشعراء الذين كانوا يتبادلون الهجاء مـــع معاصريـــهم أبـــو الحكـــم الأندلسي، فقد وصفه ابن أبي أصيبعة قائلاً:" وكان أبو الحكم يهاجي جماعة من الشعراء الذين كانوا في وقته ويهاجونه"(٢٤). ومن هؤلاء الشعراء الذين هجوا أبا الحكم العرقلة الكلبيّ، وقد استمدّ العرقلة معاني هجائه من مهنة الطب الّتي كـــان يعمل فيها أبو الحكم، فصوّره طبيباً جاهلاً يجلب الحتف إلى كلّ من يعالجه، على شاكلة قوله يدعو اللّه أن يريح النّاس منه، لأنّه طبيب شؤم لا يزور أحداً صباحاً، حتّى يكتب له قصيدة يرثيه فيها مساء(٢٥):

لنـــا طبيـــــــب شـــــاعر أشـــــتَر   أراحنـــــا مـــــن شخصـِــــــهِ الله
ما عادَ فـــي صبحـــه يومـــاً فتـــى   إلاّ وفـــــــي باقيـــــــهِ رثّـــــــاه

وإمعاناً في السخرية من أبي الحكم يستعير العرقلة الكلبيّ طريقتـــــه فـــي الهجاء، فيهجوه على سبيل المرثية (وهي طريقة اشتهر بـــها أبـــو الحكـــم كمـــا سيتّضح بعد)، كما في قوله يتصنّع أساليب الرّثاء تهكّماً واستهزاء، لينتقـــل إلـــى الدّعاء على (المهجوّ المرثيّ)، لأنّه كان ضعيف العقيدة رقيق الدّين(٢٦):

يا عين سحّي بدمع ساكب ودمِ على الحكيم الذي يكنى أبا الحكمِ

قد كان لا رحمَ الرحمن شيبته ولا سقى قبره من صيّب الدّيم

"شيخاً يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحلّ دم الحجاج في الحَرَم"

وهذه المراثي الهجائيّة ممّا اشتهر به أبو الحكم الأندلسيّ نفسه، ولعلّها تدلّ على سخرية أبي الحكم من المصير الإنسانيّ، بالإضافة إلى السخرية من المهجوّ نفسه، وممّا زاد هذه السخرية حدّة أنها كانت تصدر عن شخص وصفه معاصروه بأنّه كان "محبّاً للهو والخلاعة...محبّاً للشّراب مدمناً له"(٢٧). وممّن نحا أبو الحكم في هجائهم هذا النحو ابن منير الطرابلسيّ، وابن القيسرانيّ، والأديب نصير الحلبيّ، والطبيب المفشكل اليهوديّ. فها هو ذا يندب نصيرا الحلبيّ - وكان قد اشتغل بالكتابة والشعر والطب والنجوم- ويصوّره وقد وضع في القبر فيضجّ الأموات منه، ويمعنون في الهرب من قبورهم لوضاعة هذا الزّائر وخبثه ونتن رائحته(٢٨):

يا هذه قومي اندبي مات نصير الحلبي

يرحمه الله لقد كان طويل الذّنب

قد ضجّت الأموات من نكهته في التّرب

وودّهم لو عوّضوا منه بكلب أجرب

والقوم بين صارخ وممعن في الهرب

ومنكر يقول ذا أوضع ميت مرّ بي

ما ضمّ بطن الأرض بيـ ـن شرقها والمغرب

أخبث منه طينة في عجمها والعرب

وقوله لمنكر أسرفت يا معذّبي

أما علمت أنني شيخ لأهل الأدب

وإذا كان أبو الحكم قد رثى في الأبيات السابقة شخصاً لم يَمُتْ هجاءً له وسخريةً منه، فإنّه هجا في الأبيات التالية ابن القيسراني وابن منير الطرابلسي بعد أن ماتا، وهي أبيات تشفّ عن رغبة أبي الحكم في السخرية والهزل، وتظهر قدرته على التفنّن في إخراج الصور التي تستثير الضّحك: (٢٩)

ثمّ عهدي به وقد أنزلوه القبـ ـر بين منكر ونكير
ثمّ قالا له ألم تك في التنجيـ ـم بين إفك وزورِ
ثمّ أسرفت بعد ذلك في قو لك بين المنظوم والمنثورِ
تفحش الهجوَ ليس تُبقي على شيـ ـخ ضنين بعرضه مستورِ
فألحّا عليه صفعاً ولم ينفعـ ـه عذر، وما له من نصيرِ
ثم لم يكسترث بذلك لولا ما رأى من شماتةِ ابنِ منيرِ
عندما جاءه يقهقه ضحكاً وينادي هذا من التّعثيرِ

ويجادل ابن منير ابن القيسراني، وتحتدم المجادلة بينهما، وترتفع أصواتهما، ثم يتعاركان في القبر. ولا ريب أنّ هذا يذكرنا برسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي، وما فيها من خصومات بين الشعراء في الدار الآخرة، ولعل أبا الحكم الأندلسيّ قد تأثر بذلك.

ولم يشتهر في الهجاء شاعر شاميّ، زمن الحروب الصليبية، كما اشتهر ابن عنين، فقد أكثر من القول في هذا الموضوع، واتّسعت دائرة مهجوّيه من الشعراء وغير الشّعراء وفي ذلك يقول أبو العباس الدنيسيريّ، ويذكر أخاً لابن عنين كان قاطع طريق(٣٠):

أصاب الناس من ولديْ عنينٍ شِدّةً وشقا

قـــد اجتمعـــا علـــى ضـــرٍّ عظيـــم الخطـــب واتّفقـــا
كأنـــهما، عدمتـــهما علـــى الإفســـاد قـــد خُلقـــا
فـــذا الأعـــراض يقطعـــها وهـــذا يقطـــع الطرقـــا

ومن الشعراء الذين أكثر ابنُ عنين في هجائهم الرّشيد النابلسيّ، وجُلّ هجائه له كان فاحشاً، ومن أقلّه فحشاً البيتان التاليان اللذان يقرنه فيهما بالكلب خسة ووضاعة: (٣١)

شكا شعـــري إلـــيّ وقـــال تـــهجو بمثلـــي عـــرض ذا الكلـــب اللئيـــمِ
فقلـــت لـــه تســـلّ، فـــربّ نجـــم هوى فـــي إثـــر شيطـــانٍ رجيـــمِ

ويبدو أنّ سلاطة لسان الرشيد النابلسيّ قد ألّبت ابن عنين وغيره من الشعراء عليه؛ فهجوه لعلّهم يسكتونه، ومن هؤلاء القاسم الواسطيّ الّذي ألحّ في هجائه على تصوير رداءة شعر الرّشيد وفساده، حتّى إنّه ألّف رسالة فيما أخذ عليه في قصيدة نظمها في الإمام النّاصر(٣٢). وقد كان الرّشيد النابلسي أبخر، فاستغلّ الواسطيّ هذه الصفة لتوليد المعاني الّتي تصف رداءة شعره، كما في قوله جاعلاً رائحة فمه مسبّبة عن ذلك الشعر الرديء: (٣٣)

يـــا مَـــن تـــأمّل مدلويـــــهِ وشـــكّ فيمـــا يُســـقمهْ
انظـــر إلـــى بخـــر بفيـــــهِ ومـــا أظنّـــك تفهمـــهْ
لا تحســـبنّ بأنّـــه نَفَـــس يغـــيّره فَمُـــهْ
لكنّمـــا أنفاسُـــه نَتَنـــتْ بِشِعْـــرٍ ينظمـــهْ

ب- هجاء الأفراد:

شمل هذا الهجاء شخصيات كثيرة في المجتمع، وقد صوّر الشّعراء فيه

بعض النماذج البشريّة الّتي تخرج في سلوكها عن المثل الأعلى للحياة الخلقيّة والنفسيّة القويمة. ويتّصل قسم كبير من هذا الهجاء بالحاجة المادية للشاعر، أو قل بتقصير المهجوّين في حقّ الشّاعر فيأخذ في رميهم بصفات تصوّر بخلهم وتقتيرهم؛ فقد قصد القاضي الرقّي علي بن مشرق شيرز، فلم يحظ عند أهلها، فقال أبياتاً نعى فيها إلى الناس الجود في تلك المدينة[٣٤]:

ألا نادِ في شرق البلادِ وغربها	بصوت له في الخافقين أغاريدُ
قضى الخير والمعروف في أرض شيرز	ومات بها من لؤم صاحبها الجودُ
وأعجب ما للّهِ أولاد منقذ	قدورهم بيض وأعراضهم سودُ

أمّا العرقلة الكلبيّ فقد مدح قوماً، فأعطوه شعيراً بدلاً من المال، فقال يذمّهم ويصفهم بالبهائم: [٣٥]

يقولون لمْ أرخصت شعرك في الورى	فقلت لهم إذ مات أهل المكارمِ
أجازى على الشعر الشّعير وإنّه	كثير إذا استخلصته من بهائمِ

ويمدح ابن المسجّف العسقلانيّ قوماً أملاً في عطائهم، فيعود من عندهم خائباً، فيقول فيهم أسفاً على ضياع عمره في مدحهم حيناً، وفي ذمّهم حيناً آخر: [٣٦]

ولقد مدحتهمُ على جهل بهمْ	وظننتُ فيهم للصّنيعة موضعا
ورجعت بعد الاختبار أذمّهم	فأضعت في الحالين عمري أجمعا

ولم يكن البخل هو الصفة الوحيدة الّتي رمى بها الشعراء مهجوّيهم، وإنّما وصفوهم بنعوت أخرى تحطّ من مكانتهم، وألصقوا بهم، الصفات المستهجنة. فهذا ابن المسجف يذمّ جماعة من أصحابه، لأنهم جبناء لؤماء بخلاء، لا

يصدقون أمل آمل، ولا يؤدّون الصّداقة (٣٧).

يـا رب كيـف بلوتنـي بعصابـة ... مـا فيـهم فضـل ولا إفضـالُ
جبنـاء مـا استنجدتهم لملمّـة ... لؤمـاء مـا استرفدتهم بخَـالُ
فوجوهـهم عـوذٌ علـى أموالـهم ... وأكفّـهم مـن دونـها أقفـالُ
هم في الرخاء إذا ظفـرت بنعمـة ... آل وهـم عنـد الشدائـد آلُ

ويدعو ابن السّاعاتي على دار أحد مهجوّيه بالخراب، لما كان يدور فيها من أحاديث الكذب والبهتان، ولاتصاف صاحبها بالخيانة والبخل وثقل الرّوح، وذلك إذ يقول: (٣٨)

يا دار الأكرم لا أشْوتـك صاعقـةٌ ... ولا أصابتك في محل يـد السّحب
فربّ يوم غدونا في عراصك أكّالـ ... ـين للسّحتِ سمّاعين للكـذب
تبّت يداه فكـم فـي كـلّ جارحـة ... منه، وإن عدّ فرداً من أبـي لـهب
ذو النّفس مخلوقة في الثقل من زُحل ... والكفّ مطبوعة من عقـدة الذّنـب

وقد تناول الشعراء الصفات الجسديّة لمهجوّيهم، وحاولوا أن يصوّروا هذه الصفات تصويراً ساخراً، على نحو ما فعل المسجّف العسقلاني عندما هجا شخصاً نحيلاً أحول، معتمداً على المفارقة اللفظية الّتي تثير الضحك (٣٩):

وغريـر كأنّـه غصـن تيـن ... أحـول المقلتيـن مـرّ لمـاهُ
قلتُ: ما الاسم قد أطـال عنـاني؟ ... قال: مسعود، قلـت: مـن لا يـراهُ

ويسخر سالم بن مؤمن المعري من إنسان كبير الأنف مضخما من صورته:(٤٠)

إن كنـــت مفتخـــراً بــــأنفك فـــهو قـــد بلـــغ الســـماءْ
لـو كنـــت تصلـــح للإمـــارة لـــم يكـــن إلاّ لـــــواءْ

ويؤكد العرقلة الكلبيّ الذمّ بما يشبه المدح عندما يصــف أحــد مهجوّيــه، فيصوّره صاحب وجه كاسف، وقوام قصير منقصف، وبنان شحيح لا يقطر بأيّ خير، وذلك إذ يقول: (٤١)

لـــك وجـــه كأنـــه الـــبدر لكـــن إذا كُسِـــفْ
وقـــوام كأنّـــه الغصـــن لكـــن إذا قُصِـــفْ
وبنـــان كأنّـــه البحـــر لكـــن إذا نَشِـــفْ

ومن الأفراد الذين أكثر الشعراء من هجائهم الأطباء، ولعلّ هذا يعود إلى أنّ بعض الّذين اشتغلوا بالطب لم يكونوا مؤهّلين لذلك، وأنّهم لم يحسنوا معالجة مرضاهم، وربّما جلبوا الأذى لهم(٤٢). وقد رأينا طرفاً من هذا الهجاء في هجــاء العرقلة لأبي الحكم الأندلسيّ. وتكاد جلّ الأشعار الّتي قيلت في هجــو الأطبــاء تدور حول فكرة رئيسيّة واحدة هي تصوير جهلهم بأصول هذه المهنـــة، وعـــدم معرفتهم بقواعدها العلميّة والعمليّة، كقول الشاعر الطبيب سديد الدين بن رقيقـــة يهجو أحد الأطباء ويدعوه إلى ترك هذه المهنة لأنّه جاهل بها، مصوّراً الخطـــر الذي يمثّله هذا الطبيب الجاهل على أرواح النّاس، حتّى إنّه غدا أشدّ خطراً عليهم من الوباء: (٤٣)

أيــا فــاعلاً خَــلِّ التطبّــب واتّئــدْ فكم تقتل المرضى المساكين بالجهل
فــتركيب أجســام الأنــامِ مؤجــل فلِمْ، لا كــلاك الله، تعجــل بــالحلِّ
بهرت الوبا إذ قتلك النــاس دائمــاً وذلك في الأحيان يحدث في فصــل

وقد هجا ابنُ خروف الطبيبَ الدّخوار بعدد من المقطوعات حاول أن يبثّ فيها روح السخرية التهكميّة، كما في قوله يجعل الطبّ سيفاً يصول به الدّخوار على أرواح العباد: (٤٤)

طبَــــع المـــــهذّب طبّـــــه ... ســيفاً وصــال علـــى المـــهجْ
بـــابُ الســــلامة لا يُـــــرى ... منـــه، ولا بــــاب الفَـــرَجْ

ولم يُهْجَ من الأطبّاء في بلاد الشّام زمن الحروب الصليبيّة أحد كما هجي الطبيب موفّق الدين بن المطران، مع أنّه كان "أمير أهلِ زمانه في علم صناعة الطب وعملها"(٤٥) ولعلّ ذلك يعود إلى شخصيّة ابن المطران، فقد كان –على علمه– يغلب عليه "الزّهو بنفسه والتكبّر حتّى على الملوك"(٤٦)، لذا تناول الشعراء هذه الصفة، وعرضوها عرضاً ساخراً، على شاكلة قول ابن عنين يصوّر ابن المطران يتجوّل في شوارع دمشق متكبّراً مختالاً، وقد تبعه غلامه (عمر) (٤٧):

متـــى أرى ســيّدي الموفّــق يختـــا ... ل ضحى فـــي عراصـــها الرّحـــب
يمشـــي الـــهوينى وخلفـــه عمـــــر ... يختال مثـــل المـــهاة فـــي السّـــرب
وســـــــيّدي كلمّـــــا تأمّلـــــــه ... تـــاه وأبـــدى غرائـــب العجـــــب
تجعمـــسٌ قـــلّ مـــــن ينـــاظِره ... فـــي النـــاس إلا تعنفـــق الرّحبـــي

وقد كان ابن المطران نصرانيّاً، فأسلم، إلاّ أنّ ابن عنين ظلّ يشكّك في هجائه له، في صحّة إسلامه، ويربطه بحبه لـ (عمر) الذي سبق ذكره، وهو غلام مسلم "في غاية جمال الصورة"(٤٨)، كما في قوله يحمد الله –ساخراً– على هداية ابن المطران، لينفذ من ذلك الحمد إلى الإقذاع في هجائه: (٤٩)

الحمــــد لله واجــــبِ الشّكـــــــر ... فقـــد اهتـــدى ســيّدي أبـــو نصـــرِ

واتّبــعَ الحــقّ حيـــــن لاح لــــه	فجر الـــهدى مــن دجنّــةِ الفجــرِ
وقـــال إنّ المســيح ليــس بمعبـــ	ـــود، وأفتـــى الصليــب بالكســر
مــا ذاك إلا ســترٌ علـــى عمـــرِ	ربّ انتــهاك خــير مــن السّــــترِ
فقلــت يــا قــوم إنّ فــي عمـــر	معـــذرةً إن ســـمعتمُ عـــذري
شكــت لــه أختــه لـــهيب.......	....

وقد لجّ ابن عنين في هجاء ابن المطران، فأبغضه وحرّض السلطان على نفيه،[٥٠] ويبدو هذا الهجاء في بعض صوره ضرباً من التجارب الأسلوبيّة الّتي تستهدف إظهار القدرة على الإتيان بالصور والمعاني، كما في قوله ينسب إلـــى العامّة زعمها أنّ ابن المطران قد تشيّع، ثمّ يعجب من هذا الزّعم لأنّ الذي دعاه إلى الإسلام هو (عمر!!)[٥١]

قالوا الموفّــق شيعـــيّ فقلــت لـــهم	هذا خلاف الّذي للناس منـــه ظـــهرْ
وكيف يجعل دين الرفـــض مذهبـــه	وما دعاه إلى الإسلام غير عمـــر؟!

وقد هجا بعض الشعراء، في إطار الهجاء الفرديّ، أقاربهم. فقد هجا سيف الدين السّامريّ خاله وخال أبيه[٥٢]، وهجا أبو الفتح البلطيّ ابـــن عمّـــه وتـبرّأ منه[٥٣]. وكان ابن روبيل الأبّار، على صلاحه ونسكه، "مغرى بهجاء زوجتــــه، لأنّها أشارت عليه أن يمدح كبيراً فما نفع، فهجاه فصفع، فقال لولا زوجتي لمـــا صفعت، ولولا تغريرها لما وقعت"[٥٤]. وقد أفحش ابن روبيل في هجـــاء هـذه الزّوجة، كما في قوله يرميها بالفسق والفجور[٥٥]:

لي قطّـــة أنظــف مـــن زوجتـــي	و .... أنظـف مِــــن فيــــها
وكـــلّ منـــا صـــوّره ربّنـــا	مــن الخنـــا مركّـــب فيـــها

وهجا ابن عنين أباه بأبيات أشبه ما تكون بـــالاعتراف الذاتـــيّ بإحســـاس الشّاعر بمركّب النقصِ من جهة هذا الأب، إذ جعله سبب معاناته في هذه الحياة، وعلّة شعوره بالنقمة على الآخرين؛ فهو الّذي جنّبه فعل الخير، وجذبه إلى رديء الأعمال، لأنه إنسان ضئيل القدر، وضيع الهمّة، كثير العيوب، جمّ المفاسد، أينما توجّه لا يأتي بخير، وقد ورث الشاعر ذلك كلّه، يقول: [٥٦]

وجنّبنـــي أن أفْعَـــل الخـــيرَ والـــد ... ضئيل إذا ما عـــدّ أهـــل المناســـب
بعيد عن الحسنى قريب من الخنـــا ... وضيع مساعي الخير، جمّ المعـــايب
إذا رمت أن أسمو صعوداً إلى العلى ... غدا عرقـــه نحـــو الدنيّـــة جـــاذبي

وأخيراً فقد هجا بعض الشعراء أنفسهم، ولعلّ هذا الهجاء كان يصدر أحياناً عن إحساسهم بالنقص، فقد كان العرقلة الكلبيّ شيخاً دميماً أعور، فقاده إحساســـه بافتقاد ميسم الجمال إلى التندّر بنفسه، كما في قوله[٥٧]:

حـــاجتي شقّـــة تَشُـــقّ علـــى كـــ ... ـــلّ بغيض مـــن الـــورى وحســـود
ذات لون كمثل عرضـــك لا عِـــر ... ضي، وحظي من القريـــب البعيـــد
فابْعثَنّـــها صفيقـــة مثـــل وجـــهي ... جلّ من صـــاغ جلـــده مـــن حديـــد
واجْعلَنْـــها طويلـــة مثـــل قرنـــي ... ولساني، لا مثـــل قـــدّي وجيـــدي
كي أُرى في الشـــام شيخـــاً خليعـــاً ... في قميـــص مـــن العـــراق جديـــد

وعندما طالبَ الملك المعظّم عيسى الشاعر ابـــن المســـجف العســـقلاني بالزكاة، رفع إليه الشاعر مقطوعة نزّه فيها الملك أن يحصّل الزكاة منه، لأنّ ماله حرام، ولأنه لا يصوم ولا يصلّي[٥٨]:

أيـــا ملكـــاً حـــوى علمـــاً وجـــوداً ... وحـــاز لكـــلّ مكرمـــة وفضـــلِ
يكلّفنـــي البـــهاء زكـــاة مـــال ... حـــرام كلّـــه مـــن غـــير حـــلِّ

وكيف يقوم بالزكوات من لا يصوم ولا يحجّ ولا يصلي

جـ- هجاء المدن والبلدان:

شاعت في الشّعر الشاميّ زمن الحروب الصليبيّة ظاهرة هجاء المدن والبلدان، فقد هجا الشّعراء دمشق، وحلب، وبخارى، وسامرّاء، ومصر، وغيرها من البلدان الشاميّة وغير الشاميّة. ولعلّ هذا الهجاء يناقض ظاهرة مدح المدن الّتي ذاعت في الشعر الشاميّ آنذاك(٥٩). وتختلف دواعي هذا الهجاء من شاعر إلى آخر، فقد يكون الدافع مذهبياً على ما كان من هجاء ابن منير الطرابلسي لدمشق وأهلها، وذلك في سياق القصيدة النتريّة الّتي تحدّث فيها بأسلوب هزليّ عن بعض معتقدات الشيعة، إذ حمل فيها على أهل دمشق، وجرّدهم من القيم والفضائل، فوصفهم بالضّلال وضعف الدين، والطيش، إلى غير ذلك من الصفات الّتي تزري بهم، وذلك في قوله: (٦٠)

وأعنت ضلاّل الشآ ... م على الضلال المشتهرْ
وسكنت جلّق واقتدي ... ت بهم وإن كانوا بقرْ
بقر ترى بحليمهم ... طيشَ الظليم إذا نَفَرْ
وهواؤهم كهوائهم ... وخليط مائهم القَذرْ
وعليمهم مستجهل ... وأخو الدّيانةِ محتَقَرْ
وخفيفهم مستثقل ... وثقيلهم فيه العبرْ
وطباعهم كجبالهم ... جُبلت وقدّت من حجرْ

أمّا ابن عنين، وهو شاعر سنيّ، فقد اكتفى وهو يهجو حلب بالحديث عن الخلافات المذهبيّة الّتي نشبت بين أبناء المدينة، وعدّ ذلك ممّا يؤخذ عليها، بالإضافة إلى عيوب أخرى. يقول(٦١):

لا عادَ في حلب زمـــان مـــرّ لـــي ... ما الصبح فيه من المســـاءِ بــأمثلِ
سيّان في عرصاتـــها رأد الضحـــى ... عندي وديجـــور الظــلام المســبلِ
في معشر لعنـــوا عتيقـــاً، لا سـقوا ... صوب الغمامِ، ومعشر لعنوا علـــي
قـــوم عـــهود رجالـــهم محلولـــة ... أبـــداً وعـــهد نســائهم لـــم يحلَـــلِ

وقد لا يجد شاعر أو آخر تقديراً من أهل المدينة الّتي يقيم فيها، فيهجوها، على نحو ما فعل ملك النحاة في هجائه لدمشق، مازجاً هـــذا الـــهجاء بـــالتذمر والتهديد، وذلك إذ يقول: (٦٢)

لأرحلـــنّ مطيتـــي عـــن بلـــدة ... شعثـــاء يكـــره ماؤهـــا وهواؤهـــا
ولأرمينّ دمشـــق غـــير مُحجّـــف ... بفواقـــر التبســـت لـــها أبناؤهـــا
ولأزجرنّ العيس عنـــها معرضـــاً ... إن أقدرتنـــي دولـــة ولواؤهـــا
فإلام أغضي في دمشق على قـــذى ... والأرض نازحـــة بـــها أرجاؤهـــا

وأكثر ابن دنينير من هجاء أهل دمشق، لأنه لم يلق منهم التقديـــر الّـــذي يعتقد أنّه يستحقّه، وكان شديد الوطأة في هذا الهجاء، على نحو مـــا نـــرى فـــي الأبيات التالية الّتي يصفهم فيها بأنّهم مطبوعون على اللؤم والجهل والبخل وقول الزور، ومفطورون على فساد الأخلاق وانعدام الغيرة على الأعراض(٦٣):

لم أجد بالشّـــام مـــن يرجـــى لـــه ... جـــود كـــفّ لفتيـــل أو نقـــير
خلقـــوا للـــؤم طـــرّا والخنـــى ... ومقـــال الـــزّور والجـــهل الغزيـــر
ودمشـــق جنّـــة قـــد ملئـــت ... مـــن أهاليـــها بأربـــاب الســـعير
لا يجـــودون بمـــال أبـــــدا ... بـــل يجـــودون بربّـــات الخـــدور
مـــا يـــرى العـــافون حظّـــاً لفـــم ... عندهم، بـــل عندهـــم حـــظّ ......

وعدم التقدير هذا نجده واضحاً في هجاء ابن السّاعاتي لمصر، وقد بالغ في هذا الهجاء، فشمل به نهر النيل نفسه، وذلك في قوله[٦٤]:

وَهَا مِصر لا يقضَى بها حَاجُ طالبِ بغاها، ولا يُمْضَى لذي أمل حكمُ
لأبحرَ منها النّيل وهو مجاجة من البخل، لا بل أظلم القمر التمّ

ويشعر الحافظ ابن عساكر بالغربة في أثناء إقامته في نيسابور، فيذمّ المدينة أهلاً ومناخاً، قائلاً[٦٥]:

لا قدّس الله نيسابور من بلد ما فيه من صاحب يسلي ولا سكنِ
لولا الجحيم الذّي في القلب من حرق لفرقة الأهل والأحباب والوطنِ
لمت من شدّة السّبَرْدِ الذي ظهرت آثار شدّته في ظاهر البدنِ

د- هجاء أماكن السّكنى والمرافق العامّة:

تناول بعض الشعراء بالهجاء أماكن سكناهم، ويرتبط هذا الهجاء بالشكوى من انعدام السكن والطمأنينة، والتذمر من الفقر والحرمان، فقد ذمّ كمال الدّين بن الأعمى دار سكناه في قصيدة أوّلها[٦٦]:

دارٌ سكنت بها أقلّ صفاتها أن تكثر الحسرات من حشراتها

وقد أطال الشاعر في وصف الحشرات التي تستوطن هذه الدّار الّتي نزح عنها الخير وتباعد، ودنا إليها الشرّ من جميع جهاتها، وعبر عن آلامه ومعاناته الشديدة من لدغ الحشرات، وأصواتها المزعجة، والرّوائح الكريهة الّتي تصدر عنها يقول:

من بعض ما فيها البعوض، عدمتــه ... كم أعدم الأجفـــان طيـب سِـنَاتِها
وتبيــتُ تسـعِدها براغيــثٌ متـــى ... غنّت لها رقصـــت علــى نغماتــها
وبها ذباب كالضبـــابِ يسـدّ عيـــ ... ــن الشمسِ، ما طربي سوى غنّاتها
وبـــها خفـــافيش تطـير نــــهارها ... مع ليلــها، ليسـت علــى عاداتــها
وبها من الجرذان ما قـــد قصّــرت ... عنه العناق الجــرذ فـــي حملاتــها
وبها خنـــافس كالطنـــافِسِ أفرشـــت ... في أرضها، وعلت علـــى جنباتــها

ويمضي الشاعر في قصيدته على هذا النحـــو مــن تصويــر الحشــرات والزواحف التي تقيم في داره، فيذكر العقارب الّتي ترتع في ساحاتها، والبوم الّتي تعكــف في جنباتها، وبنات وردان الّتي يفوت العيـــن كنــه ذواتــها، والنمــل السليمانيّ الّتي تحطم جلده ويعاني من سطواتها، وغيرها... ويصف خلال ذلــك قدم هذه الدار الّتي استوطنتها الجنّ، وتصدّع جدرانها، وتهدّم سقفها، فيقول:

قد رمّمت مـــن قبــل أن يلقـــى لآ ... دم أمّنـــا حـــوّاء فـــي عرفاتــــــها
شـــاهدت مكتوبـــاً علـــى أرجائــــها ... ورأيت مســــطوراً علـــى عتباتــــها
لا تقربـــوا منــــها وخافوهـــــا ولا ... تلقـــوا بـــأيديكم إلــــى هلكاتــــها

ويخلص الشاعر من هذا الوصف إلى الحديث عن آلامه ومعاناتــــه مــن الإقامة "مفرداً" في هذه الدار الّتي وصفها بأنها "جهنم الدنيا":

كم بتّ فيها مفـــرداً والعيـــن شــو ... قاً للصّبــاح تسـحّ مــن عبراتــها
وأقول يـــا رب السـموات العلـــى ... يا رازقـــاً للوحـشِ فـــي فلواتــها
أســكنتني بجــهنمّ الدّنيــا ففـــــي ... أخراي هَب لي الخلدَ فـــي جنّاتِــها

والقصيدة بعد هذا كلّه تشفّ عن تضجر الشّاعر من حياته، وافتقاده للملاذ

الّذي يطمئنّ إليه، والصّديق الّذي يأنس به، وقد تناثرت في القصيدة بعض الصور التي تشي بذلك، فقد قرن الشّاعر، مثلاً، لدغ العقارب بإساءة الأقارب والأصدقاء إليه، داعياً اللّه أن يحميه من ذلك:

وبها عقارب كالأقارب رتّعا   فينا، حمانا الله لدغ حماتها

وحين تحدّث الشّاعر عن الأفاعي الّتي أقامت في الدّار استعار صفات لا تكون إلاّ في بشَر:

كيف السبيل إلى النّجاة ولا نجا   ة ولا حياة لمن رأى حيّاتها
السمّ في نفثاتها، والمكر في   فلتاتها، والموت في لفتاتها

بل إنّ المبالغة في التّصوير قد تدلّ على أنّ الشّاعر كان يرمي إلى أبعد من المدلول الحرفيّ للصورة الّتي يرسمها للحشرة، كما في قوله يصف (الجراحات) التي يسبّبها له (القراد):

وبها قراد لا اندمال لجرحها   لا يفعل المشراط مثل أداتها
أبداً تمصّ دماءنا فكأنّها   حجامة لبدت على كاساتها

وعندما أنهى الشّاعر قصيدته سأل اللّه -تعالى- أن يجمع شمله بمن يهواه، ويجد السكينة في جواره، ويؤنس وحدته:

واجمع بمن أهواه شَملي عاجلاً   يا جامع الأرواحِ بعد شتاتها

وكثر في الشّعر الشاميّ زمن الحروب الصليبيّة هجاء الحمّامات، ولعلّ هذا يعود إلى سعة انتشارها، وافتقاد قسم منها للنّظافة وشروط السلامة العامّة.

فقد دخل كمال الدين بن الأعمى نفسه حمّاماً ضيّقاً، شديد الحرّ، ليس فيه ماء بارد، فقال يذمّه، ويصف من يدخله، مصوراً شدّة حرارته، وإظلام نواحيه، وضيق بابه الّذي يشبه طاقة سجن، وفظاظة القائم عليه، وسوء معاملته للنّاس(٦٧):

إنّ حمّامنا الّذي نحن فيه ... قد أناخ العذاب فيه وخيّمْ
مظلم الأرضِ والسّما والنّواحي ... كلّ عيب من عيبه يتعلّمْ
حرِج بابه كطاقة سجن ... شهد الله مَن يجز فيه يندمْ
وله مالك غدا خازنَ النّا ... رِ، بلى مالك أرقّ وأرحمْ
كلّما قلت قد أطلت عذابي ... قال لي اخسأ فيه ولا تتكلّمْ
قلت لمّا رأيته يتلظّى: ... ربّنا اصرف عنّا عذاب جهنّمْ

وقد زار جوبان القوّاس حمّاماً، مخدوعاً بظاهره وما عليه من نقوش وتصاوير، فما أن دخله حتّى أخذت الروائح الكريهة تتصاعد منه، واكتنف الظلام حجراته، وأخذ يسير فيه متلمّساً طريقه كالأعمى: (٦٨)

جئت أريد الحمّام يوماً ... فغرّني النّقش والحصيرُ
حتّى إذا جزت نلت ريحاً ... كأنّما تنبش القبورُ
أنقلُ خوف الوقوع رجلي ... فيها كما ينقل الضريرُ
وكلّما جاء لها زبون ... قلنا: ألم يأتكم نذيرُ ؟!

ويحصي الأسعرديّ مجموعة من العيوب والمساوئ الّتي عاينها في أحد الحمّامات التي دخلها، وهي عيوب تصور عدم اهتمام القائمين على الحمام بنظافته والعناية به، وذلك إذ يقول: (٦٩)

رأيت لحمّامكم ستّة ... يظلّ لها كلّ طلق عبوسا

هــواء تجمّــد منـــــه الــــرّؤوس ومـــاء يذيــب الكلـــى والنفوســـــا
وســـقف يــدرّ كفيــض الغمـــــــام وأرض تمـــانِع عنـــها الجلوســـــا
وطيـــن تغرغـــر منـــه الحلــــوق "وعشواء تمنح"(٧٠) روحاً خسيســـــا

ثانياً: النقد الاجتماعيّ

لم يقف الشّعراء الشاميّون زمن الحروب الصليبيّة عنـــد حـــدود الـــهجاء الشخصي، وإنّما تعدوه إلى نقد بعض مظاهر الفساد الاجتماعيّ، والتنديـــد بـــها، وتصوير معاناة النّاس منها، ودعوة أولي الأمر إلى إزالتها والقضاء عليها. وهم في ذلك كلّه كانوا يتمثّلون مشاعر العامّة، ويصدرون عنها. وقد تعدّدت مجالات النقد الاجتماعيّ آنذاك، فشملت الحكم والإدارة، والقضاء، وظاهرة الكسب غـــير المشروع، والفقهاء، والمتصوّفة، وسدنة المساجد، وغير ذلك.

وقد كثر الشّعر الّذي انتقد أجهزة الحكم والإدارة، وكان هذا النقد يوجه إلى الحكّام مباشرة، بحيث يبيّن الشّعراء فيه مواضع الخلـــل والفســـاد، ويوجـــهون الأنظار إليها دون مواربة. فعندما تفاقم ظلم السامريّ وزيـــر الملـــك الصـــالح إسماعيل، أرسل الفقيه شمس الدين المقدسيّ إلى الملك الصالح قصيدة اصطنـــع فيها أسلوب الوعظ والنّصح، شاكياً إليه فساد حاشيته وسوء صنيعهم، وسمّاهم له واحداً واحداً، آخذاً عليه اعتماده على مثل هؤلاء المفسدين، ولا سيّما على ثعلب وفضيل المنجمين اللذين أكثر الملك الصالح من استشارتهما. يقول:(٧١)

يا مالكاً لم أجد لي مـــن نصيحتـــه بدّاً، وفيها دمـــي أخشـــاه منسـفكا
اسمع نصيحته مـــن أوليتـــه نعمـــا يخاف كفرانـــها إن كـــفّ أو تركـــا
والله لا امتـــدّ ملـــك مـــدّ مالكـــه على رعيّتـــهِ مـــن ظلمـــهِ شبكـــا
ترى الحسودَ به مســـــتبشراً فرحـــاً مستغرباً من بوادي أمـــره ضحكـــا
وزيره ابـــن غـــزال والرّفيـــع لـــه قاضي القضاة ووالي حربه ابن بكا

وثعلبٌ وفضيلٌ مـــن همـــا، وهمـــا أهل المشورة فيما ضاق أو ضنكـــا
جماعة بـــهم الآفـــات قـــد نُشِـــرت والشّرع قد مات والإسلام قد هلكـــا
ما راقبوا الله في سرّ وفـــي علـــن وإنّمـــا يرقبـــون النّجـــمَ والفلكـــا
إن كان خيراً ورزقاً واســـعاً فلـــهم أو كان شـــرّاً وأمـــراً ســـيّئاً فلكـــا

وكتب سيف الدين السّامريّ إلى طوغان حاكم البـــيرة، وأسـندمر حـــاكم طرابلس أبياتاً استنكر فيها خضوعهما لأستادارهما العلم ســـنجر ونـــائب الـــبرّ الشجاع همّام، مصوّراً سيطرة هذين الرّجلين على شؤون الحكـــم، واهتمامـــهما بشؤونهما الخاصّة، واستخفافهما بالرّعيّة، واستحلالهما دماءهـــا وأموالهـــا. يقول: (٧٢)

اســـم الولايـــةِ للأمـــير ومـــا لـــه فيـــها ســـوى الأوزار والآثـــامِ
وجبايـــةُ القتلـــىْ وكـــلّ مصيبـــة تجبـــى منافعـــها إلـــى همّـــامِ
ســـيفان قـــد وليـــا وكـــلّ منـــهما مـــاضي العزائـــم دائـــم الإقـــدامِ
وببـــابِ كـــلّ منـــهما علـــم ينكّـــ ـــل ما يجـــود بـــه مـــن الإنعـــامِ
ما النّـــاس عندهمـــا بنـــاس لا ولا يريـــان هـــذا النـــاس كالأنعـــامِ
وقد استحلا منـــهم مـــا لـــم يـــزل مـــن مالـــهم ودمائـــهم بحـــرامِ
فمتى أرى الدنيـــا بغـــير ســـناجرِ والقطـــعِ والتنكيـــس للأعـــلامِ

واستهجن شعراء آخرون سياسة بعض الحكام الّتي تخالف المعـــهود فـــي سياسة الدولة الإسلاميّة، فعندما استوزر الملكُ الأمجد بهرام شاه مـــهذّب الديـــن السامريّ، قال فتيان الشّاغوريّ أبياتاً استغرب فيها أن يقوى نفوذ اليهود في دولة الملك الأمجد، وأنكر عليه استيزاره للسامريّ الّذي أكثر من استخدام أقاربه مـــن السّمرة، فـــ "كثر منهم العسف وأكل الأموال والفساد"(٧٣)، ودعاه إلى الفتك بهم، والقضاء عليهم: (٧٤)

الملك الأمجد الذي شهدت	له ملوك الزّمان بالفضلِ
أصبح في السامريّ معتقداً	ما اعتقد السامريّ في العجلِ
والسّامريّون كالبرامك من	قبل، فأين الرّشيد للقتلِ؟!

ونزع بعض الشعراء في تعريضهم بالحكّام إلى تشويه صورة المهجو ونعته بكل قبيح منفّر، من ذلك قول محمد بن سوار بن إسرائيل يصف أحد المتولّين الجائرين، جاعلاً إيّاه شؤماً على الرعيّة، ومصوّراً المفارقة الأخلاقيّة في سلوكه، وانعكاس الأحوال في عهده: (٧٥)

يا فاضح الدين والدنيا بسيرته	وقامع العدلِ والإحسان والجودِ
قد ضاق ظاهر ما في الأرض منك فما	بباطن الأرض ميت غير محسودِ
خفّض عليك فإن الناس قد أيسوا	من خضرة العيش في أيّامك السودِ

وإمعانا في الانتقاص من قدر الحكّام، استعمل الشعراء صور الحيوانات والحشرات وقارنوا المهجوّين بها، كما في قول البديع الدمشقيّ يشبّه أحد الحكّام بالبهيمة(٧٦):

حاكمكم بهيمة	ليست تساوي العلفا
وليس فيه مضغةٌ	طيّبة إلاّ القفا

ويعرّض العلم الشاتاني بالوزير صالح بن العجميّ ويصفه بأنه "تيس" ويستطرد إلى ذكر العماد الأصفهاني(٧٧):

وزارة التيس أبي فاسد	قد عمّ أهل الأرض منها الفسادْ
عاندَ علمي جهله مثلما	هدّ قوى الفضلِ بقصدِ العمادْ

وتعرّض بعض الشعراء في نقدهم للحكّام إلى أخلاقهم وسلوكهم، فقد هجا ابن دنينير ابنَ يعلى وزير الملك الظاهر بحلب في عدّة مناسبات، من ذلك قولـــه يصفه باللؤم والجهل وضعف العزيمة والحمق وسوء الأخلاق(٧٨):

ما إن سمعتُ ولا رأيتُ ولـــن أرى	لؤمـــاً يمـــاثل لـــؤم عبـــد البـــاقي
هو جاهل واهـــي العزيمـــة أحمـــق	صعب العريكـــةِ ضيّـــق الأخـــلاقِ
فلـــو أنّ رجليـــه بخفّـــة رأســـــهِ	لغـــدا يفـــوت نواظـــر الأحـــــداقِ

وينتهز ابن دنينير مناسبة حجّ المعتمد والي دمشق لينعته بالرّياء، ويتّهمـــه بأنّه حجّ خوفاً من الملك المعظم عيسى لا خشية من اللّه. يقول: (٧٩)

حججتَ يـــا شـــرّ خلـــق الله كلّـــهم	لمّا تعرّيت مـــن مـــال ومـــن جـــاه
وكان حجّك يا مـــن لا خـــلاق لـــه	خوف المعظـــمَ لا خوفـــاً مـــن الله

وقد أفحش عضرس الحلبيّ في هجاء أحد رؤساء حلب، فرماه في شرفـــه ورجولته، وذلك إذ يقول(٨٠):

شكت ابنَ صقر عرســـه وتظلّمـــت	عـــدم الجمـــاع وقلّـــة الإنفـــــاقِ
فأجابـــــها بتذلّـــــل وتخضّــــــع	والدمـــع منحـــدر مـــن الآمـــــاقِ
بي مثل ما بك يا حمامـــة فاســـألي	من حـــلّ قيـــدك أن يحـــلّ وثـــاقي

وكتب ابن الساعاتيّ إلى بعض الأكابر، وقد ولي ولاية، أبياتاً عنّفه فيـــها على تكبّره على النّاس، مبيناً له أنّ هذه الولاية لن تدوم وأنها "كـــأحلام نـــائم". يقول(٨١):

تتيه علينا أن وليت ولاية | رويداً فما شيء لديها بدائمِ
وما المال ذا نفع وإن كان سالماً | إذا كان عرض المرء ليس بسالمِ
فما هي إلاّ مثل طيف مسلّم | وما عزّها إلاّ كأحلام نائمِ

وقد صاغ شعراء آخرون نقدهم للحكّام بأسلوب هزليّ تتبدى فيه روح السخرية بقوّة، ولعلّ أشهر أولئك الشاعر ابن عنين الّذي ثابر على هجاء الحكّام في عصره، وآثر ألاّ يأوي إليهم، ولا يكفّ عن ذمّهم، حتى اقتحم بأهاجيه غضبهم، وإحن صدورهم. ومن يقرأ هذا الهجاء يشعر أنه يعبّر عن تجربة إنسانية عميقة فيها قدر طاغ من حدّة الإحساس وقوّة الشعور. فها هو ذا ينتقد الجهاز الإداريّ لمدينة دمشق، فيذمّ بدر الدين مودوداً شحنة المدينة، ويضمّ إليه طائفة كبيرة ممّن يعملون معه، ويتّهمهم في أمانتهم وكفايتهم، ويرميهم في أخلاقهم وسلوكهم(٨٢):

ما عِندَ مودود مَن قلّتْ مثالبهُ | إلاّ المبارز إبراهيم نائبهُ
ومن سِواه فكلبٌ لا خلاقَ له | قد أعجزتني فما تحصى معايبهُ
المستشار عفيف الدّين قد دميت | يدي على لومهِ ممّا أعاتبهُ
وابن النفايةِ والتّيس الشريف وجعـ | ـس الكلب مشرفه والعِلق كاتبهُ
والأقلف الكلب رأس الأمر صاحب ديـ | ـوان الأمير وجابيه وحاسبهُ
والأحمق الجاهل الكرديّ يسأل في | حبس العقيبةِ عن علق يداعبهُ

ويهجو ابن عنين أمير البيرة بدر الدّين حسناً، فيتهكّم به، ويصوّره تصويراً مضحكاً، وذلك إذ يقول(٨٣):

لنا أمير قرنُه | ينطح في الأفق الفلكْ
عطاؤه وطعنه | ما غير دقٍّ بالحنكْ

فهم الذّنابى أبدا في أيّما جيش سلكْ
كأنّه في قلعةِ البيرة صيّادُ السّمكْ

وعندما نُفي ابن عنين من دمشق، استنكر ذلك، وهتف في وجه مقدّمي الدولة قائلاً[٨٤]:

لو كنت أسودَ مِثل الفيل هامته عَبْل الذّراعين في غرموله كِبَرُ
كانت حوائج مثلي عندكم قضيت لكنّني أبيض في أيده قِصَرُ

وبعد أن أذن له الملك العادل بالعودة إلى دمشق، عاد إليها قويَّ النّفس، وهو ينشد[٨٥]:

هجوت الأكابر في جلّق ورعت الوضيع بهجو الرّفيعِ
وأخرجت منها ولكنني رجعت على رغم أنفِ الجميعِ

وتناول الشعراء في سياق نقدهم لأجهزة الحكم والإدارة ظاهرة الكسب غير المشروع واختلاس أموال الدولة والثراء على حساب الشّعب. فقد استهل ابن منير الطرابلسيّ قصيدته الّتي قالها في هجاء القاضي الأعزّ أبي الفتح محمدّ بن عبدالله التميمي، قاضي صور، بأبيات صوّر نفسه فيها يقف عند بائع خبز يستدين منه، وبينما هو كذلك، يمرّ موكب القاضي، فيتشبّث ابن منير به، فيأخذه القاضي معه إلى بيته، ثمّ يأخذ ابن منير في وصف هذا البيت وما فيه من بذخ ونعيم، وكأنّه يوجه الأنظار إلى هذا القاضي وأمثاله ممّن أثروا على حساب الشعب، وغرقوا في النعيم، بينما لا تجد العامّة (رغيف الخبز) إلاّ دَيْناً[٨٦]:

كنتُ يوماً في باب جيرون أتلو آيةَ الدَّينِ عند بيّاعِ خبزِ

فـــإذا وقـــع بغلـــة وغـــلام يقــرع النّــاس بيــنَ دفــع ولـــهزِ

وعليـــها فتـــى ضئيـــل المحيّـــــا مكـــثر مـــن ملوّنــــات وطـــــرزِ

قلت: من ذا؟ فقيل: قـــاضٍ جليـــل لقّبـــوه فـــي بيتـــهِ بـــالأعزّ

وهو يـــأوي إلـــى ذكـــاء وفضـــل قلت: يا نفـــس قـــد ظفِـــرت بكـــنزِ

فتدانيـــت ثـــمّ ســـلّمت فاستفـــــ ــــرس حتّى استبانَ جمعي وفـــرزي

* * * * * *

فدخلنـــا الدهلـــيزَ فـــابتدر الإذْ ن فـــأُغرقت فـــي دمقـــسٍ وخـــزٍّ

بيـــن دســـت وســـلّة ودواة ورقيـــق مـــن تســـتري وقـــزٍّ

ودعا بالطعام فاخترت مـــن حلـــ ـــوٍ ومن حـــامض المـــذاق ومـــزٍّ

ويمضي ابن منير في قصيدته على هذا النحو من وصف ما رآه في بيت هذا القاضي من مظاهر البذخ والترف. وحين يأسى فتيان الشاغوري لموجات الغلاء التي توالت على بلاد الشّام، يلتفت إلى أولئك الذين احتجنوا الأموال، وسكبوها في دورهم، بينما تعاني الرعيّة من الجوع والضنك. يقول(٨٧):

هم أطلقوا طَـرَف الغـلاء فجاءنـا عن طِرْف رخـص بـالغلاة مقيّـدِ

ما بين جدب نحن فيـه ورخصـهم إلاّ كغلـوة سَـهم رامٍ جيّـدِ

وقال أبو شامة المقدسيّ قصيدة طويلة صوّر فيها فساد القائمين على أموال الوقف في دمشق لعصره، ووجد عليهم موجدة شديدة، لأنّهم كانوا يتصرّفون في هذه الأموال على غير هدى، وينفقونها حسب أهوائهم ورغباتهم، ويحرمون منها مستحقّيها من طلبة العلم، وممّا قاله فيها(٨٨):

اتّخـذ حِرفـة تعيـش بـها يـا طـالب العلـم، إنّ للعلـمِ ذكـرا

لا تُهنه بالاتّكالِ على الوقـ ـفِ، فيمضي الزمان ذلاً وعسرا
إنما تحصل الوقوف لشرّيـ ـر من العلوم مبرّا
أو لمن يلزم الأكابر لا يبـ ـرح في خدمة ومدح وإطرا
والضعيف المشغول بالعلم يلقى من ولاةِ الوقوفِ هَجراً وهُجرا

وعمل سيف الدّين السامريّ أرجوزة سمّاها السامريّة، أولّها(٨٩):

يا سائق العيس إلى الشّام وقاطع الوهادِ والأكامِ

"حطّ فيها على الكتّاب، وأغرى النّاصر بمصادرتهم"، إلا أنّ هذه الأجوزة لم تصل إلينا.

بيد أنّ ابن عنين كان أكثر الشعراء جرأة في الحديث عن بعض العمّال والمستخدمين الّذين أطلقوا أيديهم في أموال الرعيّة ولا سيّما في دولة الملك المعظّم عيسى، فعندما أمر هذا الملك بأن تسلسل أبواب الجامع الأمويّ بدمشق، التمس ابن عنين تعليلاً لذلك، ليطعن به في أمانة سدنة المسجد الّذين نهبوا أمواله. يقول(٩٠):

لمّا رأى الجامع أمواله مأكولة ما بين نوّابِهِ
جُنّ فمِن خوف عليه غدا مسلسلا من كلِّ أبوابِهِ

ولمّا أمر الملك المعظّم عيسى بنزح ماء خندق القلعة بدمشق، ونال الناسَ من ذلك جهد عظيم، انتهز ابن عنين ذلك ليلمز أحد القضاة ويطعن في أمانته، فاقترح على الملك المعظم أن يضع هذا القاضي يديه في الماء فينزحه، ولا يبقي منه شيئاً(٩١):

أرِح من نزح مـــاءِ الــبرجِ يومـــاً فقــد أفضـــى إلـــى تعـــب وعـــيّ
مرِ القـــاضي بوضـــعِ يديـــه فيـــه وقــد أضحـــى كـــرأسِ الدّولعـــيّ

ويقترب ابن عنين من الرّوحِ الشعبيّةِ اقتراباً شديداً في ألفاظـــه وأســـاليبه، حين يهجو صاحبَ خزانة الملك المعظم عيسى، ويجرّده من كـــلّ فضيلـــة، ولا سيّما من الأمانة على أموال الخزانة[٩٢]:

يا مليكَ الدنيا الّـــذي أعظـــم اللــــ ــــه بتـــأييد عـــزّه ســـلطانَهْ
أنـــا أشكـــو إليـــك جـــور رقيـــع لقّبـــوه الصّقعـــان تـــاج الخزانـــة
عدم العقـــل والمـــروءة والإحســـ ـــان والديـــن والحيـــا والأمانـــة
وحوى اللؤم والرّقاعـــة والخسّـــ ـــة والجـــهل والخنـــا والخيانـــة
زعمـــوا أنّـــه حفيـــظ علـــى المـــا لِ أمين؛ قلت: اســـكتي يـــا فلانـــة

وكان كثير من القضاة في بلاد الشّام زمن الحـــروب الصليبيّـــة عرضـــة لهجاء الشعراء ونقدهم، مع أنّ عدداً منهم كان مشهوداً له بالعدل والنزاهة، فقـــد انتقد ابن دنينير القاضي حجة الدين الشهرزوري، وشهّر بـــه، ونعتـــه بالجـــهل والظلم والفسق والفجور، وذلك في قوله[٩٣]:

قـــاضٍ غـــدا فـــي الويـــلِ والثبـــورِ
مِـــن قبـــحِ مـــا يـــأتي مـــن الأمـــورِ
فـــي بخلـــه ولؤمـــهِ المشـــهورِ
والظلـــم والجـــور وقـــولِ الـــزّورِ
وجهلـــه المركّـــب الموفـــورِ
معـــترف بالفســـقِ والفجـــورِ

وتذكر المصادر أنّ القاضي شرف الدين بن الزكيّ كان "نزهاً....عفيفاً"(٩٤)، إلاّ أنّه لم يسلم من لسان ابن عنين الّذي كتب إلى الملك المعظم عيسى أبياتاً يتّهم فيها هذا القاضي بالميل إلى النّساء، ويدعوه إلى اتخاذ الإجراءات بحقّه(٩٥):

أقولها لو بلغت ما عسى ... فالطبل لا يضرب تحت الكسى
قاضيك إن لم تقصه فاخصه ... أولا فلا يحكم بين النّسا

وعندما لا يجد ابن عنين ما يطعن به في نزاهة القاضي ابن أبي عصرون يستحيل نقده له ضرباً من العَبَثْ، كما يقول هو نفسه(٩٦):

وما هجوت ابنَ عصرون أروم به ... فضلا، ولا نلت من فخر ومن شرفِ
لكنْ أجرّب فيه خاطري عبثاً ... كما تجرّب بيض الهندِ في الجيفِ

وقد توالى على منصب قاضي القضاة في دمشق في النّصف الثاني من القرن السّابع الهجريّ عدد من القضاة الّذين لم يتحرّوا العدل في أحكامهم، ومن هؤلاء أحمد بن هبة الله الملّقب بالصدر بن سنيّ الدولة، الّذي "كان مراعياً لأرباب الجاهات كثيراً"(٩٧)، فاستشهد النجيب بن الشقيشقة "لأجل جاه كان النجيب متّصلاً به، وميّزه بأن جعله عاقداً للأنكحة بباب جامع دمشق، فعجب الناس منه، وأنكروا ما فعله"(٩٨)، لأن النجيب "كان مشهوراً بالكذب ورقّة الدّين وغير ذلك"٩٩. وقد قال أحد الشعراء الشاميين ثلاثة أبيات أنكر فيها بشدّة على القاضي صدر الدين أن يولّي رجلاً موصوفاً بانحلال العقيدة والجهل بأحكام الشّرع عقد الأنكحة للمسلمين والأبيات هي(١٠٠):

جلس الشقيشقة الشقّي ليشهدا ... بأبيكما ماذا عدا ممّا بدا ؟!
هل زلزِل الزلزال أم قد أخرج الدّ ... جّال أم عدِمَ الرّجال ذوو الهدى ؟!

عجباً لمحلول العقيدةِ جاهل بالشّرع قد أذنوا له أن يعقِدا

وعندما عدّل القاضي الصّدرُ بن سنّي الدولة جمالَ الدين بن اليزديّ، وخلع عليه خلعةً بطيلسان، وأحضره مجلسه مع العدول، وأشهد عليه، قال الشاعر سيف الدين السامريّ قصيدة زفّ فيها إلى الناس، بأسلوب تهكميّ، نبأ تعديل ابن اليزديّ وجلوسه للنظر في أمورهم، عاداً ذلك فرصة سانحة للمجاهرة بالمعاصي والانغماس في اللهو والمجون، لأنّ ابن اليزديّ نفسه يفعل ذلك. يقول(١٠١):

طاب شرب المدامِ في رمضان واصطفاق العيدان عند الأذانِ
والزّنا واللواط في حرم اللـ ـهِ وترك الصلاة بالقرآنِ
منذ صار اليزديّ في سلك الشا مِ يطوف الحاناتِ بالطيلسانِ
وإذا صارت العدالة في الفسّـ ـاقِ واللائطين بالمردانِ
فجدير بأن أكون نبيّاً ويكون الصدّيق لي التلمساني
يا عدول الشّآم قد سمح القا ضي لأصحابه بنيل الأماني
قامروا واشربوا وقودوا ولوطوا وافسقوا والحدوا إذن بأمانِ
وارفعوا عنكم التستّر بالفسـ ـقَ فلا حاجةً إلى كتمانِ

وقد كانت هذه الطريقة في النقد بالغة التأثير، فعندما بلغت الأبيات القاضي صدر الدين "عزّ عليه، وأعرض عن اليزدي، ومنعه من الشهادة"(١٠٢).

وذكر أبو شامة المقدسيّ في كتابه (الذيل على الرّوضتين) أنّه تولّى القضاء في زمانه ثلاثة مشهورون بالفسق والظلم، هم النّجم بن الصدر سنيّ الدولة، وكان "حاكماً جائراً فاجراً ظالماً متعدياً(١٠٣)، وابن الجمال المصريّ الّذي "لم تكن طريقته مستقيمة"(١٠٤)، والرّفيع الجيليّ الّذي "فعل بالنّاس الأفاعيل"(١٠٥).

وقد قال أبو شامة ثلاثة أبيات حصر فيها هؤلاء القضاة ونوّابهم، مصوّراً فظاظتهم، واستشراء فسادهم، وابتلاء النّاس بهم(١٠٦):

دمشق في عصرنا مع فضلها بليت — من القضاة بجهّال وأوقاح
بأعجمين ومصريّ وصائغهم — والأربليّ وخيّاط وفلاّح
هم ضعف ستّة والنّواب كلّهم — ضعفان، أحزانهم أضعاف أفراح

ولمّا كثر تعدّي النجم بن الصدر سنيّ الدولة عزل، وأرسل إلى مصر. وقد صوّر أبو شامة المقدسيّ ردود الفعل الشعبيّة بعد أن سمع الناس بعزل القاضي ومغادرته دمشق، فقال: "ثمّ سافر الحاكم المعزول إلى مصر تحت الحوطة... والدّعاء عليه كثير، والتظلّم منه شائع، والدعاوى عليه كثيرة"(١٠٧). وقد قال العماد داوود بن الحمويّ في ذلك قصيدة تمثّل فيها مشاعر الدمشقيين الغاضبة إزاء هذا القاضي المخلوع الّذي فتق الشّرع، واحتال على الخلق، وبدّد الأموال، مصوّراً شماتة النّاس به، وكراهيتهم له، وتفنّنهم في ذمه، وممّا ورد فيها(١٠٨):

نجم أتاه ضياء الشمس فاحترقا — وراح في لجج الإدبار قد غرقا
ناحت عليه الليالي وهي شامتةٌ — وعرّفته صروف الدّهر ما اختلقا
وحدّثته الأماني وهي كاذبة — بأنّه لا يرى بعد النّعيم شقا
وجاد بالمال كي تبقى رئاسته — وفتّق الشّرع والتّقوى وما رتقا

******

وألقيت في قلوب النّاس بغضته — لكنّهم قد غدوا في ذمّه فِرَقا
ففرقة بقبيح الظّلم تذكره — وفرقة حلفت باللّه قد فسقا
وفرقة سلبته ثوب عصمته — بأنّه من رباط الدّين قد مرقا

وزاد أبو شامة من قوله:

وفرقـــة وصفتـــه بالخلاعـــة مـــع خبثٍ وكـــبر وكـــلّ منـــهم صدَقـــا

وفي سنة ٦٦٣هـ اجتمع على ولاية القضاء بدمشق، وفي زمـن واحـد، أربعة قضاة، وجعل كلّ واحد منهم قاضي القضاة لأحد المذاهب الأربعة، وقـد استهجن أبو شامة المقدسيّ ذلك قائلاً: "وهذا شيء ما أظنّه جـرى فـي زمـان سابق"(١٠٩). وكان لقب ثلاثة من القضاة شمس الدين، فاتخذ الشعراء مـن ذلـك مناسبة للتندّر والسخرية، كما في قول أحد الظرفاء(١١٠):

أهـــل دمشـــق اســـترابوا مـــن كـــثرة الحكـــامِ
وهـــم جميـــع شمـــوس وحالـــهم فـــي ظـــلامِ

وقول آخر:

أظلـــم الشـــام وقـــد ولـــي الحكـــم شمـــوس
ليـــس فيـــهم مـــن يبـــتّ الحكـــم علمـــا أو يســـوس

وقد اتّسعت دائرة النقد الاجتماعيّ في الشّعر الشـاميّ زمـن الحـروب الصليبيّة، فشملت الفقهاء والمتصوفة والوعّاظ وأئمة المساجد. فقد استرعى انتباه ابن عنين ما كان يدور في ردهات المسجد الأمويّ بدمشق من جدل بين بعـض الفقهاء، وما صاحب ذلك من انفعالات وارتفاع أصوات، فصوّر ذلـك تصويـراً ساخراً، وذلك إذ يقول(١١١):

البغل والجـــاموس فـــي جدليـــهما قد أصبحـــا عجبـــاً لكـــلّ منـــاظرِ

بـــرزا عشيّـــة يومنــــا لتجـــادل		هــــذا بقرنيـــه وذا بالحــــافرِ
مــا أتقنـــا غـــير الصيـــاح كأنّمـــا		لقنا جدال المرتضى بـــن عســاكرِ
لفظ طويل تحـــت معنـــى قـــاصر		كالعقل فــــي عبداللطيــف النـــاظرِ
اثنـــان مـــا لـــهما وحقّـــك ثـــالث		إلاّ رقاعـــة مدلويــــــهِ الشّــــاعرِ

وقد سخر شهاب الدين بن غانم، وهو متصوّف، من الفقهاء الّذين يعتكفون في المساجد في رمضان، فيشبّهم بالشياطين الّتي تغلّ في ذلك الشهر(١١٢):

ما اعتكـــاف الفقيـــه أخـــذاً بـــأجر		بل لحكـــم قضـــى بـــه رمضـــانُ
هـــو شـــهر تغـــلّ فيـــه الشياطـــ		ـــين، ولا شـــكّ أنّـــه شيطـــانُ

أما الشّاعر حوبان القوّاس فقد سخر مـــن حـــالات الوجـــد التـــي يزعـــم المتصوّفة أنّهم يمرّون بها، فقال على طريقتهم متهكما بهم(١١٣):

متّ في عشقــــي، ومعشوقـــي أنـــا		ففـــؤادي مـــن فراقـــي فـــي عنـــا
غبـــت عنّـــي فمتـــى أجمعنـــــــي		أنا مـــن وجـــدي منّـــي فـــي فنـــا
أيّـــها الســـامع تـــدري مـــا الّـــذي		قلـــــت والله ولا أدري أنـــــــا

وكان في ظاهر دمشق خان قد جمع أنواع أسباب الملاذّ، ويجري فيه من الفسق والفجور ما لا يحدّ ولا يوصف، فهدمه الملك الأشرف، وعمـــره جامعـــاً، وسمّاه الناس "جامع التّوبة". وقد ولّى الأشرف الجمال السبتيّ إمامـــة الجـــامع، وكان يلعب في صباه "بشيء من الملاهي، وهي الّتي تسمّى الجغانة"، فلّما توفي تولى موضعه العماد الواسطيّ "وكان يتّهم باستعمال الشراب(١١٤)، وكان صاحب دمشق آنذاك الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، فكتب إليه ابن الزويتينة الشاعر أبياتاً، على لسان المسجد، يذّم فيها أخلاق الإمام، ويشرح له ما أصابه من ضرّ،

حاثّاً، بأسلوب ساخر، على ردّه إلى حالته الأولى[١١٥]:

يـا مليكـاً أوضـح الحـ ... ـقّ لدينـا وأبانـة
جـامع التوبـةِ قـد قلّدنـ ... ـي منـك أمانـة
قـال: قُـلْ للملـك الصـا ... لـح أعلـى الله شانـه
يـا عمـاد الديـن يـا مَـن ... حمـد النـاس زمانَـه
كـم إلـى كـم أنـا فـي ضـ ... ـرّ وبـؤس وإهانـة
لـي خطيـبٌ واسـطيّ ... يعشـق الخمـر ديانـة
والّـذي قـد كـان مـن قبـ ... ـل يغنّـي بجغانـة
فكمـا نحـن فمـا زلنـ ... ـا، ومـا نـبرح حانـة
ردّنـي للنّمـطِ الأوّ ... ل، واستبق ضمانـة

الدراسة الفنيّة

اتّخذ كثير من شعر الهجاء في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية شكل مقطوعات قصيرة تعبّر عن فكرة واحدة بإحكام، بحيث يشعر القارئ عند الانتهاء منها بالاكتفاء. وهذه المقطوعات ليست أجزاء من قصائد ضاع أكثرها، أو اختيارات من قصائد طويلة، وإنما هي مقطوعات في صورتها الأصليّة الّتي قالها الشّعراء.

وتتخذ هذه المقطوعات صورتين رئيستين، الأولى أن تكون المقطوعة في بيتين لا يمكن الفصل بينهما، ويعبّران عن معنى تامّ لا يقبل التطوير، كما في قول ابن المسجّف العسقلاني يسجل بعض الظواهر الّتي أنكرها النّاس في عصره في دمشق[١١٦]:

ثلاثة أشياء ثقلن بجلّق ... على كلّ قلب بالدليل المحقّق

تزهّد قاضينا الخوبّي وطرحة الشّهـ ... ـاب وإسلام الحكيم الموفّق

والصّورة الثانية أن تكون المقطوعة في ثلاثة أبيات أو أكثر تتطوّر حتّى تبلغ نهاية مرسومة لا تتجاوزها لتمام المعنى بها، كما في الأبيات التالية الّتي كتبها شهاب الدين بن غانم إلى جمال الدين يشكو له رجلا يدعى السيف بن المغيزل[١١٧]:

مولاي قاضي القضاة يا مَنْ ... له على العبدِ ألف مِنّة

إليك أشكو قرينَ سوء ... بُليت منه بألف محنة

شهرته بيننا اعتداء ... أغمده فالسيفُ سيفُ فِتنة

وقد لا يأتي السّياق مكتملاً في المقطوعة، وإنّما يترك الشّاعر للقارئ إتمامه، كما في قول ابن السّاعاتي في هجاء ابن سناء الملك(١١٨):

أتَعبثُ بي غائباً يا سعيد | أما لو حضرت لأدّبت جنّك
ولست أقول هجاء يشين | يكفيك علمك يا مجد أنّك....

وقول ابن المهنا في الأبيات التالية الّتي أنفذها إلى قاضي حلب يشكو فيها نائبه وكاتبه(١١٩):

لا عجب أن خرب الشام أو | أقوت مغانيه ولا غَرْو
قد أصبح المجد به حاكماً | وأصبح المنشي له صِنْو
مولاي، محيي الدين، غيّرهما | عنّا، فتحوي شكرنا أوْ ....

وقد تكتفي المقطوعة بالإيماء إلى المعنى دون ذكره، فتترك في نفس القارئ أثراً مسترسلاً، كما في قول ابن عنين يخاطب الملك المعظم عيسى وقد أرهق النّاس بنزح ماء خندق القلعة بدمشق(١٢٠):

أرِح من نزحِ ماء البئر يوما | فقد أفضى إلى تعب وعيٍّ
مُرِ القاضي بوضع يديه فيه | وقد أضحى كرأسِ الدّولعيِّ

وتمتاز المقطوعات الهجائية بالإيجاز والتكثيف ممّا يمنحها حدّة لاذعة، كما في قول سيف الدين السامريّ يهجو أهل دمشق(١٢١):

قَبّح اللّه كلّ من بدمشق | من أصيحابنا سوى ابن سعيدِ
فهو على شحّهِ وما يتعاطا | ه من اللؤمِ أصلح الموجودِ

وتستعين بعض المقطوعات بالسخرية القائمة على مفاجأة القارئ بمعنى ظريف أو صورة طريفة، كما في قول ابن عنين يتهكّم بشرف الدّين يعقوب الّذي كان يُسمع الحديث بجامع دمشق(١٢٢):

رأيت النبيّ عليه السّلام فقمت إليه وقبّلتهُ
فقال: أيعقوب يروي الحديث، فقلت: نعم، قال: ما قلتهُ

وقد تتّخذ المقطوعة شكل دعابة يحرص الشاعر على إنهائها بطريقة فكاهيّة ترسم على شفتي القارئ إذا ما انتهى من قراءتها، ابتسامة خفيفة، كما في قول شهاب الدين التلّعفريّ في صديق له يدعى سليمان، وقد رمته بغلته وداسته(١٢٣):

سمعت لابن سليمان وبغلتهِ أضحوكة، خلتها إحدى قصائده
قالوا: رمته وداست بالنّعال على قفاه، قلت: هذا من عوائده
لأنّها فعلت في حقّ والدها ما كان يفعله في حقّ والده

وتبدو بعض المفاكهات نكتة بسيطة ساذجة، ولكنّها هادفة، كما في قول ابن المسجف في رجل يلقّب بدر الدين، ويستطرد إلى نفسه(١٢٤):

قالوا: تلقّب ببدر الدّين مفتخرا نجل الجنوبيّ من قد زيّن الأمنا
فقلت: لا تعجبوا منه، فذا لقب وقف على كلّ نحس، والدليل أنا

ولابن عنين مقطوعات كثيرة تشتمل على الفكاهة الحلوة، والنكتة البارعة، وقد أدرك الأقدمون ذلك، فأشاروا إلى أنّ ابن عنين كان يقصد من بعض هجائه "الدّعابة والإحماض، لا الغيبة وثلب الأعراض"(١٢٥)، كما في الأبيات التّالية الّتي أضفت عليها التورية لونا هزلياً خفيفاً، وقد قالها في الشريف الكحّال الّذي أحب

غلاماً ينبز بـ "الجمل"(١٢٦):

فَدَيتك قل للشّريف الشّهاب ... وإن شاط غيظاً فلا تحتفلْ
توالي الحنابلة القائلين ... بأنّ يزيداً إمام عدلْ
وتزعم أنّك من عترة الوصيّ ... وأنتَ تحبُّ الجملْ !!

وقد تكون المقطوعة لدى ابن عنين في صورة حكاية بسيطة تتّسم بالحركة الصّاعدة الّتي تصل إلى نهاية محدّدة تقف عندها، ويتّم المعنى بها، كما في الأبيات الآتية التي قالها في بدر الدين مودود شحنة دمشق(١٢٧):

جاء الشتاء وليس عندي جبّة ... فطفقت أطلب دار بدر الدّينِ
فتصفّحت لمّا قراها حبّة ... فبدا يواصل زفرة بأنينِ
وشكا نياط فؤاده وحرارة ... في قلبه تُربي على سجّينِ
وغدت فرائصه تهزّ كأنّها ... سعف عرته الرّيح في تشرينِ
ينسى فيسكن ما به وتعوده الذكـ ... ـرى، فيصرع صرعة المجنونِ
فشكرت ربّي لو قراها جُبّة ... لقتلته عمداً بلا سكّينِ
وخرجت أمشي القهقرى متستّراً ... بقرون حاجبهِ الزكيّ ابن القيني

أمّا الهجاء الّذي كان في قصائد طويلة فهو قليل في الشعر الشاميّ زمن الحروب الصليبيّة، ومن أمثلة ذلك قصيدة لأبي شامة قالها في هجاء القائمين على أموال الوقف في دمشق، وقد مرّت بنا بعض أبياتها، وقصيدة لابن دنينير قالها في هجاء القاضي حجة الدين بن الشهرزوري، وقد استشهد ببعض أبياتها في الحديث عن هجاء القضاة، وقصيدة ابن عنين الّتي وسمها بـ "مقراض الأعراض"، وهجا بها عدداً من وجوه دمشق. غير أنّ ابن منير قد فاق هؤلاء في قدرته على إطالة قصائده الهجائيّة، ولعلّ هذا يرتبط بموهبة الشّاعر، بالإضافة

إلى الهدف الذي كان يرمي إليه من هذا الهجاء المطوّل. من ذلك قصيدته الّتي قالها في هجاء القاضي الأعزّ، ومطلعها(١٢٨):

يا وزيرَ الشآمِ دعوة مظلو ... مٍ رجا من عُلاك كَشْفَ الظّلامة

وقد طال نفس الشاعر في هذه القصيدة، إذ بلغ عدد أبياتها مئة وأربعة وعشرين بيتاً. ولعلّ ميل الشّاعر إلى الأسلوب الوصفيّ هو الذي أتاح له هذا التطويل، كما أتاح له أن يحافظ على وحدة القصيدة ويدفع عنها التشتّت، فالقصيدة على طولها، فيها قدر كبير من الحيويّة المستمدة من تدرّج الشّاعر في الأفكار والمعاني، والبراعة في التصوير وإيثار اللغةالبسيطة الواضحة. فبعد أن استهلّ ابن منير القصيدة بأبيات تظلّم فيها إلى وزير الشام آنذاك من القاضي الأعزّ، يأخذ في وصف عمّة القاضي الّتي كانت مزيّنة ببعض الرّسوم. بيد أن ابن منير لم يقف عند حدود ما كان مرسوماً فعلاً، وإنّما راح يستدعي أصنافاً شتّى من هذه الصور، ويخيّل للقارئ أنّها مرسومة على العمّة. وقد استغرق ذلك حوالي ستّين بيتاً من القصيدة، تفنّن فيها ابن منير تفنّناً يدلّ على براعته في استغلال ثقافته المتنوعة في تشكيل معاني شعره وصوره. أجتزئ من ذلك قوله:

عِمّة تملأ الفضاء على وجهِ ضئيلٍ ... كعُشْرِ عشرِ القلامة
لو تخذنا البَحرَ المحيط مداداً ... وجعلنا بيت الدّنا أقلامَة
لم تمثّل معشارَ ما صوّرت بيـ ... ـن شوابيرها يد الرقّامة
من وحوشٍ رواتع وظباء ... رتّع بين أثلة وثمامة
وصنوف العشّاق من عاهر تشكـ ... ـو هواها وقحبة مستهامة
مثل قيس عشيق لبنى وعبّا ... س وفوز والقسّ مع سلاّمة
وملوك البلاد في الشرقِ والغر ... ب ونجد ومكة وتهامة
والنبيّون كلّ من أظهر الحـ ... ـقّ وأورى بصدقه أعلامة

فعليها أبـــو الخلائــق قــد عُـــوِّ ض دار الدنيــا بــــدار المقامـــــة
وعليـــها قـــابيل يدفـــن هابيــــــــ ــــل وقــد بـــاء بعـــده بالندامـــــة
وعليها نـــوح وقــد صنـــع الفلـــــ ــك وأبــدى فـــي بَنيــها إحكامــة
وعليها موسى ينـــاجي مـــن الطّـــو رِ إلـــه السّـــماءِ يبغـــي كلامَــــة
وعليـــها يعقـــوب يشكـــو إلـــى الله بنيــــــهِ وبثّـــــه وغرامَـــــة

ويمضي ابن منير في قصيدته على هذا النحو، فيذكر إبراهيم الخليل وهو يكسّر الأصنام، وشعيباً وقد أقعده المرض، ويوسف وقد جدّ في الهرب من امرأة العزيز... إلى غير ذلك من الصور المستوحاة من القصص القرآنـــي والتّـــاريخ الإسلاميّ وغير الإسلاميّ... ومع أنّ هذا التكثّر من الصور كان يصـــدر عـــن رغبة في السخرية من القاضي الأعز، فإنه كذلك يدل على رغبة ابن منير فـــي استعراض ثقافته المتنوعة.

وبعد أن انتهى الشاعر من تصوير القاضي الأعزّ في هيئة لا تصلـــح أن تكون لقاض، يخلص إلى تصوير استخفاف الناس بهذا القاضي، وتملّقـــهم إيـــاه بالمدح الكاذب، لعلّهم ينالون الحظوة عنده:

مكّـــنَ اللّـــه درّتـــي مـــن أعـــالي ســـفَل يدّعـــون فيــــه الإمامـــــة
كـــــلّ فَســـــل إذا رآه تـــــردّى خاضعـــاً راكعـــاً ذليـــلاً أمامـــــة
قـــائلاً يـــا عذيـــر حـــاتم الطـــــا نيّ فيما يولي وكعـــب بـــن مامـــة
يا مليح الشبـــابِ يـــا أنضـــرَ النّـــا س، ويـــا أحســـن البريّـــةِ قامـــــة
كلّ هذا نَصْبٌ على الخربِ البيـــــ ـــتِ، ليفنـــوا خلقانَـــه وطعامـــــة
وهو إذ ذاك لا يريـــد ســـوى تيــــ ـــــهِ عليـــهم وســـطوة وعرامــــة
يصطفي بعضـــــهم ويبعـــد بعضـــا لـــيُرى ذا إهانـــــة وكرامـــــــة

وإذا كان ابن منير قد تناول في الأبيات السّابقة صوراً من العلاقات الظاهرة بين القاضي الأعزّ ومن يأتي إلى مجلسه، فإنّه تحدّث في الأبيات التالية عن طائفة من العلاقات الشاذّة الخفيّة بين هذا القاضي وبعض حاشيته، بله علاقتهم بأخته، مقذعاً في الهجاء، مستعملاً عبارات وصوراً فاحشة، يجلّ المقام عن ذكرها، وقد تدرّج الشاعر في هذا الهجاء تدرّجاً يشعر بالوصول إلى نهاية القصيدة، فمازج بينه وبين ذمّ الدهر الذي قدّم أمثال هؤلاء، وأخّره على فضله، شاكياً من الحاجة وفقدان الصديق، محذّراً القاضي وأتباعه بأنّ الأيّام دول:

يا شباعَ البطونِ لا بدّ من جو | ع يليك البطين منكم لجامة
لا تغرّنكم مهادنة الدّهـ | ـر فما زال مُسْهراً من أنامة
كلّ شيء إذا تناهى إلى حـ | ـدّ تمامٍ فالنقص يتلو تمامة

وهكذا كانت قصيدة ابن منير الطرابلسيّ، كغيرها من القصائد الهجائيّة، تجمع بين الطول ووحدة الموضوع، فالقصيدة ذات موضوع واحد هو الهجاء، وهدف واحد هو السخرية من القاضي الأعزّ وبيان بطلان أحكامه، ويسري فيها شعور واحد هو النّقمة على هذا القاضي وأمثاله، لذا أنهى الشاعر قصيدته كما بدأها، ولم تخالف نهايتها بقيّة أجزائها، فاطّرد فيها النّسق، وتوالى المعنى، ليحقّق الغاية المرسومة لها.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن لغة الهجاء وأساليبه، فإنه يلاحظ أنّ الشّعراء، حتّى يكفلوا لأهاجيهم سرعة التأثير والذّيوع بين النّاس، نظموها في لغة سهلة بسيطة واضحة، تقترب من اللغة المحكيّة اقتراباً شديداً، من ذلك قول ابن الساعاتي يهجو رجلاً يدعى صالحاً، مستعملاً الصيغ النثرية في بناء بيتيه(١٢٩):

أسائلتي عن صالح إنّ صالحاً | وإن نال حظاً من عُلىً وتقدّمِ
له إفك مدّاحٍ، وأبنة كاتب | وكدية صوفيّ، وعقل معلّمِ

ويقترب العرقلة الكلبيّ في أهاجيه من اللغة المحكيّة اقتراباً شديداً، حتّى لتخلو - أحياناً- من الفنّ، كما في قوله يهجو وحيشاً الأسديّ(١٣٠):

لا بارك اللّه في وحيشٍ   فإنّه مكدّر للعيشِ
كم قال، لا قلقِل غير نابه   أبيات شعر كبيوت الخيشِ

وتكثر الألفاظ العاميّة في هجاء ابن عنين، مثل "العواني، والعلق، ودقّ حنك، وما قصّر (بمعنى أصاب وأحسن)، والصفعان، والتجعمس"(١٣١). كما استعمل بعض التعابير التي تستعملها العامّة في دمشق مثل "اسكتي يا فلانه" في قوله(١٣٢):

زعموا أنّه حفيظٌ على الما   لِ أمينٌ، قلت: "اسكتي يا فلانه.."

ولا تكاد تخرج عبارة "يا ابن الدجاجة" عن الشتائم الّتي تتردّد على ألسنة العامّة، وذلك في قوله(١٣٣):

يا ابن الدّجاجةِ كلّ النّاسِ كان لها   ديكاً، فأنت ابن مَن حتّى أناديكا ؟!

ويردّد ابن المسجّف العسقلانيّ في هجائه بعض الشتائم البذيئة الّتي تلقيها العامة في عصره، كما في الشطر الثاني من البيت الأخير(١٣٤):

قالوا: علامَ رفضت الشّعر مطّرحا   فقلت: من قلّة الإنصاف في زمني
لا المدح يورثني مالاً أُسرّ به   ولا الهجاء إلى سؤلي يقرّبني
حتى يقال أديب شاعر فطن   جِرِ امّ كلّ أديب شاعر فطنِ

وكما في عبارة "لا يساوون نعلاً" في قوله يهجو جماعة في دمشق(١٣٥):

خمس تيجـــان لا يســاوون نعــلاً	رثّ فـــي قيمـــة ولا مقـــدارِ
الشحـــيرير والأعيـــور والقصّــــا	ر وابن المصـــريّ وابـــن الحــوارِ

ولا يخفى على القارئ الخطأ الذي وقع فيه الشاعر، إذ ذكّر العـــدد مـــع المعدود المذكّر في البيت الأوّل.

ومع أنّ لغة الهجاء تميل بوجه عامّ إلى البساطة والوضوح، والاســـتكثار من التعابير الشعبيّة، فإنّ بعض الشعراء استغلوا معارفهم وثقافاتهم في التعبـــير عن معانيهم، وتصوير مهجويّهم. فقد استوحى الشعراء بعـــض آيـــات القـــرآن الكريم، ووجّهوها على نحو يخدم مقاصدهم الهجائيّة، كما في قول كمال الدين بن الأعمى يذمّ أحد الحمّامات، ويتذمّر من القائم عليه(١٣٦):

كلّمـــا قلـــت: قـــد أطلــت عذابـــي	قال لــــي: اخســـأ فيـــه ولا تتكلّـــمْ
قلـــت لمّـــــا رأيتـــــه يتلظّــــــى	ربّنا اصرف عنّـــا عـــذاب جـــهنّم

ويفيد ابن عنين من القصص القرآنيّ حين ينتقد الأوضاع في مدينة دمشق لمّا فتحها الملك الكامل محمّد بعد الملك المعظم عيسى، وأعطاها الملك الأشرف موسى، وذلك إذ يقول(١٣٧):

وكنّا نرجي بعــــد عيســـى محمّـــدا	لينقذنا من لاعج الضـــرّ والبلـــوى
فأوقعنا فــــي تيـــه موســـى فكلّنـــا	حيارى، ولا منّ لدينــــا ولا ســـلوى

ويتصرّف شهاب الدين بن غانم بالحديث النبويّ الشريف الّذي يتحدّث عن فضائل شهر رمضان حين يهجو أحد المتصوّفة في قوله(١٣٨):

ما اعتكاف الفقيه أخذاً بأجرٍ	بل لحكم قضى به رمضانُ
هو شهر تغلّ فيه الشيا	طينُ، ولا شكّ أنّه شيطان

وضمّن الشعراء أهاجيهم بعض الأبيات الّتي قالها شعراء سابقون، كما في أبيات العرقلة الكلبيّ التي هجا بها أبا الحكم الأندلسيّ، حيث ضمّن مقطوعته بيتاً للمتنبي، ووضعه في موضعه المناسب من المقطوعة، وقد سبق أن استُشهد بها في الحديث عن التهاجي بين الشعراء.

ويستعير ابن عنين بيتين لجميل بن معمر العذريّ، ويجعلهما على لسان المهجوّ كمال الدين الشهرزوريّ إمعاناً في السخرية منه، وذلك في قوله(١٣٩):

دخلت على ابن الشهرزوريّ ليلة	وقد أغلقت دون الوزير المغالق
فعاينته ولهان يُرطل فيشة	وينشدها والخدّ بالدمع غارق
"وماذا عسى الواشون أن يتحدّثوا	سوى أن يقولوا إنّني لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة	إليّ، وإن لم تصف منك خلائق"

ويتّكئ ابن منير الطرابلسي على ثقافته بالعربيّة: نحواً وصرفاً وإملاء وعروضاً حين يهجو القاضي الأعزّ في قصيدته الزائيّة، وممّا ورد فيها قوله يتحاور مع هذا القاضي، ويفحش في ذمّه وثلبه(١٤٠):

صاح، يا نصفَ سيبويهِ لقد أحـ	ـرزت علمَ الإعراب في غير حَرزِ
أنا خفض، وأنت رفع، وذا	(....) نصب، فلِمْ تخفّفُ همزي
قد صحبت النّحاة قبلك واستو	عبت ما كان من معمّى ولغز
وأراهم قد أدخلوا ألف الوصل	عليّ (...) وأنت كالمشمئز
قلت: هذاك للضّرورة، فاستضحـ	ـك تيهاً، وقال كالمستهزي

فاحسبنها ضرورة واتبّع القو م، فقد بانَ فيك معنى التنزّي

وقد استعمل الشّعراء الشاميّون التصوير البيانيّ وغير البيانيّ في التعبير عن معانيهم وأفكارهم، وتهدف هذه الصورة بصورة عامّة إلى التشويه، لذلك كثرت الصور المنفّرة والقبيحة، كما في قول نصر الهيتي يهجو قوماً لم يجزلوا له العطاء، ويصف رقاعهم الّتي تضمّنت مرسوم ذلك، مستعيراً لها طائفة من الصّور الّتي ينفر منها الذوق السويّ(١٤١):

رقاعهم تملأ الدنيا بما رحبت ملأً من المين والبهتان والزّورِ
تطوى وتنشَر والأدناس تشملها في كفّ كلّ سخين العين معرورِ
كأنّها، وعطاياهم مسطّرة فيها، لفائف ميت غير منشورِ
أو ما يقلّعه البيطار من خِرق عن كلّ أعجف غثّ اللحم معقورِ
فما لها مشبه في كلّ مخزية إلاّ مناديل ربّات المواخيرِ
لا تطّرحها إذا جاءت فإنّ لها نفعاً، ولكن لترقيع الطنابيرِ

وواضح أنّ الصور في الأبيات السابقة صور جزئيّة تحقق الازدراء بالمهجوّ، وقد استرفد الشاعر هذه الصور من مصادر تحقّق له هذا الهدف، فصور رقاع هؤلاء القوم تمتلئ كذباً وبهتاناً وزوراً، وجعلها ملطّخة بالأدناس والأوساخ، وشبّهها بلفائف ميّت، وبالخرق التي يعالج بها البيطار حيواناته المريضة، وبمناديل ربّات المواخير..

وقد تعدّدت المصادر التي استرفد الشعراء صورهم منها، فقد استوحى فتيان الشّاغوريّ القصص القرآنيّ في الأبيات التي انتقد فيها الملك الأمجد بهرام شاه، وأُخذ عليه استيزاره مهذّب الدين السّامريّ، وقد سبق الاستشهاد بها. واستوحى ابن عنين قوله تعالى "ولقد زيّنا السّماء الدنيا بمصابيح وجعلناها

رجوما للشياطين"[١٤٢] في البيتين التاليين اللّذين هجا بهما الرشيد النابلسي[١٤٣]:

شكا شِعْري إليّ وقال تهجو	بمثلي عرض ذا الكلب اللئيمِ
فقلت له: تسلّ فربّ نجم	هوى في إثر شيطان رجيمِ

واستمدّ الشعراء بعض صورهم من أحداث التاريخ الإسلاميّ، فقد التفت العرقلة الكلبيّ، مثلاً إلى الأحداث التي جرت بين عليّ ومعاوية، وذلك حين تبرّم من البوّاب الّذي منعه من الدخول على أقرباء الملك الصالح بن رزيك[١٤٤]:

على بابكم يا آل رزّيك شاعر	قنوع كفاه منكم الود والبشرُ
وقد ردّه البوّاب جهلاً بوجهه	"كما ردّها يوماً بسوءته عمرو"
وحتّى حسين، وهو سيّد مذهبي	زوى وجهه عنّي كأنّني الشِمر

واستعار الشعراء بعض صورهم من التّاريخ الأدبيّ، كما في قول ابن الساعاتيّ يصوّر حبّ أحد الأمراء للمدح والثناء، وأسفه على ما يذهب من ماله أو طعامه إذا زاره أحد، فيقرنه - على سبيل التهكّم والسخرية - بعروة بن حزام ومجنون ليلى[١٤٥]:

مظهر بالمديح وإن كان مجّا	نا تباريح عروة بن حزامِ
وهو يبكي بكاء مجنون ليلى	ساعة الإذنِ أو غداة الطعامِ

وانتقاصاً من أقدار المهجوّين أكثر الشعراء من صور الحيوانات والحشرات، إذ شبّهوهم بالبهيمة والتيس والكلب والعجل والذّباب.... من ذلك قول ابن الساعاتي يُزري بأحد الحكّام ويفضّل عليه القرد في الهيئة والتكوين[١٤٦]:

لو كنت فـــي زمـــن تقـــادمَ عـــهده		لذُكرت فـــــي طـــه وفـــي ياســـينِ
وتظـــنّ أنّـــك ذو جمـــال بــــــارِعٍ		والقرد أحسن مِنـــك فـــي التكويـــنِ

ويشبّه ابن السّاعاتيّ أحد الثقلاء بالعجل في الجهل وقلّة العقل، والذبابة في التطفّل، والنّمل في نقل الحديث. يقول(١٤٧):

تَجـــاوزْ دنيّـــات العُجيـــلِ وجهلـــه		فما يهتدي عجل يكون بـــــلا عقـــلِ
أحطّ علـــــى مأكولـــه مـــن ذبابـــة		وأنقل فيـــهم للحديـــث مـــن النّمـــلِ

وتكثر الصور المستمدة من الطبيعة في شعر الهجاء، فعندما هجـــا ابـــن المسجّف العسقلانيّ جماعة من أصحابه شبّههم بالسّراب في قلّة النّفع، وانعـــدام الفائدة. يقول(١٤٨):

هم في الرّخاء إذا ظفـــرت بنعمـــة		آلّ، وهـــم عنـــد الشدائـــدِ آلُ

ويقرن ابن منير الطرابلسيّ طباع أهل دمشق بجبالهم في الغلظة والقسوة. يقول(١٤٩):

وطباعـــــــهم كجبالـــــــــهم		جُبلـــت وقـــدّت مـــن حجـــرْ

ويشبّه كمال الدين بن الأعمى صَحن حلاوة أهداه إليه أصحابـــه بـــأرض السماوة في اليبس والصلابة. يقول(١٥٠):

إن فـــي صحنـــك المســـمّى حـــلاوه		رقّـــة تـــورث القلـــوب قســـاوهْ
كم حفرنا فلم نجد غير أرض الصحـــ		ـــن يبســا كمثـــل أرض الســـماوهْ

واستغلّ الشعراء العيوب الخَلْقيّة لمهجويهم، واستخرجوا منها صوراً طريفة على شاكلة ابن دنينير في القاضي حجة الدين بن الشهرزوري[١٥١]:

وكنّا عملنا للمظفّر دعوة ليحضر فيها عندنا يوم الاثنينِ
فجاء، ولكنّي رأيت عجيبة أتى أنفه من قبل ذاك بيومينِ

وقد تميّز ابن عنين بطريقة في التصوير لم توجد عند غيره من الشعراء، إذ كان يشبّه بعض مهجويه ببعض، ويقارن بينهم مقارنة هزليّة، كما في قوله يهجو الخطيب الدولعيّ، ويعارض بينه وبين أحد المفسّرين[١٥٢]:

طوّلت يا دولعيّ فقصّر وأنت في غير ذا مفسّرْ
خطابة كلّها خطوب وبعضها للورى منفّر
تظلّ تهذي ولست تدري كأنّك المغربيّ المفسّر

والصّورة في شعر الهجاء تتنوّع بين صور جزئيّة تقوم على تطلّب التشابه الظاهريّ بين طرفي الصورة، وصور كليّة ترسم منظراً متكاملاً، أو تستقصي ملامح مشهد محدّد. والصورة الجزئيّة هي الغالبة على هذا الشعر، وقد مرّ بنا كثير منها، وأمّا الصور الكليّة فهي قليلة، وقد توسّل الشعراء إلى رسمها بالحركة والتجسيد، كما في قول ابن خروف يهجو الطبيب الدّخوار، ويجسّد طبّه سيفاً راح يحمله ويهاجم به العباد الّذين أمعنوا في الهرب والتخفّي منه، ولكنّ أبواب النجاة سدّت في وجوههم[١٥٣]:

طبع المهذّب طبّه سيفاً وصال على المهجْ
باب السّلامة لا يُرى منه ولا باب الفَرَجْ

وقد نجد بعض الشعراء يستعمل التشخيص في رسم صوره، فقد مرّت بنا الأبيات التي رفعها ابن الزويتينة إلى الملك الصالح يشكو فيها فساد القائمين على أحد الجوامع، وقد شخص الشاعر هذا الجامع وصوّره إنساناً يتظلّم ويشكو إلى الملك، ويرجوه أن يدفع الفساد عنه، أو يعيده إلى ما كان عليه. وهذا ابن عنين يصوّر الجامع الأمويّ، وقد سُلسِلَت أبوابه، بإنسان أصابه مسّ، فشدّ بالوثاق(١٥٤):

لمّا رأى الجامع أمواله ... مأكولة ما بين نوابه
جُنّ فمن خوف عليه غدا ... مسلسلاً من كلّ أبوابه

والصورة في شعر الهجاء عامة بسيطة واضحة قريبة المتناول، تقع في حدود مدركات الناس وحواسّهم، ولعلّ هذا يعود إلى طبيعة الموضوع، فالهجاء، ولا سيّما إذا كان في شكل مقطوعات، يرمي إلى التأثير المباشر في نفوس المهجوّين، ومِنْ ثمّ فإنّ التفنّن في الصورة قد يحدّ من هذا التأثير، لأنّ الصورة الشعريّة بحاجة إلى قدر من التأمّل لفهم دلالاتها واستيعاب معناها.

خاتمـــــة

تمّ في الصفحات السابقة دراسة شعر الهجاء في بلاد الشام زمن الحروب الصليبيّة، وقد بيّنت هذه الدراسة أن هذا الشعر نما وتكاثر، وأنّ بواعث القول فيه تعدّدت، واتّجاهاته تنوّعت.

وأبرزت الدراسة الدور الذي اضطلع به الشعراء الشاميّون في تطهير المجتمع الشاميّ من مظاهر الفساد الخلقيّ والاجتماعيّ، وذلك بتقبيح هذه المظاهر، وإبرازها في صور تدعو إلى إنكارها والابتعاد عنها.

وأوضحت الدراسة أهميّة شعر الهجاء في دراسة بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبيّة، فهو يصوّر التنافس بين الشعراء وبواعثه الشخصيّة والمذهبيّة، ويصف فقر بعض الشعراء وسوء أحوالهم الاقتصادية، ويرسم صوراً طريفة لبعض مظاهر السلوك اليوميّ في المدن الشاميّة، ويكشف عن طائفة من التعدّيات التي كانت تصدر عن بعض الحكام والقضاة وغيرهم من القائمين على شؤون الرعيّة.

وأخيراً، بيّنت الدراسة أنّ جلّ شعر الهجاء كان في مقطوعات قصيرة، وأنّ هذا الشعر آثر اللغة السهلة القريبة، والصورة الواضحة الدانية.

الحواشي:

(١) مسالك الأبصار، (ميكروفلم) ١٥: ٣٠٥، وانظر الأدب في بلاد الشام: ٢٠٥.

(٢) عقود الجمان (ميكروفلم) ٣: ١٨٩.

(٣) العماد الأصفهاني، الخريدة (قسم العراق) ٣/١: ١٣٦.

(٤) عقود الجمان (ميكروفلم) ٦: ١٩٩، وانظر الأدب في بلاد الشام: ٣٥٧.

(٥) المصدر السابق ٦: ٥٣٦.

(٦) المصدر السابق ٧: ٤٤.

(٧) المصدر السابق ٧: ٢٤٣.

(٨) المصدر السابق ٣: ٦٧.

(٩) فوات الوفيات ١: ١٣٤.

(١٠) المصدر السابق ٢: ٢٨٢.

(١١) ثمّة شريط مصور (ميكروفلم) في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية يحتوي على بعض أشعار ابن منير، وهو صورة عن مخطوط رقم ٢١٠ بمكتبة أمبروزيانا.

(١٢) الكواكب الدريّة: ١٧٠.

(١٣) انظر: الوافي بالوفيات ١: ٤٢٧-٤٢٨، الذيل على الروضتين: ١٨١.

(١٤) فوات الوفيات ٢: ١٩٤.

(١٥) انظر الذيل على الروضتين: ١٤٨، ٢١١، فوات الوفيات ٢: ٣٥٢.

(١٦) الخريدة، قسم الشام ١: ٧٦، ٧٩.

(١٧) المصدر السابق ١: ٧٦.

(١٨) شعر ابن القيسراني: ٩٠.

(١٩) الحَشريّة: هم الذين يباشرون مال من يموت، وليس له ولد. صبح الأعشى ٣: ٤٦٠.

(٢٠) جمهرة الإسلام (ميكروفلم) ١: ٨٢.

(٢١) شعر ابن منير (ميكروفلم): ١٥٠.

(٢٢) ديوان ابن منير: ١٣٧.

(٢٣) الخريدة قسم العراق ٣/١: ١٣٦.

(٢٤) عيون الأنباء: ١٦٥.

(٢٥) المصدر السابق: ٦١٥

(٢٦) المصدر السابق: ٦١٦.

(٢٧) المصدر السابق: ٦١٤.

(٢٨) المصدر السابق: ٦٢٥.

(٢٩) عيون التواريخ ١٢: ٤٨٢.

(٣٠) عقود الجمان (ميكروفلم) ١: ٣٨٣.

(٣١) ديوان ابن عنين: ١٨٨.

(٣٢) انظر فصولاً من هذه الرسالة في معجم الأدباء ٥: ٢٢١٨.

(٣٣) فوات الوفيات ٣: ١٩٤.

(٣٤) الوافي بالوفيات ٢٢: ١٩٦.

(٣٥) ديوان العرقلة: ٩٤.

(٣٦) فوات الوفيات ٢: ٢٨٣.

(٣٧) المصدر السابق ٢: ٢٨٤.

(٣٨) ديوان ابن الساعاتي ٢: ١٥٤.

(٣٩) فوات الوفيات ٢: ٢٨٤.

(٤٠) بغية الطلب ٧: ٢٠٥.

(٤١) ديوان العرقلة: ٦٣.

(٤٢) انظر الخريدة قسم الشام ٢: ١٨٥.

(٤٣) عيون الأنباء: ٧١٧.

(٤٤) فوات الوفيات ٢: ٣١٨.

(٤٥) عيون الأنباء: ٦٥١.

(٤٦) المصدر السابق: ٦٥٢.

(٤٧) ديوان ابن عنين: ١٧٩.

(٤٨) عيون الأنباء: ٦٥٣.

(٤٩) ديوان ابن عنين: ١٩٤.

(٥٠) الوافي بالوفيات ٩: ٤٠.

(٥١) ديوان ابن عنين: ١٣٣.

(٥٢) فوات الوفيات ١: ١٣٥.

(٥٣) الخريدة، قسم الشام ٢: ٣٨٧.

(٥٤) عيون التواريخ ١٢: ٣٣٦.

(٥٥) المصدر السابق ١٢: ٣٣٦.

(٥٦) ديوان ابن عنين: ٢٣٩.

(٥٧) ديوان العرقلة: ٣٥.

(٥٨) فوات الوفيات ٢: ٢٨٥.

(٥٩) انظر حديثاً عن مدح المدن في كتاب: الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري: ٢٨٨.

(٦٠) ديوان ابن منير: ١٦٧.

(٦١) ديوان ابن عنين: ٢٣٠.

(٦٢) الخريدة، قسم العراق ٣/١: ١٢٤.

(٦٣) ديوان ابن دنينير: ٦٠٦، وللاستزادة انظر: ٥٩، ١٩٨، ٦٥٦.

(٦٤) ديوان ابن الساعاتي ٢: ٧٠.

(٦٥) معجم الأدباء ٤: ١٧٠٣.

(٦٦) فوات الوفيات ٣: ٨٧.

(٦٧) المصدر السابق ٣: ٩١.

(٦٨) المصدر السابق ١: ٣٠٧.

(٦٩) بغية الطلب ٩: ٤٢٤٣.

(٧٠) ورد ما بين علامتي التنصيص في بغية الطلب هكذا "وعشو يمنح" فلا يستقيم به الوزن والمعنى، والتصحيح من كتاب: شذرات من كتب مفقودة: ٣٩٩.

(٧١) فوات الوفيات ٣: ٣٥٨.

(٧٢) المصدر السابق ١: ١٣٩.

(٧٣) عيون الأنباء: ٧٢١.

(٧٤) ديوان فتيان: ٣٥٩.

(٧٥) تالي كتاب وفيات الأعيان: ١٤٢.

(٧٦) فوات الوفيات ٢: ١٣٣.

(٧٧) الخريدة، قسم الشام ٢: ٢٧٣.

(٧٨) ديوان ابن دنينير: ٥١٦.

(٧٩) المصدر السابق: ٦٠٩.

(٨٠) عقود الجمان (ميكروفلم) ٣: ٢٣٣.

(٨١) ديوان ابن الساعاتي ١: ١٤١.

(٨٢) ديوان ابن عنين: ٢٠٨.

(٨٣) المصدر السابق: ٢٠٣.

(٨٤) المصدر الساب: ٢٣٦.

(٨٥) المصدر السابق: ٩٤.

(٨٦) ديوان ابن منير: ١٤٦.

(٨٧) ديوان فتيان: ١٣١.

(٨٨) الذيل على الروضتين: ٢٢٢.

(٨٩) فوات الوفيات: ١٣٤.

(٩٠) ديوان ابن عنين: ١٤٣.

(٩١) المصدر السابق: ٢٣٥، وتنسب الأبيات كذلك إلى ابن المسجف العسقلاني: فوات الوفيات ٢: ٢٨٥.

(٩٢) المصدر السابق: ٢٢١.

(٩٣) ديوان ابن دنينير: ٥٧٧.

(٩٤) الذيل على الروضتين: ١١٠.

(٩٥) ديوان ابن عنين: ١٣١.

(٩٦) المصدر السابق: ١٩١.

(٩٧) الذيل على الروضتين: ٢٠١.

(٩٨) المصدر السابق: ٢٠١.

(٩٩) المصدر السابق: ٢٠١.

(١٠٠) المصدر السابق: ٢٠١، ولم يذكر أبو شامة اسم الشاعر.

(١٠١) فوات الوفيات ١: ١٣٨.

(١٠٢) المصدر السابق ١: ١٣٩.

(١٠٣) الذيل على الروضتين: ٢١٤.

(١٠٤) المصدر السابق: ١٤٨.

(١٠٥) فوات الوفيات ٢: ٣٥٢.

(١٠٦) الذيل على الروضتين: ٢١٤.

(١٠٧) المصدر السابق: ٢١٤.

(١٠٨) المصدر السابق: ٢١٥.

(١٠٩)المصدر السابق: ٢٣٦.

(١١٠) المصدر السابق: ٢٣٦.

(١١١) ديوان ابن عنين: ٢٠٥.

(١١٢) فوات الوفيات ١: ١٢٧.

(١١٣) المصدر السابق ١: ٢٠٣.

(١١٤) وفيات الأعيان ٥: ٣٣٤-٣٣٥.

(١١٥) فوات الوفيات ٢: ٣١٩.

(١١٦) فوات الوفيات ٢: ٢٨٤.

(١١٧) المصدر السابق ١: ١٠٣.

(١١٨) ديوان ابن الساعاتي ٢: ١٣.

(١١٩) الخريدة، قسم الشام ٢: ٩٨.

(١٢٠) ديوان ابن عنين: ٢٣٥.

(١٢١) فوات الوفيات ١: ١٣٦.

(١٢٢) ديوان ابن عنين: ١٣٧.

(١٢٣) فوات الوفيات ١: ١٤٧.

(١٢٤) فوات الوفيات ٢: ٢٨٤.

(١٢٥) عقود الجمان (ميكروفلم) ٦: ٢٠٣.
(١٢٦) ديوان ابن عنين: ١٣٥.
(١٢٧) المصدر السابق: ٢٠٣.
(١٢٨) شعر ابن منير (ميكروفلم): ١٧٦.
(١٢٩) ديوان ابن الساعاتي ٢: ١٠.
(١٣٠) ديوان العرقلة: ٥٦.
(١٣١) ديوان ابن عنين (المقدمة): ٢٦.
(١٣٢) المصدر السابق: ٢٢١.
(١٣٣) المصدر السابق: ٢٠١.
(١٣٤) فوات الوفيات ٢: ٢٨٦.
(١٣٥) المصدر السابق ٢:٢٨٦.
(١٣٦) المصدر السابق ٣: ٩١.
(١٣٧) ديوان ابن عنين: ١٣٢.
(١٣٨) فوات الوفيات ١: ١٢٧.
(١٣٩) ديوان ابن عنين: ١٩٧.
(١٤٠) ديوان ابن منير: ١٤٧.
(١٤١) الخريدة قسم الشام ١: ٢٣١.
(١٤٢) الملك، آية: ٥.
(١٤٣) ديوان ابن عنين: ١٨٨.
(١٤٤) ديوان العرقلة: ٤٨.
(١٤٥) ديوان ابن الساعاتي ٢: ١٢.
(١٤٦) المصدر السابق ٢: ٩.
(١٤٧) المصدر السابق ٢: ٧٢.
(١٤٨) فوات الوفيات ٢: ٢٨٤.
(١٤٩) ديوان ابن منير: ١٦٧.
(١٥٠) فوات الوفيات ٣: ٩١.

(١٥١) ديوان ابن دنينير: ٥٧٥.

(١٥٢) ديوان ابن عنين: ١٨٨.

(١٥٣) فوات الوفيات ٢: ٣١٨.

(١٥٤) ديوان ابن عنين: ١٥٤.

المصادر مرتّبة هجائياً حسب عنوان الكتاب

أولاً: المصادر المخطوطة:

١- جمهرة الإسلام ذات النّثر والنّظام، مسلم بن محمود الشّيزريّ، ميكروفلم رقم ٩٢٢٣ أدب، معهد إحياء المخطوطات العربيّة، القاهرة.

٢- شعر ابن منير الطرابلسيّ، مخطوط رقم ٢١٠، مكتبة أمبروزيانا، وعنه شريط مصوّر في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية.

٣- عقود الجمان من شعراء هذا الزمان، أبو البركات مبارك بن أبي الشّعار الموصلي، ميكروفلم رقم ٣٣٩ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة.

٤- مسالك الأبصار في اخبار ملوك الامصار، ابن فضل الله العمري، ميكروفلم رقم ٣٦٥، الجامعة الأردنية.

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة:

٥- الأدب في بلاد الشام، عصور الزنكيين والمماليك، د. عمر موسى باشا، دار الفكر المعاصر، بيروت ودمشق، ١٩٨٩.

٦- تاريخ دمشق، ابن القلانسي: أبو علي حمزة بن أسد، تحقيق د. سهيل زكار، دار حسّان، دمشق، ١٩٨٣.

٧- تالي كتاب وفيات الأعيان، فضل اللّه بن أبي بكر الصقاعيّ، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٤.

٨- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذّيل على الرّوضتين، أبو شامة المقدسيّ، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤.

٩- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، الحافظ ابن عساكر، هذبه عبدالقادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
١٠- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهانيّ، (قسم شعراء الشّام) تحقيق د. شكري فيصل، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٥.
١١- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني، (قسم شعراء العراق) تحقيق محمد بهجت الأثري، المجمع العلمي العراقيّ، بغداج، ١٩٦٤.
١٢- ديوان ابن دنينير، ابراهيم بن أحمد (رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة) تحقيق ودراسة محمود شاكر سعيد، جامعة الأزهر، ١٩٨١.
١٣- ديوان ابن السّاعاتي، أبو الحسن علي بن رستم، تحقيق أنيس المقدسيّ، المطبعة الأمريكانية، بيروت، ١٩٣٨.
١٤- ديوان العرقلة الكلبيّ، حسّان بن نمير، تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٠.
١٥- ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ط٢، ؟
١٦- ديوان فتيان الشاغوري، تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة، دمشق، ١٩٧٦.
١٧- الشعر العربيّ في بلاد الشام في القرن السادس الهجريّ د. شفيق محمد الرقب، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٣.
١٨- شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها د. إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.
١٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد بن علي القلقشنديّ، المؤسسة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
٢٠- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢١- عيون التّواريخ، محمد بن شاكر الكتبيّ، تحقيق د. فيصل السّامر ونبيلة

عبدالمنعم، وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٧.
٢٢- فوات الوفيات، محمّد بن شاكر الكتبي، تحقيـق د. احسـان عبـاس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.
٢٣- الكواكب الدريّة في السيرة النورية، تقي الدين أبو بكر بن أحمـد مـاضي شهبة، تحقيق د. محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١.
٢٤- معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، بيروت ١٩٧٩.
٢٥- وفيات الاعيان وأنباء الزّمان، ابن خلكان، تحقيق د. احسان عبـاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

عبدالله بن أيوب التَّيْمي

حياته وشعره

الأستاذ الدكتور رشدي علي حسن

يقع هذا البحث في قسمين أساسين هما:

الشاعر عبدالله بن أيوب التَّيمي، وشعره. فأمّا الشاعر فيعرض البحث بعض جوانب حياته: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه، ومولده ووفاته، وثقافته، وغير ذلك. وأمّا شعره فيدرس البحث شعر الشاعر دراسة موضوعية وفنية، ثم يضع هذه الدراسة بين يدي الشعر؛ إذ إنّ البحث ينهض بجمع شعر عبدالله بن أيوب التَّيمي وتحقيقه وتخريجه، ومقابلة رواياته، والتعريف بالأعلام وبخاصة غير المشهورين، وشرح الغريب من الألفاظ، وما يحتاج إلى شرح من الشعر، وتوضيح بعض المعاني.

أولاً: الشاعر

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه:

هو عبدالله بن أيوب من بني تيم اللات بن ثعلبة[١]، وفي رواية أخرى مولى بني تيم ثم مولى بن سُليم[٢]، وهوعربي من أهل اليمامة في معظم الروايات أو تيْمي بالولاء في بعضها. وهو من شعراء الدولة العباسيّة.

ويكنى أبا محمد في أكثر الروايات، وأبا موسى في رواية واحدة [٣]، ويقال له التَّيْمي نسبة إلى أحد أجداد عشيرته تيْم اللات بن ثعلبة نسباً أو ولاءً. ونُسب إلى تيم إذ قيل إنّه تميمي، ووردت هذه الرواية في الوزراء والكتاب، وجاء فيها: "يقول التميمي الشاعر وهو عبدالله بن أيوب"[٤]. ولعل ذلك من أخطاء النساخ، فهو تيمي لا تميمي.

مولده ووفاته:

لم تذكر المصادر التي أوردت بعض أخباره، وقصائد أو أبياتا من أشعاره شيئا عن ولادته ومكانها، أو عن نشأته وشيوخه.

ولعلّ الأمر الذي لا يكتنفه غموض، هو أنّ التَّيْمي شاعر كوفي عاش في العصر العباسي في القرن الثاني الهجري، وعاصر الخلفاء العباسيين: الرشيد والأمين والمأمون. فقد أوردت المصادر أن الرشيد كان يحب شعره [٥]، وأنه

---

(١) تاريخ بغداد ج٩ ص٤١١، وشرح التبريزي ج٣ ص٥، والنجوم الزاهرة ج٢ ص٢٣٥.
(٢) الأغاني ج٢٠ ص٥١، ومختار الأغاني ج٨ ص١٣٧.
(٣) الأغاني ج٢٠ ص٥١ و ص٥٦، والعقد الفريد ج٣ ص٢٩٣ وتاريخ بغداد ج٩ ص٤١٢، وشرح التبريزي ج٣ ص٥، ووفيات الأعيان ج٦ ص٣٣٨، والنجوم الزاهرة ج٢ ص٢٣٥.
(٤) الوزراء والكتاب، للجهشياري ص٢٣٠.
(٥) انظر: الأغاني ج٢٠ ص٥٦، ومختار الأغاني ج٨ ص١٣٨ .

كان ينادم الأمين ويحضر مجالسه، وأنه كان من مدّاحي المأمون [٦]. وروى لـــه ابن عبد ربه، وأبوعلي القالي، وأبو الفرج الأصفهاني وابن خلكان، وابن تغــرّي بردي، وغيرهم، قصيدته الدالية في مرثية يزيد بن مزيد الشيباني المتوفى ســـنة ١٨٥هـــ، وأثبتت له بعض المصادر مدائح في الفضل بن الربيع المتوفى ســـنة ٢٠٩هـــ. والباحث في شعره يلاحظ أنّ أخباره تكاد تنقطع فـــي أثنـــاء خلافـــة المأمون، وتخلو المصادر كلّها من إيراد شيء من أخباره أو أشعاره بعـــد ســـنة ٢٠٨هـــ ويلاحظ كذلك أن أول شعر عُرف به وشاع له قيل في عـــهد الخليفـــة الرشيد غنّى به إسحق الموصلي:

طافَ طيفٌ في المنام بمـــحـــبٍ مُستَهـــامِ

ويروي أبو الفرج الأصفهاني أنّ الرشيد سأل إسحق عن قائل الشعر، فقال له: صديق لي شاعر ظريف يعرف بالتَّيْمي[٧].

ونعلم أن الرشيد قد ولي الخلافة من سنة ١٧٠هـــ إلى سنة ١٩٣هـــ، وأن الأمين قد خلفه من سنة ١٩٣هـــ إلى سنة ١٩٨هـــ، وأن المأمون امتدت خلافته من سنة ١٩٨هـــ إلى سنة ٢١٨هـــ، وأن الوزراء والكتاب الذيـــن عملـــوا فـــي خدمة هؤلاء الخلفاء ممن اتصل بهم الشاعر مادحاً، كان آخرهم الفضل بن الربيع (ت ٢٠٨هـــ).

وأمّا شعر الشاعر فلا يكشف في ثنايا أبياته شيئاً عن المسائل التي تتعلـــق بولادته ومكانها ونشأته، ولكن يُستفاد منه أن الشاعر عاش أكثر مـــن خمســـين سنة؛ فولّى الشباب وظهر المشيب، وأنّ أبناء جيله قد رحلوا إلى الدار الآخـــرة؛

---

(٦) انظر المصدرين السابقين على التوالي ج٢٠ ص٥٨ و ج٨ ص١٤٠، والنجوم الزاهـــرة ج٢ ص٢٣٥.

(٧) انظر الشعر وتفصيل هذه الحكاية الأغاني ج٢٠ ص٦٥.

فرأى نفسه غريباً على نحو ما نرى في قوله[٨]:

جزعتَ ابن تيم أنْ أتاك مشيب ... وبان الشباب والشباب حبيبُ

وقوله [٩]:

إذا ذَهبَ القَرْنُ الذي أنْتَ فيهــــمُ ... وخُلِّفْتَ فـــــي قَرْنٍ فأنتَ غَرِيبُ
وإن امــــرأً قد سارَ خمسينَ حِجّة ... إلى منهلٍ مـــن وردِهِ لقريــــبُ

وعلى الرغم من ذلك فإن الوقوف عند الروايتين التاليتين يفيد في كشـــف هذه المسألة؛ أولاهما ما رواه أبو الفرج الأصفهاني من أن التَّيْمي مرّ بـــالحيرة على خمارٍ كان يألفه وقد أسن التَّيْمي وأرعش وترك النبيذ، فقال لـــه الخمّـــار: ويحك! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى؟ فقال: نعم والله، لولا ذلك لأكثرت عندك [١٠]. والأخرى ما أثبته ابن تغري بردي في أهم أحداث سنة ٢٠٩هـ، يقول: وفيـــها (أي في سنة ٢٠٩هـ) توفي عبدالله بن أيوب التَّيْمي[١١].

ولعل الروايات والإشارات التي أوردتها المصادر، والأبيات التـــي وقفنـــا عندها في شعره، تقود إلى ما يلي:

- أن الشاعر يعدّ من شعراء القرن الثاني الهجري، وأنّه اتصـــل بخلفائـــه ممن عاصرهم ووزرائهم وكتّابهم وقادتهم.
- أن الشاعر نضجت شاعريته في عهد الخليفة الرشيـــد أي بعـــد ســـنة ١٧٠هـ.
- أنّه كان شاعراً معروفاً في زمن نفوذ البرامكة إلى أن نكبـــهم الرشيـــد

(٨) المقطعة رقم ٤ في هذا البحث.
(٩) المقطعة رقم ٣ في هذا البحث.
(١٠) الأغاني ج٢٠، ص٦٨.
(١١) النجوم الزاهرة ج٢ ص٢٣٥، والاعلام للزركلي ج٤ ص٧٢.

سنة ١٨٧هـ.

- أنّه لا يعد من المعمّرين ولكنه أسن وأرعش.
- أنّه توفي سنة ٢٠٩هـ على ما أخبرنا به أبو المحاسن بن تغرّي بردي في النجوم الزاهرة.

إذن فتحديد الفترة الزمنية الواقعة بين ١٤٠-١٤٥هـ تاريخاً لولادته، والوثوق برواية النجوم الزاهرة في أن سنة ٢٠٩هـ تاريخ وفاته، أمران يمكن الاطمئنان إليهما، والأخذ بهما.

شخصيته:

يمكن التعرف على شخصية الشاعر، مما تناقلته المصادر القديمة، من أقوال القدماء عنه، وممّا حمله شعره من ملامح شخصيته لأن الشعر هو النتاج المعبّر عن شخصية الشاعر.

فممّا تناقلته المصادر القديمة، ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني من أن التَّيْمي أحد الخلعاء المجان الوصافين للخمر، وأنّه كان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه اسحق، وأنّه كان نديماً لهما، وجعله أبو الفرج الأصفهاني يستنفد شعره أو أكثره في وصف الخمر(١٢). وما أورده الأصفهاني والخطيب البغدادي من أنّه كان يجالس الأمين، ويتغنى بالخمر(١٣).

ويكاد الجانب اللاهي يشكل ملامح شخصيته كما رسمها القدماء في أقوالهم. ولعل ما بقي من شعره يكشف عن ملامح أخرى من شخصيته؛ فشعره

---

(١٢) الأغاني ج٣ ص١٥ وما بعدها.

(١٣) انظر : الأغاني ج٢٠ ص٥٨ و ص٦٠، وتاريخ بغداد ج٩ ص٤١٢، ومختار الأغاني ج٨ ص١٤١.

يشير إلى أنّه جاد في حياته، سديد في آرائه، شديد الشكيمة، مقدام في الحــروب، حافظ للأمانات، على نحو ما نرى في قوله [١٤]:

أنَا مَنْ قَدْ بلوتَ في ســالف الدّهـــــ ـــرِ مَضَتْ شِرّتي ولم تَفْــنَ ســنّي
فاصطنعني لما ينوبُ بــــهِ الدّهـــــ ــرُ فإنّي أجـــوزُ فــي كــلِّ فــنِ
أنــا ليــثٌ علــى عــدوك ســـلمٌ لك في الحرب فـــابتذلني وصلني
أنا ســـيفٌ يــومَ الوَغَــى وســنانٌ ومِجــنٌ إنْ لــم تثـــق بمجــــن
أنا طبٌّ في الرأي في موضع الــــرأ ي معينٌ علـــى الخصيــمِ المعَــنّ
وأميــنٌ علــى الودائــعِ والــــس ــــرِّ إذا مــا هويــت أن تَــأتمِنّي

وشعره يبرز – إلى جانب ما رأيناه من ملامح جادة في شخصيته – جانباً مهماً من شخصيته، وهو إيمانه باللّه، وأنه قادر على كل شيء، وتمثلـــه بقولــه تعالى[١٥] ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾، على نحو مـــا نــرى فــي قوله[١٦]:

لا تخضعنَّ لمخلوق على طمـــعٍ فإنّ ذاك مضـــر منــك بـــالديّنِ
وارغب إلى اللّه ممّا في خزائنِه فإنمّا هو بيــن الكــافِ والنّــونِ

علاقاته الاجتماعية:

يشيرما وصل إلينا من أخباره، وما بقي من أشعاره إلى أنّ الشاعر كانت له علاقات طيبة، واتصالات وثيقة بخلفاء عصره: الرشيد والأميــن والمــأمون،

(١٤) انظر: القصيدة رقم ١٧ في هذا البحث.
(١٥) سورة آل عمران الآية ٤٧.
(١٦) انظر: القصيدة رقم ١٦ في هذا البحث.

وأنّه مدحهم وأصبح من ندمائهم، وممن يترددون على مجالسهم [١٧]. ويوضح ذلك ما روي عن الشاعر أنّه قال: "وصرتُ في جملة من يدخل إليه (يعني الرشيد) بنوبة، وأَمَرَ أنْ يدون شعري[١٨]".

وكانت له اتصالات وثيقة بوزراء عصره وقادته وكتابه، إذ اتصل بالبرامكة ومدحهم، واتصل بيزيد بن مزيد الشيباني، وانقطع إليه حتى مات يزيد، والفضل بن الربيع، والفضل بن سهل الملقب بذي الرياستين في عهد المأمون، والحسن بن سهل وزير المأمون ووالد زوجته بوران.

وارتبط بعلاقات طيبة مع مشاهير الغناء في عصره: إبراهيم الموصلي، وابنه إسحق الموصلي، وحكم الوادي؛ إذ كان ينادمهم، وكانوا يصنعون الألحان لشعره ويشدون به في المجالس؛ فعرف اسمه وشاع شعره.

---

(١٧) انظر: الأغاني ج٢٠ ص٦٥ و ص٦٦، وتاريخ بغداد ج٩ ص٤١٢.
(١٨) الأغاني ج٢٠ ص٦٦.

ثانياً: شعره
(دراسة موضوعية وفنية)

موضوعات شعره(*) :

المديح والرثاء والفخر والحكمة من الموضوعات التقليدية البارزة في شعره والمجون بما فيه من شعر خمري وتهتك وتغزل بالغلمان من أبرز موضوعاته الجديدة. والمديح فيما بقي من شعره خصّ به خلفاء عصره ووزراءهم، إذ مدح من الخلفاء الرشيد والأمين والمأمون، ومدح من الوزراء الفضل بن الربيع، والفضل بن يحيى البرمكي. وهو في مدائحه يتناول المعاني القديمة التي وقف عندها الشعراء القدماء، ويركّز عليها، ويولد فيها، ويُسبغ عليها شيئاً من المبالغة، ويجعل من المدح شعراً سياسياً يعتمد على الأدلّة الدينيّة في إثبات أحقية العباسيين في الخلافة، وهو أمر كانوا يرغبون في سماعه من الشعراء لمواجهة خصومهم من أبناء عمومتهم الشيعة الذين كانوا ينازعونهم إياه، على نحو ما نرى في قوله يمدح الأمين:

خليفةَ اللّهِ خيرَ مُنتخبٍ لخيرِ أمٍّ من هاشمٍ وأبِ
أكْرِم بأصلين أنتَ فرعهما من الإمامِ المنصورِ في النَسَبِ
خلافةُ اللّهِ قد تَوارثَها آباؤه في سوالفِ الكُتُبِ
فهي له دونَكم مُورَّثةٌ عن خاتمِ الأنبياءِ في الحِقَبِ

ويلحُّ في مدحه للمأمون على المثل العربية والقيم الإسلامية من شجاعة نادرة، وعلو همة، وعفةٍ في النفس، وطهارة في الخلق، وايمان مقرون بالتقوى، وخوف من الله سراً وعلانية، على نحو ما نرى في قوله:

(*) ينظر في مصدر الشعر وصحته القسم الثالث من هذا البحث.

ترى ظاهرَ المأمون أحسنَ ظـــاهرٍ وأحسنَ منه مـــا أسـرَّ وأضمَـــرَا
يناجي لـــه نفســاً تريــغُ بهمــةٍ إلى كلّ معـــروفٍ وقلبــاً مُطـــهَّرَا
ويخشـعُ أكبــاراً لـــه كـلُّ نــاظرٍ ويــأبى لخــوفِ الله أنْ يتكـــبرا
طويلٌ نجادِ السَّيْفِ مضطمرُ الحَشَــا طواه طرادُ الخيــلِ حتّــى تَحسَّــرَا
رَفِــلٌ إذا مـــا السَّــلْمُ رفَّــلَ ذيلَـــهُ وإنْ شمَّرتْ يوماً له الحربُ شَمَّــرَا

والرثاء في شعره يظهر فيه البكاء والتفجع والتأبين والعزاء، وأمّا البكـــاء والتفجع ففي قصيدته السينية في مرثية ابنه حبان (حيان) على نحو ما نرى فـــي قوله:

لّما رمتْهُ المنايا إذْ قَصــــدْنَ لَـــهُ أصَبْنَ منّي سوادَ القلبِ والرَاســـا
فبتُّ أرعى نجومَ الليـــلِ مكتئبــاً إخالَ سنتَه في اللَّيْـــلِ قِرْطَاسَـــا

وأمّا التأبين والعزاء ففي قصيدته الدالية في مرثية يزيد بن مزيد الشيباني، وفي مرثية منصور بن زياد؛ إذ يشيد بمناقبهما، وينوه بما خلفاه من مآثر، على نحو ما نرى في قوله في رثاء يزيد بن مزيد:

لقـــد عـــزّى ربيعــةَ أنّ يومـــاً عليـــها مثـــلُ يومـــك لا يعـــودُ

وقوله في رثاء منصور بن زياد:

عمَّـــت فواضلـــه فعـــمّ هلاكُـــه فالنّـــاسُ فيـــه كلّـــهم مـــأجُورُ

والقصيدتان تحملان في أشطر أبياتهما كثيراً من معاني التأبين والعـــزاء. وتتخلل هذه المعاني دفقات من عاطفة البكاء والتفجع والحزن.

وشعره في الفخر جاء متداخلاً مع الاستعطاف والعتاب، ولـم يفـرد لـه قصيدة بذاتها، ويخلو فخره من الإشادة بالقبيلة أو المباهاة بالنسـب، وينحصـر فخره في الاعتداد بالنفس، والتباهي بمكارم الأخلاق، والتغني بالشجاعة والقـوة والإقدام، وسداد الرأي، وصون الأمانة، على نحو ما نرى في قوله:

أنا سـيفٌ يـومَ الوَغـى وسـنانُ ومِجـنٌ إنْ لـم تثـق بمجَـنّ
أنا طبٌّ في الرَّأيِ في موضعِ الـرأ يِ معين علـى الخصيمِ المعَـنّ

والحكمة يستمد معانيها من قيمه الإسلامية، وتجربته الذاتية على نحو ما نرى في قوله:

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طمـعٍ فإنَّ ذاك مضـرٌّ منـك بـالدِّين
وارغب إلى اللهِ ممّا في خزائنِه فإنّما هو بيـن الكـافِ والنـونِ
أما ترَى كلّ من ترجـو وتأملـه من الخلائق مسكين بن مسـكينِ

وأمّا موضوعات شعره الجديدة، فتكاد تنحصر في المجون وما يتفرع منه من تغنٍ بالخمر، وتعزلٍ بالغلمان، وتعلقٍ بالجواري. وتحتل هـذه الموضوعـات مجموعة من مقطعاته الشعرية، وبخاصة الخمر التي استنفد شعره أو أكثره فـي وصفها كما ذكر أبو الفرج (١٩). وأظهر افتتانه بها، وحبّه إياها، على نحو مـا جاء في قوله:

ولن أنتهي عن طيّب الرّاح أو يرى بوادي عظامي في ضريحي لاحـدُ
أضعتُ شبابي في الشـرابِ تلـذذاً وكنت امـرأً غـرّ الشبـابِ أكـابدُ

ويدور معظم شعره الغزلي حول التغزل بالغلمان، على نحو ما نرى فـي

---

(١٩) الأغاني ج٢٠، ص٥١.

قوله:

ويلـي علـى أغْيَـدَ ممكـــورِ   وســاحرٍ ليـــس بمســحورِ
تُؤثـره الحُـور علينـا كمـــا   نُؤثِـره نحـن علـى الحــورِ

خصائصه الفنية:

عدَّ القدماء الذين رووا أخباره وأشعاره الشاعر التَّيْمي من الفصحاء، وأشادوا به واستحسنوا شعره؛ فقد ذكر التبريزي أنّه فصيح كلامي(٢٠) ، و أورد أبو الفرج الأصفهاني استحسان الرشيد شعره، وتفضيل ما قاله التَّيْمي في رثاء يزيد بن مزيد على ما قاله مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة (٢١). وتوقف الخطيب البغدادي عند إعجاب المأمون بشعر التَّيْمي؛ إذ يروي خبراً يقول فيه: كان المأمُون يتعصّب للأوائل من الشعراء، ويقول انقضى الشعر مع ملك بني أمية، وكان الفضل بن سهل يقول له: الأوائل حجة وأصول، وهؤلاء أحسن تفريعاً، إلى أن أنشده يوماً عبدالله بن أيوب التَّيْمي شعراً مدحه فيه، فلما بلغ قوله:

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهرٍ   وأحسن منه ما أسـرَّ وأضمـرا

إلى آخر القصيدة... فقال للفضل: ما بعد هذا مدح، وما أشبه فروع الإحسان بأصوله (٢٢).

ولعل ما حملته أقوال القدماء ورواياتهم، ودراسة ما بقي من شعره من حيث شكل القصيدة وبناؤها، ولغتها ومعانيها، وأفكارها، وأوزانها، وقوافيها يساعد في التوصل إلى الكشف عن خصائصه الفنية.

---

(٢٠) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج٣ ص٥.
(٢١) انظر هذه الحكاية في الأغاني ج٢٠ ص٥٥ وما بعدها.
(٢٢) تاريخ بغداد ج٩ ص٤١٢.

شكل القصيدة وبناؤها:

جاء ما بقي من شعره في عشرين قصيدة ومقطعة، يقع أقصرها في بيت واحد، ولعله مطلع قصيدة مدحية طويلة، ويقع أطولها في خمسين بيتاً. وتتوزع المقطعات على ثماني عشرة مقطعة، مكونة من بيت أو بيتين أو ... إلى ثمانية أبيات. أمّا الطويلة فهما قصيدتان، أحداهما تقع في سبعة عشر بيتاً، والأخرى في خمسين بيتاً.

إذن، فشعره موزع على شكلين من أشكال التعبير الشعري هما المقطعة والقصيدة. والمقطعة ظاهرة من الظواهر التجديدية التي تحققت في شعر الشعراء العباسيين لتستجيب لمتطلبات حاجات الشاعر النفسية، ولتتلاءم مع ذوق العصر. وشعره يخلو من المقدمات التقليدية، إلاّ أننا نجد مقدمة خمرية في بداية مقطعته البائية المدحية التي يمدح فيها الأمين.

اللغة والأسلوب :

يبدو التَّيمي فيما بقي من شعره حريصاً على أن يتخير الألفاظ الملائمة لمعانيه وأفكاره، ويوفر لها التلاءُم والانسجام، ويعبّر عمّا يحسّ به من مشاعر؛ لذلك نراه في شعره الرثائي مثلاً يأتي بالألفاظ المنسجمة مع معاني التأبين والعزاء والبكاء والتفجع، من مثل قوله:

أبعد يزيد تختزن البواكي ... دموعاً أو تُصَانُ لها خدودُ

فهو يختار الألفاظ الموحية بالحزن والأسى في موضوع الرثاء، ويختار الألفاظ القوية الفخمة في موضوع المدح، ويختار الألفاظ السهلة الرقيقة في موضوعات المجون من خمر وغزل وغناء متأثراً بقيم عصره الفنية، ومتمشيا مع الذوق الحضاري الجديد، على نحو ما نرى في قوله:

طاف طيفٌ في المنامِ بمحبٍ مُستهامِ
زورة أبقت سقاماً وشفت بعض السقامِ
لم يكن ما كان فيها من حرامٍ بحرامِ
لم تكن إلاّ فواقاً وهي في ليلِ التمامِ

ومن مظاهر اهتمام الشاعر بألفاظه استعماله بعض الصور البديعية من جناس ناقص وتام، كما رأينا في أبياته السابقة؛ إذ جانس بين (طاف وطيف)، (سقام وسقام) و (حرام وحرام). ومن طباق على نحو ما نرى في قوله:

وصلُهُ حلوٌ ولكن هجرُه مُرٌ كريهُ

فطابق بين (وصله وهجره) و (حلو ومر). والجناس التام والناقص والاشتقاقي ينتشر في شعره وفي موضوعاته كلّها.

ومهما يكن من أمر، فإن من أهم الظواهر الفنية التي اتسم بها في لغته وأساليبه ظهور السهولة والوضوح في اللغة، مع بعد عن السهولة المفرطة، وتجنب الألفاظ العامية الدارجة، والبساطة في الصياغة والتركيب، والاستعانة بالألوان والصور البلاغية وصدورها عن طبعه.

٣- الأفكار والمعاني :

يعد التّيمي واحدا من شعراء القرن الثاني الهجري، وهو القرن الذي يتميز شعراؤه بالمزاوجة في المعاني بين الموروث العربي الإسلامي، والمبتكر الذي أوجده واقع الحياة المتحضرة، لذلك كان شعره وليد عصره وثقافته؛ فاستمد معانيه وأفكاره وصوره من مخزونه الثقافي العربي الإسلامي، وأضاف إليها ما اكتسبه من بيئته العباسيّة المتحضرة.

فنراه يزاوج في مدائحه بين ما ورثه من معان عربية وإسلامية؛ كالشجاعة، والبأس، والتقوى، والتواضع، وما اكتسبه من قيم عصره كالمبالغة التي يضفيها على معانيه وصوره، على نحو ما نرى في قوله:

ويخشعُ إكباراً لـه كـلُّ نـاظرٍ ويـأبى لخوفِ اللّـه أن يتكبرا
طويل نجادِ السَّيفِ مضطمرُ الحشا طواه طِرادُ الخيلِ حتَّى تحسَّرا

ويستمد معاني التأبين والعزاء في رثائه من المثل العربية والقيم الإسلامية.

ويعتمد في افتخاره بنفسه على المعاني الموروثة التي تظهر في إبراز معاناته الشخصية الطويلة، والحديث عن شمائل نفسه المتعددة التي تدور في دائرة الاعتداد بالشجاعة وسداد الرأي.

ويستلهم في حكمه المعاني القرآنية، ويشيع فيها ما استقر في نفسه من المثل العليا الإسلامية.

ويتسم غزله وشعره في الخمر بالمجون؛ لأنّه عاش في عصر انتشرت فيه مجالس اللهو والعبث؛ لذلك نرى شعره يتردد في مجالس الغناء من خلال ألحان إبراهيم الموصلي وابنه إسحق الموصلي وحكم الوادي وغيرهم، من مثل قوله:

لا بُدَّ من سكرةٍ على طربِ لعلَّ روحاً يديلُ بها من كربِ

وقوله:

طافَ طيفٌ في المنامِ بمحبٍ مستهامِ

٤- الأوزان والقوافي:

جاء معظم ما بقي من شعره في بحور الوافر والبسيط والطويل والكامل، وهي من الأوزان الأكثر شيوعاً في الشعر العربي القديم [٢٣]. ولعلّ استعمال هذه البحور كان استجابة لمعاني الرثاء والمدح التي حشدها الشاعر في مرثياته لابنه حبان (حيان) ويزيد بن مزيد، ومنصور بن زياد، وفي مدائحه المأمون، والفضل بن الربيع، والفضل بن يحيى. ووقعت بعضُ مقطعاته الشعرية في مجزوء الرمل استجابة لموجة الغناء واللهو التي شاعت في العصر العباسي، وهو في أوزانه يزاوج بين التمسك بالمألوف والشائع في الشعر العربي القديم، والخضوع للتجديد الذي خضع له معظم شعراء عصره في أوزانهم الشعرية من ميل إلى الأوزان القصيرة البسيطة والمجزوءة الخفيفة.

واستعمل في شعره قوافي الدال والراء واللام، والنون، والباء، والميم، والعين، والهاء. ووقوع معظم هذه الحروف روياً في الشعر العربي كثير وشائع، وتقع في المرتبة الأولى من حيث الشيوع [٢٤]. ومال الشاعر إلى القوافي المطلقة، وهي تصلح في البحور الطويلة كالبحر البسيط، والطويل، والوافر، والكامل.

وإلى جانب الأوزان والقوافي التي استعملها، وفّر الشاعر ايحاءات موسيقا الشعر الداخلية لمقطعاته الشعرية؛ إذ بثّ هذه الايحاءات في ألفاظه؛ في حُسن اختياره لها، وملاءمتها للمعاني، وفيما عمد إليه من محسنات الجناس الناقص والتام والاشتقاقي والطباق، وغير ذلك، على نحو ما نرى في ميميته الغنائية وبائيته في مدح الأمين، وعينيته في مدح الفضل بن الربيع[٢٥].

---

(٢٣) إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي ص١٩١ .

(٢٤) المصدر السابق، ص ٢٤٨ وما بعدها.

(٢٥) انظر هذه القصائد في القسم الثالث من هذا البحث.

ثالثا : ما بقي من شعره

مصادر شعره:

لم يصل إلينا شعر عبدالله بن أيوب التَّيمي مجموعاً في ديوان؛ إذ لم يشـر أحدٌ من الذين ترجموا له وتحدّثوا عنه من القدماء إلى أنه صنع ديواناً في حياته، أو أنّ أحداً صنع له ديواناً بعد وفاته. ولعلّ الرواية الوحيدة التي وردت حول شعر التَّيمي هي رواية ابن النديم في كتابه الفهرست التي عرض فيها مقادير أشعـار الشعراء المحدثين في المقالة الرابعة من الفن الثاني؛ إذ ذكر أنّ شعر عبدالله بن أيوب التَّيمي يقع في مائة ورقة[٢٦]، وأشار في بداية مقالتـه إلـى أنّ الورقـة سليمانية وأنّ مقدار ما فيها عشرون سطراً[٢٧].

وعبارة ابنِ النديم تبين بأن التَّيمي ليس من الشعراء المقلّين، بل توحي بأنه يقترب من الشعراء المكثرين؛ لأنّ رواية ابن النديم عن مقدار شعره تعني أنّـه خلّف شعراً يصل إلى ألفي بيت، ولكنني لم أعثر على هذا المقدار من الشعـر في المصادر التي عدتُ إليها، ولم أهتدِ إلى أكثر مما اهتديت إليه في هذا البحث.

وشعر التَّيمي لم يجمع في ديوان، ولم يحقق تحقيقاً علميـاً، ولعـل هـذا البحث هو المحاولة الأولى التي يجمع فيها ما بقي من شعره. وقد تناثر شعـره في المجاميع والمظان الأدبية والتاريخية واللغوية، فحفظ ما بقي من شعره مـن الضياع والتبعثر. ولعل أهم مجموعات المصادر التي حفظت شعره هي:

- كتب التراجم والطبقات: وهذه الكتب من أهم مصادر الشعـر العربـي القديم، وقد عني بعضها بالشاعر وشعره، فذكر له عدداً من قصائده ومقطعاته،

---

(٢٦) الفهرست ص١٨٦.

(٢٧) المصدر السابق ص١٨١.

أو اعتنى برواية قصيدة بعينها. وأكثرها احتفالاً بشعره كتاب الأغاني [illegible] الأصفهاني، ومختار الأغاني لابن منظور، ووفيات الأعيان لابن خلكان، [illegible]

- كتب الأدب واللغة: اهتمت هذه الكتب بإيراد شيء من شعر التَّيْمي، وبخاصة داليته في رثاء يزيد بن مزيد لشهرتها؛ ومن هذه الكتب الأمالي لأبي علي القالي، والعقد الفريد لابن عبد ربه.

- كتب التاريخ: أورد أصحاب هذه الكتب الشعر ليستدلوا به في كتابة التاريخ، ولعل أكثر هذه الكتب عناية بشعره، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، والكامل في التاريخ لابن الأثير.

- كتب الاختيار: لهذه الكتب أهمية كبيرة في حفظ الشعر العربي، وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الدواوين الشعرية، وقد حفظ بعضها شيئاً من شعر التَّيْمي، ومن أكثرها احتفالاً بشعره؛ ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح المرزوقي وشرح التبريزي.

منهج التحقيق:

يشمل تحقيق النص ما يلي:

أ- ضبط النص: عنيت بضبط النص ضبطاً دقيقاً، مستعيناً بضبط كتب اللغة أو الأدب والاختيار، مرقماً أبيات القصيدة الواحدة.

ب- تخريج النص: يقوم المنهج في تخريج القصائد على إيراد - عقب كل قصيدة أو مقطعة- المصادر التي روت أبيات القصيدة كلّها أو بعضها، مجموعة أو متفرقة، وذكر أرقام الأبيات الواردة في كلّ مصدر، وتسجيل المصدر الذي تعتمد روايته للأبيات أساساً لعرض الروايات المختلفة عليه في بداية التخريج، وتقديمه على المصادر الأخرى، ومراعاة الترتيب التاريخي لوفاة أصحاب

المصادر التي تروي أبيات القصيدة كلها أو بعضها، وتدوين اسم المصدر ومؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، وإرجاء تفصيلات المصدر وصاحبه إلى قائمة المصادر في نهاية البحث، والاقتصار على ذكر بعض المصادر دون أسماء مؤلفيها لشهرة المؤلَّف المؤلِّف كالأغاني، والعقد الفريد، ووفيات الأعيان.

ج- التعريف بالأعلام: ورد في تقديم بعض القصائد أو في أبياتها أو في تخريجها أسماء بعض الأعلام القادة، والولاة، والأمراء، والوزراء، والكتّاب، والشعراء، فعرفتها بإيجاز، وذكرت بعض مصادر دراستها.

د- اختلاف الروايات: عنيت بإثبات الروايات المختلفة في كل بيت من أبيات القصيدة، مشيراً إلى مصادره، وذاكراً الفروق التي بينها.

هـ- الشروح: شرحت من النصوص الشعرية ما احتاج بيان غرض الشاعر منه، أو تفسير رواياته إلى شرح، وقد حرصت على أن أورد ما وجدته في مختلف الكتب العربية من تعليقات وشروح وتفسير لشعر التَّيْمي، وذكرت المصادر التي استقيت منها هذه الشروح.

و- ترتيب القصائد والمقطعات:

- رتبت القصائد والمقطعات ترتيباً هجائياً بحسب حرف الروي.

- رتبت القصائد والمقطعات التي تلتقي في حرف الروي وفق حركة الروي؛ أبدأ بالمتحرك بالكسرة، فالضمة، فالفتحة فالسكون، وإذا تشابهت قافيتان فينظر إلى البحر، وتقدم ما هو بحرها أحق في التقديم، وذلك حسب ترتيب بحور الشعر المعتاد الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي في الدوائر العروضية. وإذا تطابقت قصيدتان أو أكثر في القافية والبحر؛ فتقدم المجردة ثم المؤسسة ثم المردوفة، وتقدم ما هو عدد أبياتها أكثر في صنوف هذا الترتيب.

- أعطيت كل قصيدة أو مقطعة رقماً في بداية كل قصيدة، وذكرت بعد ذلك بحرها.

"١"

عشق التَّيْمي جارية لبعض النخّاسين، فشكا وَجْدَه بها إلى أبي عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أمير المؤمنين: إنّ التَّيْمي يجد بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إليّ بيتين يسألني فيهما ثمنها، فقال: وما كتب به إليك فأنشده:

(من الرمل)

١- يا أبا عيسى إليْكَ المُشْتَكَى وأخُو الصَّبْرِ إذا عِيلَ شَكَا
٢- لَيْسَ لي صَبْرٌ على فقدانِها وأعافُ المشرَبَ المُشْتَرِكَا

فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها.

التخريج:

البيتان في الأغاني ج٢٠ ص٦٣، وتاريخ بغداد ج٩ ص٤١٢، ومختار الأغاني ج٨ ص١٤٢.

الروايات:

١- في تاريخ بغداد: إذا عيل اشتكى.
٢- في تاريخ بغداد: على هجرانها.

"٢"

وأنشد الأمين أول ما وليّ الخلافة:

(من المنسرح)

١- لا بُدَّ من سَكْرَةٍ على طَرَبِ لَعَلَّ رَوْحاً يُديلُ من كُرَبِ

٢- فعاطِنيـها صـــهباءَ صافيــــةً تضحـكُ مــن لؤلـؤ علـى ذهَــب
٣- خليفــةَ اللَّـــهِ خَــــيْرَ مُنْتَخَـــب لخـــيرِ أمٍّ مـــــن هـــــاشمٍ وأب
٤- أكْــرِم بــأصلين أنــتَ فرعــهما من الإمـــامِ المنصــورِ فــي النَّسَـب
٥- خلافـــةُ اللَّـــهِ قـــد توارثَـــهَا آبـــاؤه فـــي ســـوالفِ الكُتُـــب
٦- فهـــي لَـــهُ دونَكـــم مُـــوَرَّثَةٌ عـــن خـــاتمِ الأنبيـــاءِ في الحِقَب
٧-يـا ابـن الـذي فـي ذوائـب الشـرف الأقـدم أنتـم دعـــائم العـــرب

التخريج:

الأبيات كلها في الأغاني ج٢٠ موزعة على الصفحــات ٥٠ و ٥٩ و ٦٤ و٦٥ و ٦٩. والأبيات ١ ،٢ ، ٣ في تاريخ بغداد ج٩ ص٤١٢. والأبيات ١، ٣، ٤، ٥، ٧ في مختار الأغاني ج٨ ص١٤١.

الروايات والشروح:

١- في تاريخ بغداد، لعل روحاً تدال.
- ويديل وتدال : ينقلب من حال إلى حال.

٣- في تاريخ بغداد : أنت منتجب. وفي الأغاني (في روايـــة أخـــرى): أنــت منتخب.

٤- في الأغاني (في رواية أخرى): أكرم بعرقين يجريان به إلـــى .... وفــي مختار الأغاني: أكرم بفرعين يجريان به إلى ...)

٧- في مختار الأغاني : يا ابن الذي في ذوائب ... .

"٣"

وقال:

(من الطويل)

١- إذَا ذهبَ القَرْنُ الذي أنْتَ فيهم   وخُلِّفتَ في قَــرْنٍ فــأنْتَ غَرِيــبُ
٢- وإن امرأ قد سارَ خمسينَ حِجَّةً   إلـــى منـــهلٍ مِــنْ وردِهِ لقريـــبُ

التخريج:

البيتان في الأغاني ج٢٠ ص٦٤، الأغاني ج٨ ص١٤٣.

"٤"

وقال:

(من الطويل)

١- جزعتَ ابن تَيْم أنْ أتاكَ مشيبُ   وبانَ الشبـــابُ والشبـــابُ حبيـــبُ

التخريج :

البيت في الأغاني ج٢٠ ص٥٩، وعدّه أبو الفرج الأصفهاني أول بيت في قصيدة أنشدها الشاعر في مدح المأمون، ولكنه أغفل القصيدة التي أشار إليـــها، ولم يذكر إلاّ مطلعها. والبيت وحكايته في مختار الأغاني ج٨ ص١٤١.

"٥"

وقال:

(من الطويل)

١- ولَنْ أنتَهي عن طيِّبِ الرَّاحِ أوْ يُـرى ... بِوادي عظـامي فـي ضريحـيَ لاحِـدُ

٢- أضَعْتُ شبابي فـي الشَّـرَابِ تلـذُّذاً ... وكنـتُ امـرأ غِـرَّ الشَّبـابِ أُكـابِدُ

التخريج:

البيتان في الأغاني ج٢٠ ص٥٢.

"٦"

وقال في رثاء يزيد بن مزيد الشيباني:

(من الوافر)

١- أحقـاً أنَّـه أوْدَى يزيـدُ ... تَبَيَّـن أيـها النَّـاعي المُشيـدُ

٢- أتدري من نَعيت وكيـف فـاهتْ ... بـه شفتـاك واراك الصَّعيـدُ

٣- أحـامي المُلْـكِ والإسْـلامَ أوْدَى ... فمَـا لـلأرْضِ ويْحـكَ لا تَميـدُ

٤- تأمَّلْ هل تَـرَى الإسْـلامَ مـالتْ ... دعائمـهُ وهـل شَـابَ الوليـدُ

٥- وهلْ شِيمتْ سيُوفُ بنـي نِـزارٍ ... وهل وُضِعـتْ عـن الخَيْـلِ اللُّبُـودُ

٦- وهلْ تَسقِي البِلادَ عِشَـارُ مُـزْنٍ ... بدرَّتِـها وهَـلْ يَخْضَـرُّ عُـود

٧- أمَـا هُـدَّتْ لمصرعـه نِـزار ... بلَـى وتقـوَّضَ المجـدُ المشيـد

٨- وحـلَّ ضَريحـه إذْ حَـلَّ فيـه ... طَريـفُ المجْـدِ والحَسَـبُ التَّليـد

٩- وهُـدَّ العِـزُّ والإسْـلاَمُ لمـا ... ثَـوى وخَليفـةُ اللَّـه الرَّشيـد

١٠- لقد أوْفَى ربيعَـةَ كُـلُّ نَحْـسٍ ... لمُهلكـه وغُيِّبَـت السُّـعُود

١١- وأُنصِلَت الأسِـنَّةُ مِـن قَنَاهـا ... وأُشْرِعـت الرِّمَـاح لمَـن يكِيـد

١٢- نَعيَّ يَزيد أنْ لَـم يَبْـقَ بـأسٌ ... غـداةَ مَضـى وأن لـم يَبْـقَ جُـود

١٣- نَعيّ أبي الزُبير لكُلّ يَومٍ   عَبوس الوَجه زينتُه الحَديد

١٤- ألودَى عِصمةُ البلادِ يزيدُ   وسَيفُ اللّه والغيثُ الحميد

١٥- فمن يَحمِي حِمَى الإسلام لَمْ مَن   يَذُبَّ عن المكارم أو يذُود

١٦- ومَن يَدْعُو الإمامُ لكُلّ خَطب   يُخَافُ وكُلُّ مُعضلةٍ تَؤود

١٧- ومَن تُجلَى به الغمراتُ أم مَن   يقُوم لها إذا اعوجّ العنيد

١٨- ومن يحمي الخميس إذا تعَايا   بحيلة نَفْسه البَطَلُ النَّجيد

١٩- وأين يَؤُمّ مُنتَجعٌ ولاجٍ   وأين تَحُطّ أرْحَلَها الوفُود

٢٠- لقد رزئَتْ نِزارٌ يَومَ أوْدى   عميدٌ ما يُقاسُ به عَميد

٢١- فلو قُبِلَ الفِداءُ فَداهُ مِنّا   بمُهجتِهِ المُسَوّدُ والمَسُود

٢٢- أبَعدَ يَزيد تَخْتزن البَواكِي   دُموعاً أو تُصانُ لها خُدُود

٢٣- أما واللّه لا تَنْفَكُّ عيْنِي   عليه بدَمعِها أبداً تَجُود

٢٤- وإن تَجمُد دمُوعُ لئيم قَومٍ   فليس لدَمْعِ ذي حَسَب جُمُود

٢٥- وإن يكُ غالَه حيْنٌ فأوْدَى   لقَد أوْدَى وليس لهُ نَديد

٢٦- وإنْ يَعثُر بهِ دهرٌ فكم قد   تَفَادى من مخافته الأسُود

٢٧- وإن يَهلِك يزيدُ فكُلّ حَيّ   فَريسٌ للمنيةَ أوْ طَريد

٢٨- فإنْ يكُ عن خلُود قد دعَته   مآثرُه فكان لها الخُلُود

٢٩- فما أوْدَى أمرُؤ أوْدَى وأبقى   لوارثِهِ مكَارمَ لا تَبيد

٣٠- ألم تعلَم أخِي أن المنَايا   غَدرْنَ به وهُنّ له جُنُود

٣١- قصَدْنَ له وكُنّ يَحِدْنَ عنه   إذا ما الحَربُ شُبّ لها الوقُود

٣٢- فهلاّ يومَ يقْدمُها يَزيد   إلى الأبطال والخُلاّن حيد

٣٣- ولو لاقى الحُتُوف علَى سِواه   لَلاقاها به حتْفٌ عَتيد

٣٤- أضرّاب الفوارس كلّ يومٍ   تَرى فيه الحُتُوفُ لها وَعيد

٣٥- فمن يُرْضِي القَواطع والعَوالي   إذا ما هَزّها فَزَعٌ شَديد
٣٦- لتَبْكِكَ قُبَّةُ الإسْلامِ لمَّا   وهَتْ أطنابُها ووَهى العَمُود
٣٧- ويَبْكِك مُرْهَفٌ تَتْلُوهُ خَيْلٌ   إيَالةُ وهو مَجْذول وحِيد
٣٨- ويَبْكِكَ خاملٌ ناداكَ لمّا   تَواكَلَهُ الأقاربُ والبَعِيد
٣٩- ويَبْكِكَ شاعرٌ لم يُبْقِ دَهرٌ   له نَشَبا وقد كَسَدَ القَصِيد
٤٠- تَرَكْتَ المَشْرِفِيَّةَ والعَوالي   مُخَلاّةً وقد حانَ الوُرُود
٤١- وغادَرْتَ الجِيادَ بكُلِّ لُغْزٍ   عَواطِلَ بَعْدَ زينَتِها تَرُود
٤٢- فإنْ تُصْبِح مُسَلَّبَةً فمما   تُفِيدُ بها الجَزِيلَ وتَسْتَفِيد
٤٣- ألم تَكُ تَكْشِفُ الغَمَراتِ عنها   عوابسَ والوُجوهُ البيضُ سُود
٤٤- أُصِيبَ المَجْدُ والإسْلامُ لمّا   أصابك بالرَّدى سَهْمٌ سَدِيد
٤٥- لَقَدْ عَزّى ربيعةَ أنَّ يوماً   عليها مثلُ يوْمِكَ لا يَعُود
٤٦- ومِثْلُك من قَصَدْنَ له المنايا   بأسْهُمِها وهُنَّ له جُنُود
٤٧- فيا للدَّهرِ ما صَنَعَتْ يَداهُ   كأنَّ الدَّهْرَ مِنْها مُسْتَقِيد
٤٨- سَقَى جَدَثاً أقام به يزيدُ   مِن الوَسْمِيِّ بَسَّامٌ رَعُود
٤٩- فإنْ أجْزَعْ لمَهْلِكِه فإنّي   على النَّكَباتِ إذ أوْدى جَلِيد
٥٠- لِيَذْهَبْ مَن أراد فلَسْتُ آسي   على مَن مات بعدك يا يَزِيد

التخريج:

الأبيات كلّها في العقد الفريد ج٣ ص٢٩٣-٢٩٥، والأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٠، ٣٦، ٣٩، ٤٥ في الأمالي لأبي علي القالي ج٢ ص٨٤ مشكوك في نسبتها، فهي مرة لمسلم بن الوليد، وأخرى للشاعر التيْمي، ولذلك جعل شارح ديوان صريع الغواني ص١٤٧ الأبيات التي أوردها القالي قصيدة تحمل الرقم ١٨. والأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥،

٦، ٧، ٨، ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٩، ٤٥ في الأغاني ج٢٠ ص٥٦ ومختار الأغاني لابن منظور ج٨ ص١٣٩، والأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٦، ٣٩، ٤٥ في وفيات الأعيان ج٦ ص٣٣٨، والأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٩، ٤٥ في الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٥ ص٣٢٣-٣٢٤، والبيتان ٣٠،٤٥ في الحيوان ج٦ ص٥٠٥، والبيت ٣٠ في محاضرات الأدباء ج٢ ص٣٠٩ وشرح العكبري ج٣ ص٤٧.

الأعلام:

يزيد بن مزيد : هو يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني (ت ١٨٥هـ/٨٠١م)، أمير وقائد من القادة الشجعان في زمن هارون الرشيد، كان والياً بأرمينية وأذربيجان، وانتدبه الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيباني عظيم الخوارج في عهده؛ فقتل ابن طريف سنة ١٧٩هـ، وعاد إلى أرمينية، وكان فيما وليه اليمن. (الاعلام ج٨ ص١٨٨).

الروايات والشروح:

١- في الأمالي وديوان صريع الغواني، والأغاني، ومختار الأغاني: أحقٌّ. وفي الأمالي وديوان صريع الغواني: تأمّل بدلاً من تبيّن.

٢- في ديوان صريع الغواني: تأمّل بدلاً من أتدري. وفي الأمالي: فكيف فاهت. وفي الأمالي: كان به الصعيد. وفي ديوان صريع الغواني والوفيات والكامل في التاريخ: كان بها. وفي الأغاني، ومختار الأغاني: كان بك.

الصعيد : الأرض، وقيل الأرض الطيبة، وقيل هو التراب.

٣- في الكامل في التاريخ: أحامي المجد.

• أودى الرجل إيداء: هلك فهو مود، وهو مأخوذ من ودي النخل، أودى

به الموت: ذهب به.

٥- في الكامل في التاريخ: وهل مالت.

شام سيفه يشيمه شيماً: أغمده. واللبد: جمعه ألباد ولبود، وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج.

٦- في الوفيات : ثقال مزن.

العشار (في الأصل): النوق الحديثات النتاج. وعشار مزن : سحب ممطرة.

٨- التليد : القديم، وعكسه الطريف.

١١- يعني أن الرماح أشرعت خالية من أسنتها.

١٣- أبو الزبير : كنية يزيد بن مزيد، ويكنى أبا خالد أيضاً.

١٤- البادي : الذي يخرج إلى البادية طلبا للقرب من الكلأ.

١٦- في الأمالي وديوان صريع الغواني والأغاني ومختار الأغاني والكامل في التاريخ : فمن ... ينوب بدلاً من يخاف. وفي الأمالي : الأنام بدلاً من الإمام.

تؤود : تشق وتعي.

١٨- تعايا : عي وعجز. والخميس : الجيش .

١٩- ولاج : أي ولاجيء : سهل ، حذف الياء كما تحذف من المنقوص.

٢٣- في الأمالي، وديوان صريع الغواني، والأغاني، ومختار الأغاني والوفيات، والكامل في التاريخ: ما تنفك ... عليك.

٢٤- في الأمالي، وديوان صريع الغواني، والأغاني، ومختار الأغاني، والكامل في التاريخ: فإن.

٢٧- في الأمالي: فإن تهلك . وفي الأغاني، ومختار الأغاني، والوفيات : فإن ...

٣٠- في الأمالي، والأغاني، ومختار الأغاني، وشرح العكبري، والكامل في التاريخ:

ألــم تعجــب لـــه أنّ المنايــــــا فتكنَ ... ...

وفي الحيوان:

ومن عجب قصدن لـــــه المنايـــا علـــى عمـــد وهـــن لـــه جنـــود

- أي أن الموت لا يدفع بقوة ولا يمتنع منه برفعة.

٣١- في الأغاني، ومختار الأغاني : ... وهن يحدن ... وقود.

٣٦- الطنب : حبل طويل يشدّ به البيت والسّرادق، بيـــــن الأرض والطرائــق، والجمع أطناب وطنبة (من لسان العرب مادة طنب).

٣٧- إبالة : كثيرة. ومجدول : صريع.

٣٩- في الوفيات : ويبكي شاعر ... . والنشب : العقار أو المال الأصيل. I

٤٠- محلاة : محبوسة.

"٧"

كان الشاعر التّيْمي يهوى غلاماً، وكان الغلام يهوى جارية من جــــواري القيان، فكان بها مشغولاً عنه، وكانت القينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقه، فقال في ذلك:

(من السريع)

١- ويلي علـــى أغْيَـدَ ممكـورِ وســـــاحرٍ ليــــس بمســـــحورِ
٢- تُؤْثِره الحُـورُ علينـــا كمـــا نُؤْثِـره نحـــن علـــى الحُـــورِ
٣- علق مَنْ علّـق فيـــه هـــوى منتظـــــم الألفـــــة مغمـــــورِ
٤- وكلّ من تـــهواه فـــي أمـــره مقلّــــبٌ صَفْقَـــة مقْمُـــــورِ

التخريج:

الأبيات في الأغاني ج٢٠ ص٦٩.

الشروح:

- الأغيد : الناعم المتثني ، وغيد الغلام : لانت أعطافه فهو أغيد وهي غيداء والجمع غيد. والممكور: الحسن امتلاء الساقين، وامرأة ممكورة الساقين أي خدلاء، وقيل: ممكورة مرتوية الساق خَدْلة، شُبِّهت بالمكر من النبات، والمكر: نبت سمي بذلك لارتوائه ونجوع السقي فيه (من لسان العرب مادة مكر).

"٨"

وقال في رثاء منصور بن زياد :

(من الكامل)

١- لَهْفي عليكَ للَهْفَةٍ مِنْ خائفٍ	يَبْغي جِوارَكَ حينَ لَيْسَ مُجيرُ
٢- أمَّا القُبُورُ فإنَّهُنَّ أوانسٌ	بجِوارِ قَبْرِكَ والدِّيارُ قُبُورُ
٣- عَمَّتْ فَواضِلُهُ فَعَمَّ هَلاكُهُ	فالنَّاسُ فيهِ كُلُّهُمْ مَأجُورُ
٤- يُثْنِي عَلَيْكَ لسانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ	خَيْراً لأنَّكَ بالثَّناءِ جَديرُ
٥- رَدَّتْ صَنائعُهُ إليهِ حياتَهُ	فكأنَّهُ مِنْ نَشْرِها مَنْشُورُ
٦- فالنَّاسُ مأتَمُهُمْ عَلَيْهِ واحدٌ	في كُلِّ دارٍ رَنَّةٌ وزَفيرُ
٧- عَجَباً لأربَعِ أذْرُعٍ في خمسةٍ	في جَوْفِها جَبَلٌ أشَمُّ كَبيرُ

التخريج :

الأبيات كلّها في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٢ ص٩٥٠ وما بعدها،

وفي شرح ديوان الحماسة للتبريزي ج٣ ص٥. والأبيات ٢، ٣، ٥ في العقد الفريد ج٣ ص٢٩١ منسوبة لمسلم بن الوليد.

الأعلام:

• منصور بن زياد : أحد وجوه الدولة العباسية، وكان كاتباً ليحيى بن خالد البرمكي، وكان يحيى يقربه ويختصه، ونكب مع البرامكة (انظر بعض أخباره: الوزراء والكتاب للجهشياري ص١٨٠ ومواطن أخرى).

الروايات والشروح:

١-في شرح التبريزي : لهفاً.

• يقول : لي عليك حسرة شديدة من أجل حسرة رجلٍ نابَهُ من حوادث الدَّهر ما اختشى له؛ فطلب جَوارَك ، والاستعاذة بفنائك، وقت لا مجيرَ له ثم لا يَجِدكُ. (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٢ ص٩٥٠).

٢- يقول : فارقت الأحياء، وفي كل فرقة من فرقهم غم شامل، وزفرة متصلة، فاختلطت بالأموات، فالأنس الذي كان في الأحياء انتقل بانتقالك إلى الأموات، فديار الأحياء ذات وحشة ونفور، فهي كالقبور لما حصل فيها من الفجع بك، وفارقها من نسيم الرَّوح والراحة بفراقك، وقبور الأموات ذوات أُنس وقرار بمجاورتها لقبرك، ولما يغدو ويروح إليها من زُوّارك. (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٢ ص٩٥١).

٣- في العقد الفريد: عمّت فواضله وعمّ مصابه.

• يقول: إنّ إحسانه عمّ الخلق، وصنائعه شملتهم، فبحسب ذلك عمتهم الفجيعة به، فالناس كلهم مصابون مأجورون قد استوت أقدامهم، وتناسبت أحوالهم فيما نالهم من الحسرة فيك، وأضر بهم من الخلل الواقع في عيشهم بك (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٢

ص ٩٥١).

• يقول: عرف النّاس على اختلافهم، وتباين أوطانهم فضلك وفواضلك، فاتفقت ألسنتهم في الثناء عليك والحمد لك، فمن لم تُسدِ إليه خيراً منك، ولم تشركه في النعمة عندك، صار مقتديا بغيره في اطرائك ومدحك؛ لأنك عندهم كلّهم جدير بذلك. (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٢ ص ٩٥١).

٥- يقول: تذاكر الناس بعوارفك لديهم، ونشروا محامدك فيهم، فكأنك حي لم يوارك قبر، ولم يفُز بك موت (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٢ ص ٩٥١).

٦- أصل المأتم النساء يجتمعن في الخير والشر. والشاعر جعله هنا المصيبة نفسها. والرنين: الصوت، والرنة: الفعلة من الرنين. (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٢ ص٩٥٢).

٧- الجبل الأشم: الطويل الرأس، ويقال عزّ أشم: يراد به الارتفاع. (من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج٢ ص٩٥٢).

"٩"

وقال في مدح الخليفة المأمون:

(من الطويل)

١- ترَى ظاهِرَ المأمون أحسن ظاهرٍ	وأحْسَن منه ما أسَرّ وأضْمَرا
٢- يُنَاجي لَهُ نفساً تريعُ بِهِمَّةٍ	إلى كلِّ مَعْروف وقلباً مُطَهّرا
٣- ويخشعُ إكباراً لَهُ كلُّ ناظرٍ	ويأْبَى لخوف اللّهِ أنْ يَتَكَبّرا
٤- طَويلُ نجاد السَّيْفِ مضطمرُ الحشَا	طواهُ طِرادُ الخيلِ حتّى تَحَسَّرا
٥- رِفَلٌ إذا ما السِّلْمُ رفّلَ نيله	وإن شمّرتْ يوماً له الحربُ شمّرا

التخريج:

الأبيات كلّها في تاريخ بغداد ج٩ ص٤١٢.

الشروح:

٢- تريع : تعود وترجع.

٣- نجاد السيف: حمائل السيف، وهي تعلو العاتق، ويقال: طويل النجاد: أي أنه طويل القامة. ومضطمر: منضم. !

٥- رِفَلٌ : واسع في معيشته، عظيم في قومه، سيد عليهم. ورفّل إزاره: إذا أسبله وتبختر فيه.

"١٠"

وكان للشاعر ابن يقال له حبّان، مات وهو حديث السن؛ فجزع عليه، وقال يرثيه:

(من البسيط)

١- يا ديرَ هِندٍ لَقَدْ أصبَحْتَ لي أنَسَا   وما عَهِدتُكَ لِيْ يا ديرُ مِئناسَا

٢- أَوْدَى بحبَّانَ ما لَمْ يَترُكِ النَاسَا   فامنحْ فؤادَك من أحبابِكَ الياسَا

٣- لمَّا رمَتْهُ المنَايَا إذْ قصَدْنَ لَهُ   أصبْنَ منِّي سوادَ القَلْبِ والرَّاسَا

٤- وإذْ يقولُ ليَ العُوَّاد إذْ حضَرُوا   لا بَأس أَبْشِرْ أبَا حبّان لا باسا

٥- فَبِتُّ أرْعَى نجومَ اللّيْلِ مكتئِبًا   إخالُ سُنَّتَه في اللّيلِ قِرْطَاسَا

٦- والموتُ دانٍ لَهُ والهمُّ قارنهُ   حتَّى سَقاهُ التي أوْدَى بها الكاسَا

٧- رُزِئتُه حينَ باهيتُ الرجالَ بِهِ   وقد بَنَيْتُ به للدَّهرِ آساسَا

٨-فليسَ من ماتَ مردوداً لنا أبداً   حتّى يَرُدَّ علينَا قبلَه نَاسَا

التخريج:

الأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥ في الأغاني ج٢٠ ص٥٢ وما بعدها، ومختار الأغاني (ما عدا الأول) ج٨ ص١٣٧، وابن الشاعر في مختار الأغاني اسمه ؛ "حيّان" بالياء المشدّدة. والأبيات ٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨ في مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٤٢٣ منسوبة لزبيدة أم جعفر زوجة الخليفة هارون الرشيد قالتها بعد أن قتل ولدها محمد الأمين، ولعل نسبة هذه الأبيات لزبيدة فيها ضعف؛ لأنّه لم يؤثر عنها أنها شاعرة، ولأن البكاء والتفجع والحسرة لم يظهر في هذه الأبيات وهي سمات تتسم بها المرأة وبخاصة الأم. وقد رأيت أن أُلحق ما رواه المسعودي من أبيات بما رواه أبو الفرج الأصفهاني وابن منظور لتشكل الأبيات جميعها قصيدة واحدة.

الروايات والشروح:

١- دير هند : دير بالحيرة يقارب خطة بني عبدالله بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق في موضع نزه، وهي دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة (ت٧٤هـ/٦٩٣م)، وكان كسرى قد غضب على النعمان ابن المنذر فحبسه فأعطت بنته هند عهداً لله إن ردّه إلى ملكه أن تبني ديراً تسكنه حتى تموت، فخلّى كسرى عن أبيها النعمان، فبنت الدير، وأقامت به إلى أن ماتت ودفنت فيه. (انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ج٢ ص٥٤١، والأعلام للزركلي ج٨ ص٩٨).

٢- في مختار الأغاني : بحيان . وفي مروج الذهب: أودى بإلفك ... فؤادك عن مقتولك ...

٣- في مروج الذهب : لما رأيت المنايا قد قصدن له ... أصبن منه ...

٥- في مروج الذهب : فبت متكئاً أرعى النجوم له ...

* السُّنَّة: الوجه أو دائرته والجمع سُنَن.

"١١"

وقال يمدح الفضل بن يحيى:

(من الطويل)

١- لَعَمْرُكَ ما الأشرافُ في كلِّ بلْدة   وإنْ عَظُمُوا للفَضْلِ إلاّ صنائعُ
٢- تَرى عظماءَ النَّاسِ للفضلِ خُشَّعاً   إذا ما بدا والفضلُ للّه خاشِعُ
٣- تَواضَعَ لمَّا زادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً   وكلُّ جليلٍ عنده مُتَواضِعُ

التخريج :

الأبيات في الأغاني ج٢٠ ص٦٣، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ج٣ ص٥، ومختار الأغاني ج٨ ص١٤٣، والبيتان ١، ٢ في الوزراء والكتاب للجهشياري ص٣٢٠، وهما في مدح الفضل بن سهل.

الأعلام:

الفضل بن يحيى: هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد وأخوه في الرّضاع، كان من أجود الناس، استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاّه خراسان سنة ١٧٨هـ وأقام إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧هـ، وكان الفضل عنده ببغداد فقبض عليه وعلى أبيه يحيى وأخذهما معه إلى الرّقة فسجنهما واستصفى أموالهما، وتوفي الفضل في سجنه بالرّقة سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م).

الروايات:

١-في الوزراء والكتاب : ... وأن عَظَّمُوا إلاّ لفضلِ صنائع.

٢-في الوزراء والكتاب : ... إذا ما دنا.

٣-في شرح ديوان الحماسة : ... وكلّ رفيع.

"١٢"

دخل الشاعر إلى الفضل بن الربيع في يوم عيد فأنشده :

(من الطويل)

ألا إنّما آل الربيع ربيعٌ   وغيثٌ حيّاً للمُرملين مَرِيعُ
إذا ما بدا آلُ الربيع رأيتَهم   لهم دَرَجٌ فوقَ العبادِ رفيعُ

التخريج:

البيتان في الأغاني ج٢٠ ص٦٣، ومختار الأغاني ج٨ ص١٤٢.

الأعلام:

الفضل بن الربيع: هو الفضل بن الربيع بن يونس، يُكنّى أبا العباس (ت٢٠٨هـ/٨٢٤م)، وزير أديب حازم، كان أبوه وزيراً للمنصور، واستحجبه لمّا ولّى أباه الوزارة، فلما آل الأمر إلى الرشيد، واستوزر البرامكة كان الفضل من كبار خصومهم حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، وكانت نكبتهم على يديه.

"١٣"

وقال في الخمر :

(من المتقارب)

شَربتُ مـــن الخمـــرِ يـــومَ الخميـــــ ـــــسِ بالكـــاسِ والطّـــاسِ والقَنْقَـــلِ
فمـــا زالـــت الكـــاسُ تَغْتَالُنَـــا وتذهـــبُ بـــالأولِ الأولِ
إلـــى أن تَوافَـــتْ صـــلاةُ العشـــاءِ ونحـــنُ مـــن السُّـــكْرِ لَـــمْ نَعْقِـــلِ
فَمَـــنْ كـــانَ يعـــرفُ حَـــقَّ الخميـــسِ وحَـــقَّ المـــدامِ فـــلا تَجْـــهَلِ
ومـــا إنْ جـــرتْ بَيْنَنَـــا مزحَـــةٌ تَـــهيجُ مـــراءً علـــى السَّلْسَـــلِ

التخريج:

الأبيات كلّها في الأغاني ج٢٠ ص٥٢، ومختـار الأغـاني ج٨ ص١٣٧ منسوبة لعبداللّه بن أيوب التَّيمي : والأبيات ٢، ٣، ٤، ٥ في طبقـات الشعـراء منسوبة لعوف بن محلّم الخزاعي.

الأعلام:

عوف بن محلّم الخزاعي: شاعر عبّاسي عاش في النصـف الثـاني مـن القرن الثـاني الـهجري وبدايـة القـرن الثـالث الـهجري، وكـانت وفاتـه سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، ويكنى أبا محلّم، وهو من أهـل حـرّان. انظـر: طبقـات الشعـراء ص١٨٥، ومعجـم الأدبـاء ج١٦ ص١٣٩، والديـارات للشـابشتي ص١٣٥، وشرح شواهد المغني للسيوطي م٢ ص٨٢٢، وعـوف بـن محلّـم الخزاعي حياته وشعره للدكتور رشدي حسن (مجلة مؤتة للبحوث والدراسات م٨ عدد٢).

الروايات والشروح:

١- القَنْقَل : المكيال الضخم.

٢- في طبقات الشعراء : ... حق النعيم، وحق المدام ... .

٥- مراء : من مرأ: ساغ، والسلس : السلاس: الماء العذب الصافي من السلس السهل، إذا شرب تسلسل في الحلق، ويقال شراب سلسل وماء سلسل: جرت في متنه الريح فصار وجهه كالسلسلة.

"١٤"

وقال :

(من الخفيف)

هل إلى سكرةٍ بناحيةِ الحيـــــــــرة يوماً قَبلَ المماتِ ســـبيلُ
وأبو التَّيَّحَانِ في كفّه القـــــــــعـــةُ والـــرأسُ فوقـــهُ الإكليـــــلُ
وعــرارٌ كأنّـــه بيـــذق الشـّـــــطـــرنج يفْتَنُّ فيـــهِ قـــالٌ وقيـــلُ

التخريج:

الأبيات في الأغاني ج٢٠ ص٦٨ و ص٦٢، والرواية المعتمدة ص٦٨.

الروايات والشروح:

١- في الأغاني (ج٢٠ ص٦٢): ... شنعاء يا قبيص سبيلُ.

- وقبيص هو قبيصة ابن عم الشاعر كان يشرب معه في حانـــة حتـــى سكر.

٢- أبو التَّيَّحَانِ: هو أخو الشاعر.

٣- العرار: النرجس البرّي.

"١٥"

وقال :

(من مجزوء الرمل)

١- طَـاف طَيْـفٌ فـي المنَـامِ بمحــب مُسْتَهامِ
٢- زَورة أبقـتْ سَـقاما وشفَـتْ بعـضَ السَّـقَامِ
٣- لـم يكـنْ مـا كـانَ فيـها مـن حـرامٍ بحـرام
٤- لـم تكـن إلاَّ فُواقـاً وهـي فـي لَيْـلِ التمَّـامِ

التخريج:

الأبيات في الأغاني ج٢٠ ص٦٥.

"١٦"

وقال :

(من البسيط)

لا تَخْضَعَنَّ لمخلوقٍ علـى طَمَـعٍ فـإنَّ ذاك مُضِـرٌ منـكَ بـالدِّينِ
وارغب إلى اللّه ممّا في خزائنـه فإنّما هو بيـن الكـافِ والنـونِ
أما تَرى كلَّ من ترجـو وتأملُـه مِنَ الخلائقِ مسكين ابن مسـكينِ

التخريج:

الأبيات في الأغاني ج٢٠ ص٧٠، ومختار الأغاني ج٨ ص١٤٣.

الروايات والشروح:

٢- يشير في الشطر الثاني إلى قوله تعالى في سورة آل عمران الآية ٤٧: ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾، وفي غيرها من سور القرآن الكريم.

٣- في مختار الأغاني: ترجو وتسأله.

"١٧"

وقال يستعطف عمرو بن مسعدة ويعاتبه ويفخر بنفسه:

(من الخفيف)

١- يا أبا الفضلِ كيفَ تغفُلُ عنّي ... أم تَخَلّى عند الشدائدِ منّي

٢- أنسيتَ الإخاءَ والعهدَ والو ... دَّ حديثاً ما كان ذلك ظنّي

٣- أنا مَنْ قد بلوتَ في سالفِ الدَّهْـ ... ـرِ مضتْ شِرَّتي ولم تَفْنَ سنّي

٤- فاصطنِعْني لما ينوبُ بهِ الدَّهْـ ... ـرُ فإنّي أجوزُ في كلِّ فنِّ

٥- أنا ليثٌ على عدوِّك سِلْمٌ ... لكَ في الحرب فابتذِلني وصُنّي

٦- أنا سيفٌ يوم الوغى وسنانٌ ... ومِجَنٌّ إنْ لم تثِق بِمِجَنِّ

٧- أنا طَبٌّ في الرأيِ في موضعِ الرأ ... يِ مُعينٌ على الخصيمِ المِعَنِّ

٨- وأمينٌ على الودائعِ والسـ ... ـرِّ إذا ما هويتَ أن تأتمِنّي

٩- وإذا ما أردتَ حجّاً فرحّا ... لٌ دليلٌ إن نامَ كلُّ ضِفَنِّ

١٠- ولبيبٌ على مقالِ أبي العبـ ... ـاس إنّي أرى به مسَّ جِنِّ

١١- وهوَ الناصحُ الشفيقُ ولكن ... خافَ هَيْجَ الزمانِ فازورَّ عنّي

١٢- وظريفٌ عند المزاحِ خفيفٌ ... في الملاهي وفي الصِّبا مُتَثَنِّ

١٣- كيف باعدت أو جفـــوت صديقـاً   لا ملـــــولاً، لا لا ، ولا مُتَجَـــــنِّ
١٤-صرتُ بعدَ الإكرامِ والأُنسِ أرضَى   منـكَ بالتُرَّهـاتِ مـا لـــم تُـــهِنِّي
١٥- لم تَخُنّي ولم أخُنْكَ ولا واللّــــــــ   ــــه ربّي لا خنـــتُ مَـنْ لـم يَخُنِّـي
١٦- إن أكن تُبْتُ أو هَجَرْتُ الملاهـــي   وسُـــــلافاً يَجنُّـــــها بطــــــن دنٍّ
١٧- فحديثـــي كـــالدّرّ فُصِّـــلَ باليـــا   قوتِ يَجْـرِي فــي جيــدِ ظبــيٍ أغَـنِّ

التخريج:

الأبيات في الأغاني ج٢٠ ص٦٧ وما بعدها.

الأعلام:

عمرو بن مسعدة:هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صـــول، وكنيتــه أبــو الفضـــل الصـــولي، وزيـــر المأمـــون، وأحد الكتاب البلغاء، كان يوقّع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتّصل بالمأمون؛ فرفع مكانته وأغناه، وكان جواداً مُمدّحاً فاضلاً نبيلاً، توفي سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م.

الشروح:

١- أبو الفضل : كنية عمرو بن مسعدة.
٣- الشرة : الحدة والنشاط والطيش.
٥- ابتذل : يقال تبذل في عمل كذا، وكذا ابتذل نفسه فيما تـــولاه مـــن عمـــل، والمُتَبَذِّل والمُبْتَذِل من الرجال الذي يلي العمل بنفسه (من لسان العرب مادة بذل).
٧- طب : خبير.
٩- الضِفَنّ : الأحمق.
١٦- السلاف : من أسماء الخمر. يجنها : يسترها، يخفيها.

"١٨"

وقال :

(من مجزوء الرمل)

١- مـا لِمَـنْ أهْـوى شَبِيـهُ		فَبِـهِ الدُّنيـا تَتِيـهُ
٢- وَصْلُـهُ حُلْـوٌ ولكـن		هَجْـرُهُ مُـرٌّ كَرِيـهُ
٣- مَنْ رأى النَّاسُ له الفضـ		ـلَ عليهم حَسَدُوه
٤- مثلَ مَا قَدْ حَسَدَ القـا		ئـمَ بـالمُلْكِ أخُـوهُ

التخريج:

الأبيات كلّها في الأغاني ج٢٠ ص٥٨، ومختار الأغاني ج٨ ص١٤٠، والنجوم الزاهرة ج٢ ص٢٠٢ و ص٢٣٥.

"١٩"

وقال يمدح الخليفة المأمون :

(من مجزوء الرمل)

١- نُصِـرَ المـأمونُ عبدُاللَّـ		ـهِ لمَّـا ظَلَمُـوه
٢- نَقَضُوا العَهْدَ الذي كـا		نُـوا قديمـاً أكَّـدُوه
٣- لَـمْ يُعامِلْـهُ أخُـوهُ		بـالَّذِي أوصَـى أبُـوه

التخريج:

الأبيات في الأغاني ج٢٠ ص٥٩، ومختار الأغاني ج٨ ص١٤٠-١٤١.

"٢٠"

أمر الخليفة محمد الأمين للشاعر بجائزةٍ عشرة آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه، فاشترى بها ضيعة بالبصرة، وقال بعد ابتياعه إياها:

(من الكامل)

١- إنّي اشتريتُ بما وهبتَ لِيَه ... أرضاً أمون بها قرابَتِيَه

٢- فبحسن وجهك حين أسألُ قُلْ ... يا بن الربيع أحمل إليه مِئَه

التخريج:

البيتان في الأغاني ج٢٠ ص٦٢، ومختار الأغاني ج٨ ص١٤٢.

الشروح:

١- أمون : من مانه يمونه : احتمل مؤونته وقام بكفايته.

الخاتمة

ما الذي انتهى إليه هذا البحث؟ وما الجديد الذي أضافه إلى الدراسات الأدبيّة ؟

انتهى هذا البحث إلى أنّ الشاعر عبدالله بن أيوب التَّيْمي شاعر يمثل ظاهرة فنيّة، وهي ارتباطه بالموروث الفني العربي الإسلامي في موضوعات المدح والرثاء والفخر والحكمة من ناحية، ومحاولته مزج ما ورثه بالجديد المبتكر في عصره من ناحية أخرى.

وأمّا الجديد الذي أضافه إلى الدراسات الأدبية فهو ما قام به من جمع

وتحقيق علمي، ودراسة شعر عبدالله بن أيوب التَّيْمي دراسة موضوعية وفنيــــة. وشعر التَّيْمي لم يرد مجموعاً في ديوان، ولم يصنعه صانع ممن عرفوا بصناعة الدواوين. وجمع شعر هذا الشاعر المغمور وتحقيقه ودراســـــة شعـــره دراســـة موضوعية وفنية يندرج تحت مفهوم الجدّة والابتكار في الدراسات الأدبية.

مصادر البحث ومراجعه الأساسيّة

- د. إبراهيم أنيس (معاصر): موسيقى الشعر العربي، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٥م.
- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق د.محمد يوسف الدقاق، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
- الأصبهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب ت حوالي ٤٠٠هـ/١٠٠٩م): محاضرات الأدباء، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦١م.
- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م): الأغاني ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.
- البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت [دون تاريخ].
- التبريزي (أبو زكريا يحي بن علي بن محمد الشيباني ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): شرح ديوان الحماسة، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة حجازي، القاهرة [بدون تاريخ].
- ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ/٨٦٨م): الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٩٦م.
- الجهشياري (أبو عبدالله محمد بن عبدوس ت٣٣١هـ/٩٤٢م): الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٣٨م.
- ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.
- د. رشدي حسن: عوف بن محلّم الخزاعي، حياته وشعره، بحث منشور في مجلة مؤته للبحوث والدراسات، مجلد٨ عدد٢، جامعة مؤته، الأردن، ١٩٩٣م.
- الزركلي (خير الدين ت١٩٧٦م): الأعلام، ط٨ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩م.
- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد ت٣٢٨هـ/٩٣٩م): العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، طبع لجنة الترجمة والتأليف والنشر بالقاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت [بدون تاريخ].
- العكبري (أبو البقاء عبدالله بن الحسين ت ٦١٦هـ/١٢١٩م): ديوان أبي الطيب بشرح العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، طبعة بالأوفست، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨م.
- القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م): الأمالي، طبعة دار الكتب المصرية، نشر دار الكتاب العربي، بيروت [دون تاريخ].
- د.مخيمر صالح: رثاء الأبناء في الشعر العربي، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن [دون تاريخ].
- المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ت ٤٢١هـ/١٠٣٩م):شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م.
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٥، دار الفكر، مصر ١٩٧٣م.
- مسلم بن الوليد (ت٢٠٨هـ/٨٢٣م): شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق د.سامي الدّهان، دار المعارف، مصر ١٩٨٥م.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت٧١١هـ/١٣١١م):

١.لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، مطابع كوستاتسوماس، القاهرة [دون تاريخ].
٢.مختار الأغاني، ط١، على نفقة سمو الشيخ علي آل ثاني، المكتب الإسلامي، دمشق [دون تاريخ].
- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسـحق المعـروف بـالوراق ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م): الفهرست، تحقيق رضا تجدّد، ايران ١٩٧١م.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، طباعة دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩م.

مع الكتب

إضافات أخرى إلى كتاب
"شعراء عباسيون"

الأستاذ محمد يحيى زين الدين
سورية

كان المستشرق النمساوي Gustave E. Von Grünebaum قد نشر في مجلة Orientalla عام ١٩٤٨-١٩٥٠ قطعة صالحة مما تبقى من أشعار مطيع بن إياس وسلم الخاسر وأبي الشمقمق في المصادر المختلفة مع دراسة موجزة لحياتهم ولخصائص شعرهم.

ثم كان أن أخرج الدكتور محمد يوسف نجم عام ١٩٥٩ في بيروت ترجمة لتلك الأبحاث، أعاد فيها تحقيق أشعار هؤلاء الشعراء، كما أضاف إليها طائفة من الأبيات التي لم ترد في طبعة المستشرق بلغت نحو ٦٨ بيتاً وملاحظات أخرى قيمة تتصل بتصحيح ضبط بعض الأبيات أو ذكر خلاف الرواية.بين المصادر المعتمدة أو تصويب لما وقع في أشعارهم من تصحيفات، كما تولى الدكتور إحسان عباس مراجعة هذا الكتاب فجاء أقرب إلى الكمال.

ثم نشر الأستاذ حاتم غنيم عام ١٩٧٨ على صفحات هذه المجلة[١] مقالاً مطولاً عرض فيه بعض ما وقع في هذا الكتاب من هنات أو أوهام، كما تضمن مقاله أيضاً أبياتاً كثيرة - نحو مئة بيت - لم ترد في المطبوعة السابقة، وملاحظات أخرى قيمة على بعض ما نسب إليهم من أشعار.

إلا أنني وجدت أشياء أخرى كثيرة يحسن الإشارة إليها، يتصل قسم منها

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني مج١ العدد ٢ ص٧٩-١٠٠.

بإضافة أبيات لم ترد في الكتاب أو فيما استدرك عليـــه، وقســم آخــر يتصــل بتخريجات إضافية لبعض الأبيات من دون أن أشير إلى ما وقع فيها من خــلاف في الرواية طلباً للإيجاز، وقسم ثالث يتعلق بما ورد في مقال الأستاذ حاتم غنيــم عسى أن ينفع ذلك كله في إخراج طبعة أخرى لهذا الكتاب.

١- أبيات لم ترد في كتاب "شعراء عباسـيون" أو فيمـا اسـتدرك عليه:

أ- مطيع بن إياس:

مــن كــان تُعجبه الأنثى ويُعجبُـــها ... من الرّجالِ فإنّي شَفَّني الذّكَـــرُ[١]

فــوق الخُماسِــيِّ لمّــا طَــرَّ شاربُــهُ ... رخصُ البنانِ خلا من جلده الشَّعَــرُ

لم يجفُ من كبرٍ حتـــى يُـراد بــه[٢] ... من الأمورِ ولا أزرى به الصّغَـــرُ

لهــــا لـــونٌ كلـونِ الـــــور ... دِ لــــــو قَطّرتَهُ قَطَـــرا[٣]

ب- سلم الخاسر:

تَمَنّيتُــها حتّــى إذا مـــا رأيتُـــها ... رأيتُ المنايا شرّعاً قد أظلّـــتِ[٤]

---

(١) اللطائف والظرائف ٧١ كما جاءت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى أبي نواس في أخبار أبي نواس لابن منظور ١/٨٨، وورد البيت الأول منها منسوباً إلى أبي نـــواس أيضـــاً فـــي الصبح المنبي ١٩٢ ولكنها لم ترد في ديوانه.

(٢) كذا وفي أخبار أبي نواس والصبح المنبي: عما يراد.

(٣) جــاءت الأبيــات الأربعة الأولى من القطعة ٣٤ ص٤٩ في قطب السرور ٧٧ يليـــها البيت السابق كما جاء البيت الرابع منها منسوباً إلى أبي نواس فـــي ديوانـــه ٥٥٩ وفـــي أخبار أبي نواس ١/٦٥ لابن منظور وفي محاضرات الأدباء ٣/٢٩٥ وفي ديوان المعاني ١/٢٣١ والرواية ثمة: .. وجهه...

(٤) المحــب والمحبوب ٢/٢١٢ كما ورد البيتان الأول والثاني منها في ديوان العباس بـــن الأحنف ٦٤ في قطعة في سبعة أبيات وجاء البيت الثالث ثاني ثلاثة أبيات فـــي ديـــوان مجنون ليلى ٨٥ كما جاء البيتان ٣،١ في ديوان كثير عزة ١٠٧، ١٠٢ في كلمة له.

وصدّت بوجهٍ يبهرُ الشمسَ حُسنُهُ   إذا ما رأتهُ أعينُ الناس كَلَّتِ
فللعينِ تَهمالٌ إذا ما رأيتُها   وللقلبِ وسواسٌ إذا العينُ مَلّتِ

امزج الراحَ براحٍ   واسقني قبل الصباحِ[1]
ليس من شأني فدعني   شربُ ذا الماءِ القَراحِ

ولا خيرَ في الغازي إذا آبَ سالماً   إلى الحيّ لم يُجْرَحْ ولم يَتَحَدّدِ[2]

بموتِ أميرِ المؤمنين مُحَمّدٍ   زها الموتُ واختالت عليهِ المقابرُ[3]
رأيتُ المنايا يفتخرن بموتِهِ   كأنّ المنايا تبتغي من تُفاخِرُ
فلو بكتِ الأيامُ ميّتاً بكت لهُ   سوالفُها والباقياتُ الغوابرُ
وما الناسُ إلا للفناءِ مصيرُهُم   لكلِّ امرئٍ من يومِهِ ما يُحاذِرُ

وحزنٍ كطولِ الدّهرِ باقٍ إذا مَضَتْ   أوائلهُ عادتْ إلينا الأواخِرُ[4]

شَرَيتُ نوماً بسَهَرْ[5]
وبعتُ طولاً بقِصَرْ

---

(١) قطب السرور ١٧٤.
(٢) محاضرات الأدباء ٣/١٧٠.
(٣) الحماسة البصرية ١/٢٤٨.
(٤) محاضرات الأدباء ٤/٥١٦.
(٥) ديوان أبي نواس ١/١٧٢-١٧٣.

ومنها:

وبلــــــدٍ نـــــــــأيِ الأمَـــــــرْ
فيـــــــهِ إذا امتَــــــــدَّ زوَرْ

ومنها:

بازِلـــــــهُ حيــــــــنَ فَطَـــــــرْ

طلعَ الخليفةُ مَطلـــعَ الشّمــسِ   فعلا رقابَ الجنّ والإنسِ(١)
وعليـه مصقـولٌ عوارضُــهُ   خَشِنُ الكريهةِ ليّـنُ المَـسِّ

وإنّي لأسـتحيي مـن اللهِ أن أرى   رديفاً لوصلٍ أو علَـيّ رديـفُ(٢)
وإنّـيَ للمـاءِ المخالطِـهِ القـذى   إذا كَـثُرَتْ وُرّادُهُ لعَيُــوفُ

يـــا أيّهـــا الملكُ الــذي أضحـــــى وهمّتُهُ المعالــــي(٣)
أنـــتَ المُنَـــوّهُ باســــمِهِ عنـــدَ المُلِمّـــاتِ الثّقـــالِ

---

(١) المحب والمحبوب ٩٤/١.

(٢) المحب والمحبوب ١٥٦/٢ كما ورد البيتان الأولان (١،٢) منسوبين إلى يزيد بن الطثرية في الوحشيات ٣٠٥ يليهما بيت آخر هو:

وأن أردَ الماءَ المُوَطّأَ جيزهُ   وأتبعَ حبلاً منك وهو ضعيفُ

كما وردت الأبيات الثلاثة السابقة (١،٣،٢) منسوبة إلى جميل بثينة في ديوانه: ١٣٩-١٤٠.

(٣) جاءت الأبيات الثلاثة الأول يليها البيت الثالث من القطعة ٤٠ ص١١٠ ثم البيت الرابع تليه الأبيات ٢،١،٤ في غرر الخصائص ١٧١.

ثـــمّ الــــــذي أموالُـــــــهُ عنـدَ المحـــامدِ خـــيرُ مـــالِ
يحيــــى بـــن خـــالدٍ الــــذي يُعطـــي الجزيـــلَ ولا يبـــالي

يفـوزُ الجـوادُ بحُسـنِ الثنـــاءِ ويَبقى البخيـلُ علـى بُخلِـهِ[1]

يُمسـي ويُصبـح معرضـاً فكأنّـهُ ملكٌ عزيـزٌ قـاهرٌ سـلطانُهُ[2]
ليسـت إسـاءتُهُ بناقصـةٍ لـهُ عندي وليـسَ يزيـدُهُ إحسـانُهُ
رَخصُ البنانِ كـأنّ رَجْـعَ كلامِـهِ دُرٌ يُسـاقِطُهُ إلـيّ لِسـانُهُ

مالي علـى الخطـرات لا أنسـاها وأرى محاسِنَها ولستُ أراها[3]
ويظـلُّ يلحـاني العَـذُولُ سَـفاهةً وكأنّما يعنـي العـذولُ سِـواها

ج- أبو الشمقمق:

منْ يَكُنْ إبطُـهُ كآبـاطِ ذا الخلـــ ـــق فإبطايَ في عِدادِ الفِقاحِ[4]
لِـيَ إبطـان يرميـان جليســي بمثـالِ السُّـلاحِ أو بالسُّـلاحِ

---

(١) جاء البيت مع البيتين ٢، ٤ من القطعة ٤٥ ص١١٢ في عيون التواريخ (ترجمته).
(٢) المحب والمحبوب ١/١٥٥-١٥٦ كما جاء البيتان الأول والثاني منها في المستطرف ٢/٢٠ منسوبين إلى ابن الرومي (جاء الشطر الثاني من البيت الثالث عجزاً للبيت الثاني) ولكنهما لم يردا في ديوانه.
(٣) المحب والمحبوب ٢/١٦٥.
(٤) المثلث ٢/٢٣٢ كما جاءت الأبيات الثلاثة في الكامل ٣/٥١ منسوبة إلى ابن عائشة وجاء البيتان الأول والثاني منها منسوبين إلى ابن عائشة أيضاً في طبقات الشعراء ٣٣٨.

فكـــأنّي مـــن بيـــن هــذا وهـــــذا   جالسٌ بيـــنَ مُصعـــبٍ وصبـــاحِ

وأصبحتَ من عمـــرو وأحمـــدَ...   وما أنا من سيبِ الإلـــهِ بيـــائسِ(1)
يـــلاقي أبا العبّاسِ أحمد عابســـاً   ولا خيرَ في عمروٍ وليسَ بعابسِ

كتبتُ علـــى حِـــرِ امّ أبـــي نُـــواسٍ   أبا جـــادٍ وهَـــوّازاً وحُطّـــي(2)
وصـــيّرتُ الخِتـــامَ عليـــهِ أيـــري   فإن هم غيَّرُوهُ عرفـــتُ خَطّـــي

ما العيشُ إلاّ فـــي جنـــونِ الصبّـــا   فإن تَقَضـــى فجنـــونُ المُـــدامِ(3)

٢- تخريجات وتعليقات:

لم يتخذ المحققان نهجاً محدداً في ذكر مصادر التخريج، فهما إما أن يعتمدا اسم المؤلف حيناً أو عنوان الكتاب حيناً آخر. فمن ذلك مثلاً ما جاء في تخريـــج القطعة ١٦ ص١٠٠ "الجهشياري وزهر الآداب والنويري وطراز المجـــالس" أو في تخريج القطعة ٣٠ ص ١٠٦ "الحيوان.. العمدة.. النويري.." أو في تخريـــج

(١) فوات الوفيات (ترجمته).
(٢) ديـوان أبي نواس ٥٧/١ كما وردا في ٤٤/١ منه وفي محـــاضرات الأدبـــاء ٢٨٠/٣ منسوبين إلى زنبور بن أبي حماد.
(٣) جاء البيت منسوباً إلى أبي نواس في سرقات أبي نواس ص٩١ ولكنه لم يرد في ديوانه. كما ورد في ص١٤٩ من المصدر السابق منسوباً إلى أبي الشمقمق وفيـــه: "وقـــد ذكـــر مهلهل في هذه -أي في رسالته إلى حمزة الأصفهاني- اثني عشر بيتاً لم تقـــع هـــي ولا قصائدها عندي، وهي.. فأما ما ذكره قوله: ما العيش.. فمن قصيدة ليست له وإنما هـــي لأبي الشمقمق وتنحل إليه". كما ورد البيت منسوباً إلى أبي نواس أيضاً، يليه بيت آخـــر، في شرح المقامات ١٥٤/١ وفي المحب والمحبوب ١٩٦/٤ وإلى العطوي في الصناعتين ٢٠٣-٢٠٤. كما جاء منسوباً إلى أشجع السلمي في كتاب الأوراق ١١٣ في كلمة له.

القطعة ٣٦ ص١٠٨ "المسعودي.. والطبري..". ومثله أيضاً ما وقع في الترتيب الهجائي للمراجع إذ أنهما أثبتا مثلاً الموازنة بين أبي تمام والبحتري في حرف الألف على أن اسم المؤلف (الآمدي) يبدأ به، وكتاب الوزراء والكتاب في حرف الجيم نسبة إلى مؤلفه (الجهشياري) بينما تجد مثلاً كتاب زهر الآداب في حرف الزاي وكتاب الكامل في حرف الكاف، إلا أنك تجد كتاب القول في البغال للجاحظ في حرب الباء.

كما سها المحققان عن تخريج أبيات كثيرة وردت فيما اعتمداه من مصادر:

- ص٣٠ (١): جاء البيتان في محاضرات الأدباء ٥٥٤/٢ وثمرات الأوراق ٤٧٣[1].
- ص٤٠ (١٨): جاء البيت الرابع منها في محاضرات الأدباء ٥٢٥/٤ كما ورد في المنتحل ٤٦ من دون نسبة.
- ص٤٢ (٢١): جاء البيتان في قطب السرور ٧٨ باختلاف في القافية (يعتمر، المعتمر).
- ص٤٩ (٣٣): جاءت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى ديك الجن في ديوانه ٤٩.
- ص٥٢ (٣٨): جاءت الأبيات ٤، ٣، ٥ منها في قطب السرور ٧٦.
- ص٥٤ (٤٢): جاءت الأبيات ١، ٣-٦ منها في قطب السرور ٧٨.
- ص٥٧ (٤٧): جاءت الأبيات الثلاثة في ملحقات ديوان بشار بن برد ٧١/٤-٧٢.
- ص٦٤ (٦١): جاء البيت في غرر الخصائص ٣١٧.

---

(١) الرقم الأول للصفحة والرقم الثاني للقطعة كما جاءت مرقمة في كتاب "شعراء عباسيون".

- ص٦٩ (٧١): جاءت الأبيات ١، ٤، ٣، ٥، ٨ في الحماسة البصرية ٢٢٤/٢.
- ص٧٦ (٢): جاءت الأبيات بتمامها في قطب السرور ٧٥.
- ص٩٣ (٣): جاءت الأبيات ٦-٨ في الحماسة البصرية ١٩٢/١ كما ورد البيتان ٧، ٨ في المصون في الأدب ٦٧، ٩٩-١٠٠.
- ص٩٤ (٥): جاءت الأبيات بتمامها في المحب والمحبوب ٩٥/١ منسوبة إلى ابن المعتز وهي كذلك في ديوانه ٣٢٤/١ كما جاءت أيضاً في البصائر والذخائر ٥٦٤/٢ وفي حماسة الظرفاء ٧٧/٢ وفي محاضرات الأدباء ٨٠/٣ وفي معاهد التنصيص ٨٥/٣ وفي الصناعتين ٤٤٦ من دون نسبة.
- ص٩٥ (٦): جاء البيتان في المستطرف ١٦٢/١.
- ص٩٦ (٩): جاء البيتان في تاريخ الخلفاء ٢٨٢.
- ص٩٧ (١٠): جاءت الأبيات الخمسة الأولى في بهجة المجالس ١٥٥/١، ٣١٧/٢-٣١٨.
- ص٩٧ (١١): جاء البيت منسوباً إلى مسلم بن الوليد في ذيل ديوانه ٣١١ كما ورد في محاضرات الأدباء ٢٨٥/٣ منسوباً إلى عمرو بن أحمر (شعره: ٤٩ عن المصدر السابق).
- ص٩٩ (١٥): جاءت الأبيات ١-٥، ٧-١٥ تليها الأبيات ١٣-١٥ من القطعة (١٥ب) ثم البيتان ١٦-١٧ في تاريخ الخلفاء ٢٨١.
- ص١٠٠ (١٦): جاء البيت في خزانة الأدب ٢١١ كما ورد في المخلاة ١٢٧ من دون نسبة.
- ص١٠٠ (١٧): جاءت الأبيات الأربعة الأولى (١، ٤، ٢، ٣) في تاريخ الخلفاء ٢٩١.

- ص١٠١ (٢٠): جاء البيتان ٢٣، ٢٤ منسوبين إلى أشجع السلمي يليهما بيت آخر في المستجاد من فعلات الأجواد ٨٦ هو:

وصدرٌ فيهِ للهَمّ اتساعٌ   إذا ضاقَتْ من الهَمّ الصُّدُورُ

كما جاء البيت ٢٣ منسوباً إلى أشجع أيضاً في شرح المقامات ٣٧/١.

- جاءت الأبيات الثلاثة السابقة في المحاسن والمساوئ ٥٥/٢ وفي بهجة المجالس ٥١٤/١-٥١٥ من دون نسبة. كما جاء البيتان الأول والثالث منها في غرر الخصائص ١٣٣ منسوبين إلى عنان وجاء البيتان الأول والثاني منها في ص٦٦ من المصدر السابق من دون نسبة.

- ص١٠٣ (٢٣): جاءت الأبيات ١-٦ (ورد صدر البيت الثالث مع عجز البيت الرابع، وورد صدر البيت الرابع مع عجز البيت الثالث) مع البيت الأول من القطعة (٢٤) في تنبيه الأديب ٢٦٣-٢٦٤.

- ص١٠٤ (٢٤): جاء البيتان (٢، ١) في بهجة المجالس ١٢٢/١ كما جاء البيت الأول في تنبيه الأديب ٢٦٢.

- ص١٠٦ (٣٠): جاء البيتان في الحماسة البصرية ١٦١/٢ وفيها: "قال سلم الخاسر وقد نسبها الجاحظ إليه وليست في ديوانه" كما وردا في التذكرة السعدية ٤٨٩/١ وفي المحب والمحبوب ٢٢٥/١ من دون نسبة.

- ص١٠٧ (٣٢): جاءت الأبيات الثلاثة في الحماسة البصرية ١٤٩/١.

- ص١٠٨ (٣٥): جاء البيت الثاني في محاضرات الأدباء ١٤٧/٣.

- ص١٠٨ (٣٦): جاء البيتان في غرر الخصائص ٢٨٢ منسوبين إلى سيف بن إبراهيم.

- ص١١٠ (٣٩): جاء في تخريج البيتين: "الصناعتين.. والمحاضرات.." وإنما الصواب: جاء البيت الأول في الصناعتين.. وجاء البيت الثاني في المحاضرات. كما جاء البيت الأول منهما في زهر الآداب ١٧٠/١

وسرقات أبي نواس ١٠٨ منسوباً أيضاً إلى سلم الخاسر، والصواب أنه لمسلم بن الوليد. ديوانه ١٤٢ والمحب والمحبوب ٤/٢٤٤.

- ص١١٠ (٤٠): جاء البيتان الأول والرابع في بهجة المجالس ١/١٧٢ كما وردا في حماسة الظرفاء ٢/٢٣٠ من دون نسبة وورد البيت الرابع منها في محاضرات الأدباء ٢/٥٧٩ منسوباً إلى مسلم بن الوليد (ذيل ديوانه ٣٣٦ عن المصدر السابق) وفي حماسة البحتري ٢٣١ من دون نسبة.
- ص١١١ (٤٢): جاء الشطر في ذيل ديوان مسلم بن الوليد ٣٣٥ عن محاضرات الأدباء (٢/٣٠٥، القاهرة ١٢٨٧هـ) والصواب أنه لسلم الخاسر في الموضع المذكور من الكتاب.
- ص١١٢ (٤٥): جاء البيتان ٢، ٤ في المخلاة ١٠٧ من دون نسبة.
- ص١١٣ (٤٧): جاء البيت المفرد منسوباً إلى الحسين بن الضحاك في كتاب الزهرة ٤٠ وفي أشعاره ٩٦.
- ص١٢٠ (٦٠): جاء الشطر منسوباً إلى مسلم بن الوليد في ذيل ديوانه ٣٣٥ وتتمته:

.... إذا خطرَتْ أرماحُهُ ومناصِلُهْ

- ص١٣١ (٢): جاءت الأبيات ١، ٢، ٤-٦، ٨ في شرح المقامات ١/٦٣ منسوبة إلى أبي الشمقمق كما جاء البيتان ١٢، ١٠ يليهما بيت آخر ثم البيت ١٩ منسوبة جميعها إلى أبي نواس في ديوانه ١/٢٠ وهو:

وكيفَ تنالُ مَكرُمَةً ومجداً وخُبزُكَ مُحرزٌ جوفَ العُبابِ

كما جاء البيت التاسع في محاضرات الأدباء ٣/٢٨٨ من دون نسبة والبيت ١٢ أ في ديوان المعاني ١/١٨٧ من دون نسبة أيضاً.

- ص١٣٢ (٥): جاءت الأبيات الثلاثة الأولى في شرح المقامات ١/٦٣ من دون نسبة.

- ص١٣٤ (٨): جاء البيت المفرد في الأغاني ١٠٧/٢٠ منسوباً إلى أبي عيينة المهلبي وقبله بيت آخر هو:

رأيتُ النّاسَ هَمّهمُ المعالي وعيسى همّهُ جمعُ السّمادِ

- ص١٣٤ (١٠): جاءت الأبيات الثلاثة في شرح المقامات ٢٧٣/٢.
- ص١٣٦ (١٦): جاءت الأبيات ١، ٤، ٢ منسوبة إلى أبي نواس في أخبار أبي نواس لأبي هفان ص١٠٣. كما وردت الأبيات الثلاثة السابقة في الفكاهة والايتناس ٣٥ يليها بيتان آخران هما:

ولو تشاءُ إلهي حمَلتُ رجلي وأيري
صيّرت ذا في غِلافِ والرجل في جوفِ سيْرِ

- ص١٣٦ (١٧): جاء البيتان ١، ٣ في شرح المقامات ١٦٣/٢ وفي المحاسن والمساوئ ٢٠١/١ وفي حماسة الظرفاء ١٤٠/٢ من دون نسبة كما ورد البيت الثالث في ديوان المعاني ١٨٦/١ من دون نسبة أيضاً.
- ص١٤٤ (٣٣): جاءت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى أبي نواس في ديوانه ٨٤/١ بخلاف في الرواية.
- ص١٤٥ (٣٦): جاء البيت الثاني في غرر الخصائص ١٩٢.
- ص١٤٥ (٣٧): جاءت الأبيات الثلاثة (٢، ١، ٣) في شرح المقامات ٤٢/٢ كما وردت في المحاسن والمساوئ ٢١٧/١ من دون نسبة.
- ص١٤٦ (٣٩): لم ينسب هذا البيت إلى أبي الشمقمق في الموضع المذكور من الكتاب وإنما ورد معطوفاً على شعر له.
- ص١٤٦ (٤٠): جاء البيت في كتاب الورقة ٦٤ وفي المحاسن والمساوئ ٢٣٤/٢.
- ص١٤٧ (٤١): جاء البيت الأول يليه البيت الذي أورده المحقق في

الحاشية في المستطرف ١٣٨/٢ منسوبين إلى أبي الشمقمق.

- ص١٤٧ (٤٢): جاء البيتان في المستطرف ٩٦/٢ كما وردا في الإبانة عن سرقات المتنبي ٢٦١ وفي الصبح المنبي ١٣٥ من دون نسبة.
- ص١٥٠ (٤٧): جاء في تخريج البيت: "المكتبة الجغرافية.. وياقوت منسوباً إلى محمد بن السري".
- لم يرد هذا البيت في معجم البلدان منسوباً إلى ابن السري وإنما جاء فيه: "وأنشدني محمد بن السري... (البيت)" كما ورد البيت في اللسان والتاج (أرج) من دون نسبة.
- ص١٥١ (٥١): جاء البيت الثاني في المستطرف ٣/٢.
- ص١٥٢ (٥٢): جاءت الأبيات ١، ٣، ٤ في شرح المقامات ١٧٠/١.
- ص١٥٢ (٥٣): جاء في تخريج الأبيات: "الثمار.. والمستطرف..". كذا وإنما الصواب: جاء البيتان ٢، ٣ في المستطرف.

٣- ملاحظات حول ما أورد الأستاذ حاتم غنيم في مقاله من أبيات لم ترد في "شعراء عباسيون":

١- ص(٨٣، هـ): جاءت الأبيات ١-٤ في شرح المقامات ١٧٩/٢ كما جاء البيتان ١،٤ في محاضرات الأدباء ٢٧٦/٣ (جاء صدر الأول وعجز الثالث) وفي المخلاة ٢١١.

٢- ص(٨٥، أ): جاء البيتان في ملحقات ديوان بشار بن برد ١٤/٤ والرواية ثمة: (قبا، سوا، هجا) كما وردا في بهجة المجالس ٥٢٩/١ من دون نسبة. كما ورد البيت الأول في محاضرات الأدباء ٩٢/١، ٧١١/٤ من دون نسبة والرواية ثمة: (قبا، سوا) وفي خزانة الأدب ٧٩، ١٣٥ من دون نسبة أيضاً.

٣- ص(٨٧، ط): جاء البيتان منسوبين إلى نعيم النبهاني في التذكرة السعدية ٥٣١/١ كما وردا في المحب والمحبوب ١٥٥/١ وفي الأشباه والنظائر ٢٠٢/١ وفي البصائر والذخائر ٣٧٨/١ وفي نهاية الأرب ٧١/٢ من دون نسبة.

٤- ص(٨٨، ع): جاء البيتان في المحب والمحبوب ١٩٥/١منسوبين إلى سلم الخاسر كما وردا أيضاً في معجم البلدان (الحلس) منسوبين إلى ابن هرمة في قطعة في ستة أبيات (شعره: ١٣٥-١٣٦ عن المصدر السابق). كما جاء البيت الأول في عيون الأخبار ٢٦/٤ من دون نسبة.

٥- ص(٩٠، أ): جاء البيتان ١، ٤ في الأغاني ٢٥٢/١٠-٢٥٣ منسوبين إلى أبي دلامة كما وردت الأبيات ١، ٢، ٣، ٥ في محاضرات الأدباء ٥٥٤/٢ منسوبة إلى أعرابي.

٦- ص(٩٢، ز): جاءت الأبيات الثلاثة (١، ٣، ٢،٣ عن الأصمعي) في زهر الآداب ١٦٠/١ من دون نسبة.

٧- ص(٩٢،ح): جاءت الأبيات الثلاثة في المحاسن والأضداد ٦٥ من دون نسبة.

٨- ص(٩٣، ك): جاءت الأبيات ١، ٢، ٤، ٥، ٣، ٦ في غرر الخصائص ٢١٣ من دون نسبة.

٩- ص(٩٣، س): جاء البيتان في معجم البلدان (حلوان) من دون عزو وجاء البيت الثاني في شرح المقامات ٢٣٧/٢ من دون نسبة وقبله بيت آخر هو:

ما كنتُ أحسبُ أنّ الخبزَ فاكهةٌ حتّى نزلتُ على قومٍ بِمَيسانِ

كما ورد البيت الثاني أيضاً في المنتحل ١٥٩ منسوباً إلى بشار بن برد (ديوانه ٢٤٦/٤ عن المصدر السابق).

أهم المصادر:

١- الإبانة عن سرقات المتنبي	العميدي	القاهرة ١٩٦٣
٢- أخبار أبي نواس	ابن منظور	القاهرة ١٩٢٤
٣- أخبار أبي نواس	أبو هفان	القاهرة ١٩٥٣
٤- الأشباه والنظائر	الخالديان	القاهرة ١٩٥٨
٥- أشعار الحسين بن الضحاك		بيروت ١٩٦٠
٦- الأغاني (دار الكتب)	الأصفهاني	القاهرة ١٩٢٧-١٩٧٤
٧- الأوراق في أخبار الشعراء المحدثين	الصولي	القاهرة ١٩٣٤
٨- البصائر والذخائر	التوحيدي	دمشق ١٩٦٤
٩- بهجة المجالس	ابن عبدالبر	القاهرة ١٩٦٢
١٠- تاريخ الخلفاء	السيوطي	القاهرة ١٩٥٢
١١- تنبيه الأديب	ابن باكثير الحضرمي	بغداد ١٩٧٧
١٢- ثمرات الأوراق	ابن حجة الحموي	القاهرة ١٩٧١
١٣- حماسة البحتري		القاهرة ١٩٢٩
١٤- الحماسة البصرية		حيد آباد ١٩٦٤
١٥- حماسة الظرفاء	الزوزني	بغداد ١٩٧٨
١٦- خزانة الأدب	ابن حجة الحموي	القاهرة ١٣٠٤هـ
١٧- ديوان بشار بن برد		تونس ١٩٧٦
١٨- ديوان جميل بثينة		القاهرة ١٩٦٧
١٩- ديوان ديك الجن		بيروت ١٩٦٤

٢٠- ديوان العباس بن الأحنف		القاهرة ١٩٥٤
٢١- ديوان كثير عزة		بيروت ١٩٧١
٢٢- ديوان مجنون ليلى		القاهرة من دون تاريخ
٢٣- ديوان مسلم بن الوليد		القاهرة ١٩٥٧
٢٤- ديوان المعاني	العسكري	القاهرة ١٣٥٢هـ
٢٥- ديوان ابن المعتز		القاهرة ١٩٧٧-١٩٧٨
٢٦- ديوان أبي نواس (١-٤)	حمزة الأصفهاني	القاهرة ١٩٥٨
٢٧- ديوان أبي نواس		القاهرة ١٩٥٣
٢٨- زهر الآداب	الحصري	القاهرة ١٩٥٣
٢٩- الزهرة		بيروت ١٣٥١هـ
٣٠- سرقات أبي نواس	مهلهل بن يموت	القاهرة ١٩٥٧
٣١- شرح المقامات	الشريشي	القاهرة ١٣١٤هـ
٣٢- شعر ابن هرمة		دمشق ١٩٦٩
٣٣- شعر عمرو بن أحمر		دمشق من دون تاريخ
٣٤- الصناعتين	العسكري	القاهرة ١٩٥٢
٣٥- غرر الخصائص	الوطواط	القاهرة ١٩١٢
٣٦- قطب السرور	الرقيق النديم	دمشق ١٩٦٩
٣٧- الكامل	المبرد	القاهرة من دون تاريخ

٣٨- اللطائف والظرائف	الثعالبي	القاهرة ١٣٢٥هـ
٣٩- المثلث	ابن السيد البطليوسي	بغداد ١٩٨١
٤٠- المحاسن والأضداد	الجاحظ	القاهرة ١٣٢٤هـ
٤١- المحاسن والمساوئ	البيهقي	القاهرة ١٩٠٦
٤٢- محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهاني	بيروت ١٩٦١
٤٣- المحب والمحبوب	السري الرفاء	دمشق ١٩٨٦
٤٤- المخلاة	العاملي	القاهرة ١٣١٧هـ
٤٥- المستجاد من فعلات الأجواد	التنوخي	دمشق ١٩٤٦
٤٦- المستطرف	الأبشيهي	القاهرة ١٩٤٢
٤٧- المصون في الأدب	العسكري	الكويت ١٩٦٠
٤٨- معاهد التنصيص	العباسي	القاهرة ١٩٤٧
٤٩- معجم البلدان	ياقوت الحموي	بيروت ١٩٧٧
٥٠- المنتحل	الثعالبي	الإسكندرية ١٩٠١
٥١- نهاية الأرب	النويري	القاهرة ١٩٢٣-١٩٧٦
٥٢- الورقة	ابن الجراح	القاهرة ١٩٥٣

تعليقات ومناقشات

تقعيد قاعدة نحوية

"إضافة الجهات الأربع"

الأستاذ صبحي البصّام

١- إضافة الجهات الأربع:

يدلني استقرائي للغة العرب الفصحاء ومن اقتدى بهم على أنّ الجهات الأربع الشَرق والغَرب والشَمال والجنوب، وكلها بفتح أولها، إذا أضيفت فالأكثر أن يُلحق بآخرها ياء النسب المشدّدة. فمثلاً يقال في قرية (هي غربيّ الموصل)، على أنه يقال أحياناً (هي غرب الموصل) بحذف الياء، ويقال (مات في شرقيّ بغداد ودُفن في غربيّها)، ويقال أحياناً (مات في شرق بغداد ودُفن في غربها)، ويقال (تحوّلتُ من شماليّ عمّان إلى جنوبيّها)، ويقال أحياناً (تحوّلت من شمال عمّان إلى جنوبها)، فإذا أُضيف اسم من أسماء الجهات الأخرى لم يلحق بآخره الياء المشددة، فمثلاً يُقال (وقفتُ أمام الشجرة ثم قعدتُ تحتها)، ولا يقال: (وقفتُ أماميّ الشجرة ثم قعدت تحتيّها). وأنا ذاكر ههنا شواهد للجهات الأربع تؤيد ما ذهبت إليه:

٢- مما أُلحق بآخره ياء النسب:

أ- نحو شرقيّ:

قول زهير بن أبي سُلمى (الديوان):

ثم استمرّوا وَقالوا إنّ مشربكم ماءٌ بشرقيّ سلمى فَيْدُ أو فَدَكُ

وقول مالك بن الريب (معجم ما استعجم ج٤ - المنيفة):

بينَ المنيفة حيث استنَّ مدفعها وبين فردةَ من شرقيّها قُبُلا

وقول مطرود بن كعب (معجم ما استعجم ج٣ ص٩٩٧):

وميّت أوجعني فقدُهُ مات بشرقيّ البنيّاتِ

وقول جرير (الديوان ص٤٩٣):

هبّت شمالاً فذكرى ما ذكرتُكُمُ إلى الصفاة التي شرقيّ حورانا

وقول عدي بن الرقاع (الديوان ص٤٤):

أتعرفُ بالصحراء شرقيّ شابكٍ منازلَ أعراها الأنيسُ وملعبا

وقوله أيضاً (الديوان ص٦٥):

ثم اكفهرّت شريقيّ اللوى وأوى إلى تواليه من سُفّاره رفقُ

وقول مُليح الهُذلي (معجم البلدان - زيزاء):

ومن دون ذكراها التي خطرت لنا بشرقيّ نعمان الشرى والمعرّفُ

وقول قيس المجنون (أمالي القالي ١/١٣٦):

سقى طلل الدار التي أنتُمُ بها بشرقيّ لبنى صيّف وربيعُ

وقول الطِّرماح (الشعر والشعراء ٢/٥٦٨):

فخرتَ بيـوم العقـر شرقـيّ بـابل وقـد جبنـت فيـه تميـمٌ وفَلّـتِ

وقول إسماعيل بن عمّار الأسدي (معجم ما استعجم ٢/٥٩٦ - دير اللجّ):

ما أنسَ سعدةَ والزرقاءَ يـوم همـا بـاللجّ شرقيّـه فـوق الدكـاكين

وقال أبو نواس (الديوان):

ولم أدرِ مَنْ هُمْ غير ما شـهدت بـه بشرقـيّ سـاباط الديـارُ البسـابسُ

وقول بعضهم في قصر ابن هبيرة (تأريخ الطبري ٧): (وكـان شرقـيّ الكوفة مما يلي بغداد).

وقول الحسن بن أحمد بن يعقـوب الـهمداني (صفـة جزيـرة العـرب ص٤٣٦): (ووادي جِلذان منقلب إلى نجد شرقيّ الطائف يسكنه بنو هلال).

وقول ياقوت الحموي في معجم البلدان في (أسوان): (فـي آخـر صعيـد مصر وأول بلاد النوبة على النيل من شرقيّه)، وقوله في الكتـاب نفسـه فـي (تدمير): (وهي شرقيّ قرطبة).

ب- ونحو غربيّ:

قول ابن حزم الأندلسي (طوق الحمامة ص٧٧): (قال لي فتنزّهنا يوماً إلى بعض ضياعنا بالسهلة غربي قرطبة).

وقول الصغاني (التكملة والذيل والصلة ١/٣١٥): (الزيتون قريـة علـى

غربيّ النيل).

وقول أبي الفداء (مجاني الأدب ٢٠٧/١) (وهي في ذيل الجبل من غربيّه)، وقوله (مجاني الأدب ٢١٠/١): (والجبال من غربيّ المدينة).

وقول ابن حوقل (صورة الأرض ص٦٠) (وأما الغرب فبعضه ممتد على بحر المغرب من غربيّه).

وقول القزويني في (إفرنجة) (مجاني الأدب ٢٢٤/١): (في آخر غربيّ الإقليم السادس).

وقول أبي عبيد السكوني في (أجأ) (تاج العروس ٤٠/١ بولاق): (أحد جبلي طيىء وهو غربيّ فيد).

وقول ياقوت الحموي في (الأنبار) (معجم البلدان - الأنبار): (مدينة على الفرات في غربيّ بغداد).

وقول ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون ص٥٣) (الإقليم الأول وفيه من جهة غربيّه الجزر الخالدات).

وقول ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١٢٢/٢ بولاق) في نبتة: يقال لها في الأندلس (بِيَنْب): (ويُدبغ بها الجلود بغربي بلاد الأندلس). على أننا سنراه يحذف الياء في موضع آخر من الكتاب.

وقول أحمد المقري التلمساني في الجزر الخالدات (نفح الطيب): (وهي غربيّ مدينة سلا). وسنراه يحذف الياء في موضع آخر من الكتاب.

جـ- ونحو شماليّ:

قول الصغاني (التكملة والذيل والصلة ١/٤٥٩): (صهرجتُ قريتان مـــن قرى مصر شماليّ القاهرة).

وقول الفيروزآبادي (القـــاموس – العمـــود): (والعماديـــة قلعـــة شمـــاليّ الموصل).

وقول أبي الفداء في نصيبين (مجاني الأدب ١/٢١٥): (في شماليّها جبـــل كبير).

وقول ابن خلدون في جزيرة إنجلترا (مقدّمة ابن خلدون ص٧٧): (ووراء هذه الجزيرة في شماليّ الجزء الثاني جزيرة رسلانده).

وقول ابن البيطار (الجامع لمفردات الأدويـــة والأغذيـــة ٢/١٧١): (وقـــد شاهدتُ نباته... بالضيعة المعروفة بكفر السلوان شماليّ الضيعة المعروفة).

أما (شمال) بمعنى اليد اليسرى فلا تلحقها ياء النسب المشددة عند إضافتها لأنها ليست من الجهات الأربع، جاء في تنوير المقباس من تفسير ابـــن عبـــاس: (شمال بني آدم) وذلك في تفسير قوله تعالى: (عَنِ اليمينِ وعَنِ الشِّمـــالِ قَعيـــدٌ) (ق/١٧).

د- ونحو جنوبيّ:

قول أبي الفداء في الموصل (مجاني الأدب ١/٢١٤): (في جنوبيّ الموصل يصب الزاب الأصغر إلى دجلة).

وقول ياقوت الحموي في أندرين (معجم البلدان – أندرين): (اسمُ قرية في

جنوبيّ حلب). وقوله في معجمه أيضاً في (التبر): (وإليها ينسب الذهب الخالص وهي في جنوبيّ المغرب).

هـ- النصوص المذكورة آنفاً:

فالنصوص التي ذكرتها آنفاً، وهي أربعة وأربعون نصاً، تشهد لإثبات ياء النسب المشدّدة في آخر الجهات الأربع عند إضافتها، عشرة منها هي لتسعة من العرب القدماء الفصحاء المستشهد بلغتهم، والباقي منها هو لثلاثة عشر من المولّدين وأكثرهم من المعروفين بجودة لغتهم.

٣- مما لم يلحق بآخره ياء النسب:

أ- نحو شرق:

قول المتنبي (سرقات المتنبي ومشكل معانيه ص١٠٣):

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتكَ الركابُ والسبلُ

وقول ابن الخياط الدمشقي (الديوان ص١٧٧):

من الزُهر لا يُلفين إلا كواكباً طوالع في شرق الزمان وغربهِ

وقول علي بن محمد الهمذاني في اشتياقه إلى بغداد (تأريخ بغداد ٥٢/١):

فقد طُفت في شرق البلاد وغربها وسيّرت رحلي بينها وركابيا

وقول الطبيب أبي العباس النباتي (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ٥/١): (بشرق بلاد العدوة).

وقول ابن البيطار في الكتاب نفسه (١٧٨/١): (وهي تربة العسل عند أهل شرق الأندلس).

وقول لسان الدين بن الخطيب:

ضاق عن وجدي بكم رحب الفضـــا   لا يبـالي شرقــه مـــن غربـــهِ

ب- ونحو غرب:

قول لسان الدين بن الخطيب المذكور آنفاً وفيه: لا يبالي شرقه من غربهِ.

وقول علي بن محمد الهمذاني المذكور آنفاً وفيه: فقد طفتُ في شرق البلاد وغربها.

وقول ابن الخياط الدمشقي المذكور آنفاً وفيه: طوالعُ في شـــرق الزمـــان وغربهِ.

جـ- ونحو شمال:

قول أحمد المقري التلمساني في جزيرة برطانية (نفح الطيـــب ١٦٧/١): (وهي بوسط البحر المحيط بأقصى شمال الأندلس).

د- ونحو جنوب:

قول النابغة الذبياني (طراز المجالس ص٢٦٣ - طبعة قديمة):

وقُلـــن لحـــا اللهُ ربُّ العبـــاد   جنـوب السـخال إلـى يـــترب[1]

---

(١) يترب بالتاء المثناة من فوق قرية باليمامة.

وقول زفر بن الحارث الكلابي (مجلة البلقاء، الجامعة الأهلية بعمان، العدد ١٥٦/٢ أيار ١٩٩٢):

فجنوب عكّا فالسواحل إنها   أرض تذوب بها اللقاح وتهزلُ

وقول بعضهم (أساس البلاغة ص٤٤٨):

نجّمن أنوار الربيع لمأسلٍ   فلذي قضين إلى جنوب الساحلِ

وجوّز الأستاذان محمد جواد النوري وعلي خليل أحمد في مجلة البلقاء (العدد ٢١٤/٢- أيار ١٩٩٢) أن يكون البيت ملفقاً من بيتين، وذكرا البيتين، فلم يكن فيهما (جنوب)، ومع ذلك، فرواية (جنوب) في هذا البيت شاهد يعوّل عليه.

وللشريف المرتضى بيت هو في (طيف الخيال ص١٣٠) وهو:

وطيفٍ منكمُ بجُنُوب نجدِ   أراني من زيارتكم مثالا

وفيه (جُنُوب) بضمّ فضمّ وكأنها جمع (جَنْب)، كحدّ، وحُدُود، وسَهْب وسُهُوب. وأفاد محقق الكتاب الأستاذ حسن كامل الصيرفي أنها في أصل الديوان (بنجوب). قلتُ: فالبيت فيه موضع للأخذ والردّ والأولى أن لا يتخذ شاهداً.

هـ- النصوص المذكورة آنفاً:

فالنصوص التي مرّت بنا آنفاً، وهي عشرة نصوص، تشهد لجواز أن يُغفل استعمال ياء النسب المشدّدة في آخر الجهات الأربع عند إضافتها، نصّان منها لشاعرين قديمين فصيحين يستشهد بلغتهما، ونص ثالث يدلّ على قدم قائله

وأصالة لغته، وما بقي من النصوص هو لسبعة من المولّدين.

٤- تقعيد قاعدة نحوية:

وقد قعّدتُ مما تقدّم قاعدة نحوية حقها أن تكون في باب الإضافة من كتب النحو وهي:

إذا أُضيفت جهة من الجهات الأربع الشَرق والغَرب والشَمال والجنوب، وكلها بفتح أولها، فالأكثر أن يُلحق بآخرها ياء النسب المشدّدة، كقول زهير بن أبي سُلمى:

ثم استمرّوا وقالوا إنّ مشربكم ماءٌ بشرقيّ سلمى فيدُ أو فَدَكُ

وقول مالك بن الريب:

بين المُنيفة حيث استنّ مدفعُها وبين فردة من شرقيّها قُبُلا

وقلما يغفل إثبات ياء النسب في آخرها عند إضافتها، كقول النابغة الذبياني:

وقُلن لحا اللهُ ربُّ العباد جنوب السِخال إلى يسترب

تعليق:

إني وضعتُ نصوص الياء المشدّدة في كفة الميزان، ووضعت النصوص التي بلا ياء مشدّدة في الكفة الأخرى من الميزان، فلما رجحت كفة الياء المشدّدة، وشالت الكفة الأخرى، جعلتُ القاعدة على النحو المذكور آنفاً. فمن استطاع أن يجمع مزيداً من النصوص للكفتين، وهو جادّ وأمين في جمعه، بما يجعل الكفة

الشائلة هي الراجحة، أو بما يجعل الكفتين متعادلتين، فليأتنا بنصوصه، فعندئذ تعدّل القاعدة بمقتضى ذلك، وما أظن ذلك بكائن.

٥- القاعدة وأدباء العصور الحديثة:

ولا أتذكر أني رأيتُ أحداً من أدباء العصور الحديثة يلحق ياء النسب بآخر جهة من الجهات الأربع عند الإضافة، كأنهم لم يفطنوا بها، أو كأنهم آثروا التخفيف والاختصار، مقتدين بقدماء فصحاء كالنابغة الذبياني، وذلك منهم صحيح فصيح. وممن لم يلحقها مترجم الكتاب المقدس إلى العربية. جاء في ترجمته له (وتبعهم إلى جونة التي شمال دمشق) (الإصحاح الرابع عشر) [1] والأستاذ عباس محمود العقاد، قال في كتابه (عبقرية المسيح): (هجرت بيت المقدس إلى شرق الأردنّ) (ص١٤٨)، والشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب (ج٥ و٦ حزيران ١٩٩٢) كقوله في المدينة المنوّرة (من شرقها) ص٣٢٥، وكقوله (جنوب ميناء جازان) ص٣٤٧. والشاعر محمد مهدي الجواهري (الديوان ٢٤٦/٣):

لتريك أفراح العراق شماله وجنوبه وشبيبة وكهولا

٦- تذييل:

وقد وجدتُ من يقول (الشمال الإفريقي)، كقول الدكتور حسين مؤنس في مقدّمة كتابه (فتح العرب للمغرب): (بدخول الشمال الإفريقي). وأنا أشنأ هذا

---

(١) مترجم الكتاب المقدّس في الأصل هو اللغويّ العلامة أحمد فارس الشدياق، ولكن ترجمته أشرف عليها أستاذ في جامعة أوكسفورد، فكان يُلزمه بتغيير أكثر تعابير ترجمته لكي يفهمها العوام، ولكي تكون بعيدة من أسلوب القران، وبعد أن فرغ من الترجمة بلغه أنّ الأستاذ التوتونجي راجعها فغيّر كثيراً منها زاعماً أنه يصحح بذلك لغتها، فاغتاظ منه الشدياق، وشتمه نثراً وشعراً، وأفحش في ذلك، فما أدري من كتب عبارة الكتاب المقدّس: (شمال دمشق).

التعبير وإن كنت لا أميل إلى تخطئته، ذلك بأني لم أر نظيراً له فيما قرأت من كتب السلف، وكأنه مقلوب. وقد مرّ بنا أن الطرمّاح قال: (شرقيّ بابل) ولم يقل: الشرق البابليّ، وأن الصغاني قال: (على غربيّ النيل) ولم يقل: على الغرب النيليّ، وأنّ الحموي قال: (في جنوبيّ حلب)، ولم يقل: في الجنوب الحلبيّ، وأن الصغانيّ قال: (شماليّ القاهرة)، ولم يقل: الشمال القاهريّ، فإن كان قول الدكتور حسين مؤنس حسناً فالأحسن أن يقول: بدخول شماليّ إفريقيا، أو: بدخول شمال إفريقيا. واستعمل من بعده (الشمال الإفريقي) أستاذ لغويّ، وذلك في مجلة اللغة العربية بدمشق (مج٥٦ ج٢ ص٤١٠)، ومن أجل أنه لغويّ انتقدت عليه ذلك في المجلة نفسها، بأن قلت (استعمل في مقالته ما ليس بالمسموع كقوله: بلدان الشمال الإفريقي) (مج٥٨ ج٤ ص٨٢٥)، ولم أزد ولم أوضح، وفي قولي ههنا زيادة على ما قلت، وإيضاح له، ولكل قول إبّان.

٧- ختام:

هذه القاعدة النحوية على ما أراه من صوابها، لو كانت طُعِمَتْ بمزيد من الشواهد الجاهلية والإسلامية لتشهد في فرعيها لسائر الجهات الأربع أو لأكثرها لكانت أجود وأحمد، وقد مضت عليّ عدة سنين، وأنا في مدينة شفيلد بعيد من خزائن الكتب العربية، فتعذّر عليّ الاستزادة من الشواهد، ثم إني وجدتني قد أخذت السن منّي، وتقعقع شنّي، وانحنت صَعْدتي، فرأيت أن أنشر القاعدة وهي على حالها هذه، وعسى أن يكرمها البصير في النحو واللغة بقبول حسن. فإن كان له ما يخالفني فيه، فأنا مُعِدٌّ لأن أتعلم منه، وعسى أن يكون محوطاً بنور العلم، ومنوطاً بنُصح الجيب، لتحسن الفائدة، وتروق العائدة، وفوق كل ذي علم عليم.

أخبار مجمعية

مشروع

"المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة"

- وافق مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في التوصية الرابعة من التوصيات التي صدرت عنه عام ١٩٩٨م. على إعداد مشروع معجم موحد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي وأن يقوم كل مجمع من مجامع اللغة العربية في الوطن العربي بدوره في هذا المشروع من خلال قيامه بجمع ألفاظ الحياة العامة في القطر الذي ينتمي إليه.

- وقد ناقش مجلس مجمع اللغة العربية الأردني هذا المشروع، ووافق على أن يقوم المجمع بواجبه في هذا المشروع المهم على مستوى الأردن والوطن العربي. وألف لجنة من أعضائه سماها "لجنة مشروع معجم ألفاظ الحياة العامة"، وعهد إليها بوضع الوسائل الكفيلة لإنجاز هذا العمل في الأردن، وتكون مهمتها وضع الخطوط الأساسية وآليات التنفيذ ومنهجية العمل والجهات التي يمكن أن يتعاون معها المجمع لإنجاز هذا المشروع.

- درست اللجنة المشروع من جميع جوانبه العلمية والاجتماعية واللغوية والمالية، وبينت أبعاده الوطنية والقومية بالنسبة للأردن وللعالم العربي، ووضعت منهجية واضحة للعمل، وتصوراً مالياً لتكلفة هذا المشروع.

أهداف المشروع:

يهدف هذا المشروع إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. إغناء اللغة العربية بألفاظ حضارية جديدة في مختلف جوانب الحياة اليومية.

٢. المحافظة على اللغة العربية وتوظيفها توظيفاً سليماً في الحياة اليومية والعمل على تفصيح الألفاظ العامية التي تعود إلى أصول فصيحة.

٣. توحيد مسميات ألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي.

٤. إفادة الباحثين والدارسين والكتاب والصحفيين وعلماء الاجتماع في دراسة الظواهر الاجتماعية والحضارية في الأقطار العربية.

٥. توحيد لغة وسائل الإعلام والصحافة على مستوى الوطن العربي.

٦. التقليل من الخلافات واللهجات المحلية المحكية بين أبناء الأمة العربية في مجال مسميات ألفاظ الحياة العامة.

٧. إصدار معجم موحد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي أسوة بما تقوم به الأمم الأخرى في هذا المجال.

منهجية العمل وآلية التنفيذ:

إن مجمع اللغة العربية الأردني يؤمن أن كل عمل كبير لا بد له من جهود توازيه، وأن هذا المشروع هو عمل وطني وقومي مهم وضروري، وهو يحتاج إلى تضافر جهود كبيرة لإنجازه، ولا شك أن من أهم مقومات نجاح أي عمل أن يؤمن القائمون عليه بأهميته، ويشعروا بمدى الحاجة إليه، وينطلقوا بجد وحماسة لإنجازه من خلال خطة عمل محكمة ومنهجية واضحة وآلية تنفيذ ميسرة، وتمويل مالي كاف. ورأت اللجنة أن يقسم العمل في هذا المشروع إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى: تتمثل في جمع ألفاظ الحياة العامة وتسجيلها في البطاقات حسب النموذج الذي أعده المجمع، وتدقيقها من اللجان الفرعية التي شكلها المجمع، وإرسالها إلى المجمع من أجل العمل على اتخاذ الإجراءات اللازمة لتخزينها في الحاسوب في وحدة الحاسوب بالمجمع.

- المرحلة الثانية: تشذيب الألفاظ وغربلتها وانتقاء لفظة أو لفظتين للمصطلح الواحد في ضوء معايير معينة مثل الشيوع والفصاحة والسهولة على مستوى الأردن. وسيرسل المشروع الأردني بعد ذلك إلى اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لتوحيد هذه المسميات على مستوى الوطن العربي في ضوء المعايير التي ستعتمدها اللجان الفنية التي سيشكلها اتحاد المجامع لهذه الغاية. وفي الوقت نفسه سيقوم المجمع بنشر المشروع الأردني وتوزيعه، تمهيداً لصدور المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة على مستوى الوطن العربي.

ومن أجل إنجاز المرحلة الأولى وضعت اللجنة خطة العمل الآتية:

أولاً: مراكز العمل:

رأت اللجنة أن تقسم المملكة من الناحية الجغرافية والسكانية إلى أربعة مراكز رئيسية، وأن يكون في كل مركز لجنة فرعية مؤلفة من رئيس وعضوين من العلماء المتخصصين باللغة العربية المتحمسين لهذا المشروع، والمدركين لجدواه العلمية، والراغبين في بذل أقصى جهد لخدمة اللغة العربية، وذلك على النحو الآتي:

أ- لجنة فرعية في جامعة اليرموك، وتكون برئاسة الأستاذ الدكتور يوسف بكار وعضوية الأستاذ الدكتور سمير استيتية والدكتور علي الحمد، وتكون منطقتها الجغرافية محافظة إربد بكاملها، ومحافظة عجلون ومحافظة جرش.

ب- لجنة فرعية في الجامعة الأردنية، برئاسة الدكتور إسماعيل عمايرة وعضوية الدكتور عبدالكريم الحياري والدكتور مأمون جرار، وتكون

منطقتها الجغرافية محافظة العاصمة ومحافظة البلقاء ومحافظة مادبا.

جـ - لجنة فرعية في جامعة مؤتة، برئاسة الدكتور سمير الدروبي وعضوية الأستاذ الدكتور محمد البكاء والدكتور فايز القيسي، تكون منطقة عملها محافظة الكرك ومحافظة الطفيلة ومحافظة معان، ومحافظة العقبة.

د- لجنة فرعية في الجامعة الهاشمية، برئاسة الأستاذ الدكتور محمد حور، وعضوية الدكتور عبدالكريم مجاهد والسيدة خلود العموش، ومنطقة عملها محافظة الزرقاء ومحافظة المفرق.

ثانياً: مهام اللجنة الفرعية:

حدد المجمع مهام اللجان الفرعية بما يأتي:

١- رسم خطة عمل وآلية تنفيذ متكاملة لجمع ألفاظ الحياة العامة المستعملة في المنطقة المحددة لها حسب النموذج الذي أعده المجمع لهذه الغاية.

٢- اختيار الباحثين الذين ترغب اللجنة في تكليفهم القيام بهذا العمل وتحديد عددهم.

٣- يشمل جمع الألفاظ ما هو مستعمل في البادية والريف والمدينة من خلال الشرائح الاجتماعية الموجودة فيها.

٤- اللجنة الفرعية هي المسؤولة عن قبول المصطلحات أو رفضها.

٥- تقوم اللجنة بتدقيق النماذج المقدمة إليها من الباحثين وتقديمها إلى المجمع.

٦- تقوم اللجنة الفرعية بملء بند (أصل المصطلح) في النموذج المعد لهذه الغاية.

٧- تعقد اللجنة الفرعية اجتماعاتها في مركزها وترسل نسخة من

محاضر اجتماعاتها إلى المجمع لتســـهيل عمليــة الإجــراءات المالية.

٨- يجتمع رؤساء اللجان الفرعية مع لجنة معجم ألفاظ الحياة العامة في مقر المجمع بعمان حسب مقتضيات العمل والترتيبات التـــي سينظمها المجمع.

المؤتمرات والندوات والمحاضرات

• انطلاقاً من حرص المجمع على المشاركة الفاعلة في المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية التي تعقد داخل الأردن وخارجه، فقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع في مؤتمر التعريب "الثامن والتاسع" الذي عقد في مراكش تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية في الفترة بين السابع والحادي عشر من محرم ١٤١٩هـ الموافق الرابع والثامن من أيار ١٩٩٨م.

وقد صدر عن المؤتمر التقرير الختامي الذي اشتمل على التوصيات الخاصة والعامة كما يأتي:

التوصيات

أولاً: التوصيات الخاصة:

١- إقرار المعاجم المعروضة على المؤتمر، وطبعها بعد وضع اللمسات الأخيرة في ضوء ملاحظات اللجان المتخصصة.

٢- مواصلة الالتزام بالمبادىء الأساسية الصادرة عن ندوة الرباط ١٩٨١، وندوة عمان ١٩٩٣ حول منهجية وضع المصطلحات.

٣- تزويد كل المعاجم الموحدة بمقدمة نظرية تتضمن المصادر المعتمدة والمعلومات الأساسية الخاصة بكل معجم.

٤- الحرص على دقة التطابق بين المصطلحين الإنجليزي والفرنسي، ومواصلة تزويد المعجم بفهرسين عربي وفرنسي، مع وضع أرقام التسلسل المثبتة في الترتيب الإنجليزي.

٥- وضع تعريف موجز ودقيق للمصطلحات العربية، في المقابل من مشروعات مكتب تنسيق التعريب.

٦- ضبط مصطلحات المعاجم الموحدة بالشكل التام، ضماناً لقراءتها بطريقة سليمة، وذلك في مقبل أعمال المكتب المصطلحية.

٧- تطوير وتحديث المعجمات الموحدة مرة كل خمس سنوات، لاستدراك الناقص وإضافة المستحدث.

٨- إيجاد آلية مناسبة لتسهيل تداول المعاجم الموحدة على نطاق واسع.

ثانياً: التوصيات العامة:

١- يؤكد المؤتمر ما سبق أن أقرته مؤتمرات التعريب السابقة من ضرورة العناية باللغة العربية والتعريب، انطلاقاً من أن اللغة العربية مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة العربية واستمرارها، وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يتهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها، خاصة أن هذه اللغة قادرة على الوفاء بتهيئة سبل التقدم العلمي والاجتماعي، بما لها من خصائص ذاتية، وما في تراثها من زاد غني يساعدها على أن تكون لغة الحضارة.

٢- دعوة وزارات التربية والتعليم والمعارف في الدول العربية والمنظمات العربية الإسلامية إلى الإفادة من كل الأدوات العلمية والثقافية والإعلامية، لنشر الوعي التعريبي وبيان أهمية اللغة في تنمية قدرات الإنسان وتشكيل مستقبله.

٣- دعوة الدول العربية إلى دعم وتعزيز مجهودات التعريب، وذلك عن طريق إنشاء وحدات متخصصة تهتم بقضايا اللغة العربية والمصطلح والترجمة.

٤- السعي لدى الحكومات العربية لاتخاذ القرارات المناسبة لجعل اللغة العربية لغة تدريس وتعليم في المؤسسات الأكاديمية، وتأكيد أهمية تعزيز دور الحكومات في تعريب الوسط الإداري والاجتماعي.

٥- المساهمة في معالجة مشكلات قضايا التعريب في الدول العربية، اعتماداً على النتائج التي تتوصل إليها الدراسات والبحوث حول هذه المشكلات، لتشخيص أسباب المعوقات، وتوفير الحلول الممكنة.

٦- الاستفادة من تجارب الدول العربية التي قطعت شوطاً كبيراً في ميدان التعريب، وتفادي تكرار الجهود السابقة.

٧- تصور خطط واعية لتطبيق التعريب في الدول العربية التي تعاني من عدم توفر إمكانات التطبيق، لتلبية رغباتها في تبني التعريب، على أساس التدرج في التنفيذ.

٨- السعي إلى إيجاد السبل الناجعة لإقامة أي نوع من التعاون بين المؤسسات العلمية العربية المعنية بشؤون المصطلح والتعريب والترجمة.

٩- دعم مكتب تنسيق التعريب، مادياً ومعنوياً حتى يتمكن من القيام بمهمته على خير وجه.

١٠-تخصيص جوائز تشجيعية للأعمال المصطلحية المتميزة الصادرة عن المؤسسات والأفراد العاملين في هذا المجال.

١١-دعوة جميع الحكومات والهيئات العربية المعنية بخدمة مستقبل اللغة العربية، لتقديم كل دعم ممكن لمشروع الذخيرة اللغوية العربية، أملا في توظيف جميع الإمكانات التقنية الحديثة من أجل خدمة مستقبل هذه اللغة الشريفة.

الموسم الثقافي السادس عشر

يحرص المجمع على إقامة موسمه الثقافي كل عام ليكون مساهمة فاعلة في تنشيط الحركة الثقافية، ومعالجة كثير من القضايا التي تتعلق باللغة العربية وتيسير تعليمها وتعزيز مكانتها، لتكون لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي في جامعاتنا العربية ومؤسساتنا العلمية.

وقد اختار المجمع هذا العام موضوع "تيسير تعلم اللغة العربية" محوراً لموسمه الثقافي السادس عشر، اشتمل الموسم على ست محاضرات موزعة على ستة أسابيع كما يأتي:

- المحاضرة الأولى يوم السبت ٢٨ ذو الحجة، ١٤١٨هـ - ٢٥ نيسان ١٩٩٨م عنوانها "أساسيات النحو العربي وتيسير تعلمه" ألقاها الأستاذ الدكتور تمام حسان/ دار العلوم - جامعة القاهرة.
- المحاضرة الثانية يوم السبت ١٣ محرم الحرم ١٤١٩هـ - ٩ أيار ١٩٩٨م عنوانها "أساسيات الصرف العربي لاكتساب اللغة السليمة" ألقاها الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي/ العراق عضو مجمع اللغة العربية الأردني.
- المحاضرة الثالثة يوم السبت ٢٠ محرم الحرام ١٤١٩هـ - ١٦ أيار ١٩٩٨م عنوانها "تيسير تعلم الخط العربي"، ألقاها الأستاذ يوسف ذنون/ كلية الآداب - جامعة الموصل.
- المحاضرة الرابعة يوم السبت ٢٧ محرم الحرام ١٤١٩هـ - ٢٣ أيار ١٩٩٨م عنوانها "اللغة العربية الرياضية، من أين بدأت، وكيف نشأت؟" ألقاها الأستاذ الدكتور رشدي راشد، مصر، مدير مركز تاريخ العلوم

والفلسفات العربية والقرون الوسطى - باريس.

• المحاضرة الخامسة يوم السبت ٥ صفر ١٤١٩هـ - ٣٠ أيار ١٩٩٨م عنوانها "تيسير تعلم اللغة العربية، قراءة واستيعاباً وتعبيراً" ألقاها الأستاذ الدكتور محمود السيد/ كلية التربية - جامعة دمشق.

• المحاضرة السادسة يوم السبت ١٢ صفر ١٤١٩هـ - ٦ حزيران ١٩٩٨م، عنوانها "تيسير تعلم الإملاء والترقيم" ألقاها الدكتور عدنان الدليمي/ العراق عميد كلية الآداب - جامعة الزرقاء الأهلية.

رسائل الدكتوراة والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية المقدمة إلى الجامعة الأردنية...

رسالة دكتوراة بعنوان

"المفاهيم اللغوية عند الفرق الإسلامية"

مقدمة من الطالبة أمان سليمان حمدان أبو صالح.

وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور نهاد الموسى (المشرف) رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة والدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور فهمي راجح جدعان. وذلك يوم الإثنين الخامس من ربيع الأول ١٤١٩هـ الموافق التاسع والعشرين من حزيران ١٩٩٨م.

رسالة دكتوراة بعنوان:

"حركة الشعر في بني قيس بن ثعلبة - من بكر بن وائل - في العصر الجاهلي"

مقدمة من الطالب محمد موسى علي العبسي.

وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور هاشم ياغي (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن. وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأول ١٤١٩هـ، الموافق الثامن من تموز ١٩٩٨م.

رسالة دكتوراة بعنوان:

"محمود محمد شاكر... الأديب الناقد".

مقدمة من الطالب إبراهيم محمد محمود كوفحي.

وتألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور إحسان عباس والأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم حور. وذلك يوم الإثنين الرابع من ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق السابع والعشرين من تموز ١٩٩٨م.

رسالة دكتوراة بعنوان:

"مكانة ابن يعيش في الصرف العربي"

مقدمة من الطالبة سهى فتحي أسعد نعجة.

وتألفت لجنة المناقشة من: الدكتور جعفر عبابنة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى والدكتور محمد حسن عواد والدكتور عبد الحميد السيد. وذلك يوم الأربعاء السادس من ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق التاسع والعشرين من تموز ١٩٩٨م.

رسالة دكتوراة بعنوان:

"نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين".

مقدمة من الطالب: حسن خميس سعيد الملخ.

وتألفت لجنة المناقشة من: الدكتور جعفر عبابنة (المشرف) رئيساً،

وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى، والدكتور محمد حسن عواد والدكتور عبد الحميد السيد وذلك يوم التاسع من ربيع الآخر ١٤١٩هـ. الموافق الأول من آب ١٩٩٨م.

رسالة دكتوراة بعنوان:

"الكتابة الديوانية في عهد النبوة والخلافة الراشدة".

مقدمة من الطالبة: فريال عبد الله محمود هديب.

وتألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور صلاح جرار (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري والأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن والأستاذ الدكتور مصطفى عليان وذلك يوم الثاني عشر من ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق الرابع من آب ١٩٩٨م.

رسالة ماجستير بعنوان:

"ترجمة الكاتب في آداب الصاحب للثعالبي - دراسة وتحقيق".

مقدمة من الطالب: علي ذيب زايد زايد.

وتألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن (المشرف) رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور صلاح جرار، والدكتور جاسر أبو صفية، والدكتور عودة أبو عودة، وذلك يوم السبت الثالث من ربيع الأول ١٤١٩هـ، الموافق السابع والعشرين من حزيران ١٩٩٨م.

رسالة ماجستير بعنوان:

"موسيقى الشعر بين النظرية والتطبيق عند حازم القرطاجني".

مقدمة من الطالبة: فريدة غالب الزيود.

وتألفت لجنة المناقشة من: الدكتور إبراهيم خليل (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين، والدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور يوسف حسين بكار. وذلك يوم السبت الثاني من ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق الخامس والعشرين من تموز ١٩٩٨م.

رسالة ماجستير بعنوان:

"الحركة في الشعر الجاهلي".

مقدمة من الطالبة ختام محمد الطنطاوي.

وتألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين (المشرف) رئيساً. وعضوية: الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن والأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن. وذلك يوم الثلاثاء الخامس من ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق الثامن والعشرين من تموز ١٩٩٨م.

رسالة ماجستير بعنوان:

"الترادف في العربية من منظور تاريخي مقارن".

مقدمة من الطالبة كفاح وليد إبراهيم محمد درويش.

وتألفت لجنة المناقشة من: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى (المشرف) رئيساً. وعضوية: الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة والدكتور جعفر عبابنة والدكتور عبد الحميد السيد. وذلك يوم الإثنين الحادي عشر من ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق الثالث من آب ١٩٩٨م.

إلى الأخوة الكتّاب :

يرجى مراعاة ما يلي :

١ ـ أن تقتصر البحوث على اللغة العربية ، والتراث العربي الإسلامي : العلمي والأدبي والفني ، وشؤون التعريب ، ومراجعة الكتب المحقّقة وما إليها ، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله .

٢ ـ أن يتأكّد الكاتب من سلامة اللغة ، وحسن الترقيم ، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر .

٣ ـ أن تتّسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادئ ، الخالي من الانفعالات الحادّة التي قد تسيء إلى المؤلّف أو الباحث .

٤ ـ أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأصلية ، وخاصة بالمجلّة .

رئيس التحرير

ISSN 0258 - 1094

JOURNAL
Of The Jordan Academy Of Arabic

No . 55

VOL XXII

Thu AL - Qedah1418 [illegible]